تابع : تفسير سورة الأنفال

الآية : 41

القول في تأويل قوله تعالى:
{وَاعْلَمُوَا أَنّمَا غَنِمْتُمْ مّن شَيْءٍ فَأَنّ للّهِ خُمُسَهُ وَلِلرّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىَ وَالْيَتَامَىَ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىَ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.
قال أبو جعفر: وهذا تعليم من الله عزّ وجلّ المؤمنين قسم غنائمهم إذا غنموها, يقول تعالى ذكره: واعلموا أيها المؤمنون أنما غنمتم من غنيمة.
واختلف أهل العلم في معنى الغنيمة والفيء, فقال بعضهم: فيهما معنيان كلّ واحد منهما غير صاحبه. ذكر من قال ذلك:
12554ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حميد بن عبد الرحمن, عن الحسن بن صالح, قال: سألت عطاء بن السائب عن هذه الآية: وَاعْلَمُوا أنّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنّ لِلّهِ خُمُسَهُ وهذه الآية: ما أفاءَ اللّهُ عَلى رسُولهِ قال قلت: ما الفيء وما الغنيمة؟ قال: إذا ظهر المسلمون على المشركين وعلى أرضهم, وأخذوهم عنوة فما أخذوا من مال ظهروا عليه فهو غنيمة, وأما الأرض فهي في سوادنا هذا فيء.
وقال آخرون: الغنيمة ما أُخذ عَنْوة. والفيء: ما كان عن صلح. ذكر من قال ذلك:
12555ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان الثوري, قال: الغنيمة: ما أصاب المسلمون عنوة بقتال فيه الخمس, وأربعة أخماسه لمن شهدها. والفيء: ما صولحوا عليه بغير قتال, وليس فيه خمس, هو لمن سَمّى الله.
وقال آخرون: الغنيمة والفيء بمعنى واحد. وقالوا: هذه الآية التي في الأنفال ناسخة قولَه: ما أفاءَ اللّهُ على رَسُولِهِ مِنْ أهْلِ القُرَى فَلِلّهِ وللرسُولِ... الآية. ذكر من قال ذلك:
12556ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: ما أفاءَ اللّهُ على رَسُولِهِ مِنْ أهْلِ القُرَى فَلَلّهِ وللرسُولِ وَلِذِي القُرْبَى واليَتامَى والمَساكِينِ وَابْنِ السّبِيلِ قال: كان الفيء في هؤلاء, ثم نسخ ذلك في سورة الأنفال, فقال: وَاعْلَمُوا أنّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنّ لِلّهِ خُمُسَهُ وللرّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى واليَتامَى والمَساكِينِ وَابْنِ السّبيلِ فنسخت هذه ما كان قبلها في سورة الحشر, وجعل الخمس لمن كان له الفيء في سورة الحشر, وسائر ذلك لمن قاتل عليه.
وقد بيّنا فيما مضى الغنيمة, وأنها المال يوصل إليه من مال من خوّل الله ماله أهل دينه بغلبة عليه وقهر بقتال. فأما الفيء, فإنه ما أفاء الله على المسلمين من أموال أهل الشرك, وهو ما ردّه عليهم منها بصلح, من غير إيجاف خيل ولا ركاب. وقد يجوز أن يسمى ما ردّته عليهم منها سيوفهم ورماحهم وغير ذلك من سلاحهم فيئا, لأن الفيء إنما هو مصدر من قول القائل: فاء الشيء يَفيءُ فَيْئا: إذا رجع, وأفاءه الله: إذا ردّه. غير أن الذي ورد حكم الله فيه من الفيء يحكيه في سورة الحشر إنما هو ما وصفت صفته من الفيء دون ما أوجف عليه منه بالخيل والركاب, لعلل قد بينتها في

كتابنا: «كتاب لطيف القول في أحكام شرائع الدين» وسنبينه أيضا في تفسير سورة الحشر إذا انتهينا إليه إن شاء الله تعالى.
وأما قول من قال: الآية التي في سورة الأنفال ناسخة الآية التي في سورة الحشر فلا معنى له, إذ كان لا معنى في إحدى الآيتين ينفي حكم الأخرى. وقد بيّنا معنى النسخ, وهو نفي حكم قد ثبت بحكم بخلافه, في غير موضع بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.
وأما قوله: مِنْ شَيْءٍ فإنه مراد به كل ما وقع عليه اسم شيء مما خوّله الله المؤمنين من أموال من غلبوا على ماله من المشركين مما وقع فيه القسم حتى الخيط والمخيط. كما:
12557ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ليث, عن مجاهد, قوله: وَاعْلَمُوا أنّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ قال: المخيط من الشيء.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن ليث, عن مجاهد بمثله.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو نعيم الفضل, قال: حدثنا سفيان, عن ليث, عن مجاهد, مثله.
القول في تأويل قوله تعالى: فَأنّ لِلّهِ خُمُسَهُ وللرّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى واليَتامَى والمَساكِينِ وَابْنِ السّبِيلِ.
اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: قوله: فَأنّ للّهِ خُمُسَهُ مفتاح كلام, ولله الدنيا والآخرة وما فيهما, وإنما معنى الكلام: فأن للرسول خمسه. ذكر من قال ذلك:
12558ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن قيس بن مسلم, قال: سألت الحسن عن قول الله: وَاعْلَمُوا أنّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنّ لِلّهِ خُمُسَهُ وللرّسُولِ قال: هذا مفتاح كلام, لله الدنيا والآخرة.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن قيس بن مسلم, قال: سألت الحسن بن محمد, عن قوله: وَاعْلَمُوا أنمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنّ لِلّهِ خُمُسَهُ قال: هذا مفتاح كلام, لله الدنيا والآخرة.
12559ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أحمد بن يونس, قال: حدثنا أبو شهاب, عن ورقاء, عن نهشل, عن الضحاك, عن ابن عباس, قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية فغنموا خَمّسَ الغنيمة فضرب ذلك الخُمْسَ في خمسة. ثم قرأ: وَاعْلَمُوا أنمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنّ لِلّهِ خُمُسَهُ وللرسُولِ. قال: وقوله: فَأنّ لِلّهِ خُمُسَهُ مفتاح كلام, لله ما في السّمَوَاتِ وما في الأرْضِ فجعل سهم الله وسهم الرسول واحدا.
12560ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن إبراهيم: فَأن لِلّهِ خُمُسَهُ قال: لله كلّ شيء.
12561ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن مغيرة, عن إبراهيم, في قوله: وَاعْلَمُوا أنمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنّ لِلّهِ خُمُسَهُ قال: لله كلّ شيء, وخمس لله ورسوله, ويقسم ما سوى ذلك على أربعة أسهم.
12562ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كانت الغنيمة تقسم خمس أخماس, فأربعة أخماس لمن قاتل عليها, ويقسم الخمس الباقي على خمسة أخماس, فخمس لله والرسول.

12563ـ حدثنا عمران بن موسى, قال: حدثنا عبد الوارث, قال: حدثنا أبان, عن الحسن, قال: أوصى أبو بكر رضي الله عنه بالخمس من ماله وقال: ألا أرضى من مالي بما رضي الله لنفسه.
12564ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن فضيل, عن عبد الملك, عن عطاء: وَاعْلَمُوا أنمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنّ لِلّهِ خُمُسَهُ وللرّسُولِ قال: خمس الله وخمس رسوله واحد, كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يحمل منه ويصنع فيه ما شاء.
حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج, قال: حدثنا أبو عوانة, عن المغيرة, عن أصحابه, عن إبراهيم: وَاعْلَمُوا أنمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنّ لِلّهِ خُمُسَهُ قال: كل شيء لله, الخمس للرسول, ولذي القربى, واليتامى, والمساكين, وابن السبيل.
وقال آخرون: معنى ذلك: فإن لبيت الله خمسه وللرسول. ذكر من قال ذلك:
12565ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع بن الجراح, عن أبي جعفر الرازي, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية الرياحي, قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُؤْتَى بالغنيمة, فيقسمها على خمسة تكون أربعة أخماس لمن شهدها, ثم يأخذ الخمس, فيضرب بيده فيه, فيأخذ منه الذي قبض كفه فيجعله للكعبة, وهو سهم الله, ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول, وسهم لذي القربى, وسهم لليتامى, وسهم للمساكين, وسهم لابن السبيل.
حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية: وَاعْلَمُوا أنمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنّ لِلّهِ خُمُسَهُ.... إلى آخر الآية, قال: فكان يجاء بالغنيمة فتوضع, فيقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أسهم, فيجعل أربعة بين الناس ويأخذ سهما, ثم يضرب بيده في جميع ذلك السهم, فما قبض عليه من شيء جعله للكعبة, فهو الذي سُمي لله, ويقول: «لا تجعلوا لله نصيبا فإن لله الدنيا والآخرة», ثم يقسم بقيته على خمسة أسهم: سهم للنبيّ صلى الله عليه وسلم, وسهم لذوي القربى, وسهم لليتامى, وسهم للمساكين, وسهم لابن السبيل.
وقال آخرون: ما سمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فإنما هو مراد به قرابته, وليس لله ولا لرسوله منه شيء. ذكر من قال ذلك:
12566ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: حدثنا معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قال: كانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس, فأربعة منها لمن قاتل عليها, وخمس واحد يقسم على أربع فربع لله والرسول ولذي القربى يعني قرابة النبيّ صلى الله عليه وسلم فما كان لله والرسول فهو لقرابة النبيّ صلى الله عليه وسلم, ولم يأخذ النبيّ صلى الله عليه وسلم من الخمس شيئا, والربع الثاني لليتامى, والربع الثالث للمساكين, والربع الرابع لابن السبيل.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال قوله: فَأنّ لِلّهِ خُمُسَهُ افتتاح كلام وذلك لإجماع الحجة على أن الخمس غير جائز قسمه على ستة أسهم, ولو كان لله فيه سهم كما قال أبو العالية, لوجب أن يكون خمس الغنيمة مقسوما على ستة أسهم. وإنما اختلف أهل العلم في قسمه على خمسة فما دونها, فأما على أكثر من ذلك فما لا نعلم قائلاً قاله غير الذي ذكرنا من

الخبر عن أبي العالية, وفي إجماع من ذكرت الدلالة الواضحة على صحة ما اخترنا. فأما من قال: سهم الرسول لذوي القربى, فقد أوجب للرسول سهما وإن كان صلى الله عليه وسلم صرفه إلى ذوي قرابته, فلم يخرج من أن يكون القسم كان على خمسة أسهم. وقد:

12567ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَاعْلَمُوا أنمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنّ لِلّهِ خُمُسَهُ... الآية, قال: كان نبيّ صلى الله عليه وسلم إذا غنم غنيمة جعلت أخماسا, فكان خمس لله ولرسوله, ويقسم المسلمون ما بقي. وكان الخمس الذي جعل لله ولرسوله ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل, فكان هذا الخمس خمسة أخماس: خمس لله ورسوله, وخمس لذوي القُرْبى, وخمس لليتامى, وخمس للمساكين, وخمس لابن السبيل.

12568ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن موسى بن أبي عائشة, قال: سألت يحيى بن الجزار عن سهم النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: هو خمس الخمس.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, وجرير عن موسى بن أبي عائشة, عن يحيى بن الجزار, مثله.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن موسى بن أبي عائشة, عن يحيى بن الجزار, مثله.

12569ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: فَأنّ لِلّهِ خُمُسَهُ قال: أربعة أخماس لمن حضر البأس, والخمس الباقي لله, وللرسول خمسه يضعه حيث رأى, وخمسه لذوي القربى, وخمسه لليتامى, وخمسة للمساكين, ولابن السبيل خمسه.

وأما قوله: وَلِذِي القُرْبَىَ فإن أهل التأويل اختلفوا فيهم, فقال بعضهم: هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم. ذكر من قال ذلك:

12570ـ حدثنا ابن وكيع, قال: ثني أبي, عن شريك, عن خصيف, عن مجاهد, قال: كان آل محمد صلى الله عليه وسلم لا تحلّ لهم الصدقة, فجعل لهم خمس الخمس.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا شريك, عن خصيف, عن مجاهد, قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم وأهل بيته لا يأكلون الصدقة, فجعل لهم خمس الخمس.

12571ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا عبد السلام, عن خَصِيف, عن مجاهد, قال: قد علم الله أن في بني هاشم الفقراء, فجعل لهم الخمس مكان الصدقة.

12572ـ حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا إسماعيل بن أبان, قال: حدثنا الصباح بن يحيى المزني, عن السديّ, عن ابن الديلمي, قال: قال عليّ بن الحسين رضي الله عنه لرجل من أهل الشأم: أما قرأت في الأنفال: وَاعْلَمُوا أنمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنّ لِلّهِ خُمُسَهُ وللرّسُولِ... الآية؟ قال: نعم, قال: فإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم.

حدثنا الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيل, عن خصيف, عن مجاهد, قال: هؤلاء قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لا تحلّ لهم الصدقة.

12573ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو معاوية, عن حجاج, عن عطاء, عن ابن عباس: أن نَجُدة كتب إليه يسأله عن ذوي القربى, فكتب إليه كتابا: تزعم أنا نحن هم, فأبى ذلك علينا قومنا.
12574ـ قال: حدثنا الحسين قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: فأنّ للّهِ خُمُسَهُ قال: أربعة أخماس لمن حضر البأس, والخمس الباقي لله, وللرسول خمسه يضعه حيث رأى, وخمس لذوي القربى, وخمس لليتامى, وخمس للمساكين, ولابن السبيل خمسه.
وقال آخرون: بل هم قريش كلها. ذكر من قال ذلك:
12575ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرني عبد الله بن نافع, عن أبي معشر, عن سعيد المُقِبري, قال: كتب نجْدة إلى ابن عباس يسأله عن ذي القربى, قال: فكتب إليه ابن عباس: قد كنا نقول إنا هم, فأبى ذلك علينا قومنا, وقالوا: قريش كلها ذوو قُرْبىَ.
وقال آخرون: سهم ذي القربى كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم, ثم صار من بعده لوليّ الأمر من بعده. ذكر من قال ذلك:
12576ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, أنه سئل عن سهم ذي القربى, فقال: كان طُعْمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيّا, فلما توفي جعل لوليّ الأمر من بعده.
وقال آخرون: بل سهم ذي القربى كان لبني هاشم وبني المطلب خاصة. وممن قال ذلك الشافعيّ, وكانت علته في ذلك ما:
12577ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا يونس بن بكير, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, قال: ثني الزهري, عن سعيد بن المسيب, عن جبير بن مطعم, قال: لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذي القربى من خيبر على بني هاشم وبني المطلب مشيت أنا وعثمان بن عفان رضي الله عنه, فقلنا: يا رسول الله, هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله به منهم, أرأيت إخواننا بني المطلب أعطيتهم وتركتنا, وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة؟ فقال: «إنّهُمْ لَمْ يُفارِقُونا فِي جاهِلِيّةٍ وَلا إسْلامٍ, إنّمَا بَنُو هاشِمٍ وَبَنُو المُطّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ». ثم شبك رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه إحداهما بالأخرى.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي, قول من قال: سهم ذي القربى كان لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وحلفائهم من بني المطلب, لأن حليف القوم منهم, ولصحة الخبر الذي ذكرناه بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
واختلف أهل العلم في حكم هذين السهمين, أعني سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم ذي القربى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم: يصرفان في معونة الإسلام وأهله. ذكر من قال ذلك:
12578ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أحمد بن يونس, قال: حدثنا أبو شهاب, عن ورقاء, عن نهشل, عن الضحاك, عن ابن عباس, قال: جعل سهم الله وسهم الرسول واحدا ولذي القربى, فجعل هذان السهمان في الخيل والسلاح, وجعل سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل لا يُعْطَى غيرهم.

12579ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن قيس بن مسلم, قال: سألت الحسن عن قول الله: وَاعْلَمُوا أنّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ

شَيْءٍ فَأنّ لِلّهِ خُمُسَهُ وللرّسُـولِ وَلِـذِي القُرْبَـى قـال: هـذا مفتـاح كلام, للـه الدنيا والآخرة.

ثم اختلف الناس في هذين السهمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليـه وسلم, فقال قائلون: سهم النبيّ صلى الله عليه وسلم لقرابـة النـبيّ صـلى الله عليه وسلم. وقال قائلون: سهم القرابة لقرابـة الخليفـة واجتمـع رأيهـم أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدّة في سبيل الله, فكانا علـى ذلـك في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

12580ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن قيس بن مسلم, قال: سألت الحسن بن محمد, فذكر نحوه.

12581ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمر بـن عبيـد, عـن الأعمـش, عـن إبراهيم, قال: كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النـبيّ صـلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح, فقلت لإبراهيم: ما كان عليّ رضي الله عنه يقول فيه؟ قال: كان عليّ أشدّهم فيه.

12582ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قـوله: وَاعْلَمُـوا أنّمَـا غَنِمْتُـمْ مِـنْ شَـيْءٍ فَـأنّ لِلّـهِ خُمُسَـهُ وللرّسُـولِ وَلِـذِي القُرْبَـى واليَتـامَى والمَسـاكِينِ... الآيـة. قـال ابـن عباس: فكانت الغنيمة تقسم علـى خمسـة أخمـاس, أربعـة بيـن مـن قاتـل عليها, وخمس واحد يقسم على أربعة: لله, وللرسول, ولذي القربى, يعنـي قرابة النبيّ صلى الله عليه وسلم فما كان لله وللرسـول فهـو لقرابـة النـبيّ صلى الله عليه وسلم, ولم يأخذ النبيّ صلى اللـه عليـه وسـلم مـن الخمـس شيئا. فلما قبض الله رسوله صلى الله عليه وسـلم, ردّ أبـو بكـر رضـي اللـه عنه نصيب القرابة فـي المسـلمين, فجعـل يحمـل بـه فـي سـبيل اللـه, لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: «لا نُورَثُ, ما تَرَكْنا صَدَقَةٌ».

12583ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد, عـن قتادة: أنه سئل عن سهم ذي القربى, فقال: كان طُعْمة لرسول اللـه صـلى الله عليه وسلم, فلما توفي حمل عليه أبو بكر وعمر في سـبيل اللـه صـدقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: سهم ذوي القربى من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وليّ أمر المسلمين. ذكر من قال ذلك:

12584ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا عمـرو بن ثابت, عنِ عمران بن ظَبيان, عن حكيم بن سـعد, عـن علـيّ رضـي اللـه عنه, قال: يعطى كلّ إنسـان نصـيبه م ن الخمـس, ويلـي الإمـام سـهم اللـه ورسوله.

12585ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد, عـن قتادة: أنه سئل عن سهم ذوي القربى, فقال: كان طعمة لرسول الله صـلى الله عليه وسلم ما كان حيّا, فلما توفي جُعِل لوليّ الأمر من بعده.

وقال آخرون: سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود في الخمس, والخمـس مقسـوم علـى ثلاثـة أسـهم: علـى اليتـامى, والمسـاكين, وابـن السبيل. وذلك قول جماعة من أهل العراق.

وقال آخرون: الخمس كله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكـر من قال ذلك:

12586ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا عبـد الغفـار, قال: حدثنا المنهال بن عمرو, قال: سألت عبد الله بن محمد بن عليّ وعلـيّ بن الحسين عن الخمس, فقالا: هو لنا. فقلت لعليّ: إن الله يقول: واليَتامَى وَالمَساكِينِ وَابْنِ السّبِيلِ فقال: يتامانا ومساكيننا.

والصواب من القول في ذلك عندنا, أن سهم رسول الله صلى اللـه عليـه وسلم مردود في الخمس, والخمس مقسوم على أربعة أسهم على مـا رُوي عن ابن عباس: للقرابـة سـهم, ولليتـامى سـهم, وللمسـاكين سـهم, ولابـن السبيل سهم لأن الله أوجب الخمس لأقوام موصوفين بصفات, كمـا أوجـب الأربعة الأخماس الآخرين. وقد أجمعوا أن حقّ الأربعة الأخماس لن يسـتحقه غيرهم, فكذلك حقّ أهل الخمس لن يستحقه غيرهـم, فغيـر جـائز أن يخـرج عنهم إلى غيرهم, كما غير جائز أن تخرج بعـض السـهمان الـتي جعلهـا اللـه لمن سماه في كتابه بفقد بعض من يستحقه إلى غير أهـل السـهمان الأخـر. وأما اليتامى: فهم أطفال المسلمين الذين قد هلك آباؤهم. والمساكين: هـم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين. وابن السبيل: المجتاز سفرا قـد انْقُطِـعَ به. كما:

12587ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قال: الخمس الرابـع لابـن السـبيل, وهـو الضـيف الفقير الذي ينزل بالمسلمين.

القول في تأويل قوله تعالى: إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ باللّهِ وَما أنْزَلْنا على عَبْدِنا يَوْمَ الفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ وَاللّه عَلى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

يقول تعالى ذكره: أيقنوا أيها المؤمنون أنما غنمتـم مـن شـيء فمقسـوم القَسمْ الذي بينته, وصَدقوا به إن كنتم أقررتم بوحدانية الله وبما أنـزل اللـه على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يوم فرق بيـن الحـقّ والباطـل ببـدر, فأبان فلج المؤمنين وظهورهم على عدوّهم, وذلك يوم التقى الجمعان. جمع المؤمنين, وجمع المشركين, والله علـى إهلاك أهـل الكفـر وإذلالهـم بأيـدي المؤمنين, وعلى غير ذلك مما يشاء قدير لا يمتنع عليه شيء أراده.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12588ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: يَوْمَ الفُرْقانِ يعني بالفرقان: يوم بدر, فَـرَق اللـه فيـه بين الحق والباطل.

12589ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

12590ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني الليث, قال: ثني عقيل, عن ابن شـهاب, عـن عـروة بـن الزبيـر وإسـحاق, قـال: حـدثنا عبـد الرزاق, عن معمر, عن الزهري, عن عـروة بـن الزبيـر, يزيـد أحـدهما علـى صاحبه في قوله: يَوْمَ الفُرْقانِ يوم فرق الله بين الحـقّ والباطـل, وهـو يـوم بدر, وهو أوّل مشهد شهده رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم, وكـان رأس المشركين عتبة بن ربيعة. فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة مضـت مـن شهر رمضان, وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مئـة وبضـعة عشـر رجلاً, والمشـركون مـا بيـن الألـف والتسـع مئـة, فهـزم اللـه يومئـذ المشركين, وقُتل منهم زيادة على سبعين, وأمر منهم مثلُ ذلك.

12591ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن مقسم: يَوْمَ الفُرْقانِ قال: يوم بدر, فرق الله بين الحقّ والباطل.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن عثمان الجزري, عن مقسم, في قوله: يَوْمَ الفُرْقانِ قال: يوم بدر, فرق الله بين الحقّ والباطل.
12592ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, ابن عباس, قوله: يَوْمَ الفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ يوم بدر, وبدر بين المدينة ومكة.
12593ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: ثني يحيى بن يعقوب أبو طالب, عن ابن عون, عن محمد بن عبد الله الثقفي, عن أبي عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب, قال: قال الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان لسبع عشرة من شهر رمضان.
12594ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ قال ابن جريج: قال ابن كثير: يوم بدر.
12595ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وَما أنْزَلْنا على عَبْدِنا يَوْمَ الفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ: أي يوم فرق بين الحقّ والباطل ببدر أي يوم التقى الجمعان منكم ومنهم.
12596ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَما أنْزَلْنا على عَبْدِنا يَوْمَ الفُرْقانِ وذاكم يوم بدر, يوم فرق الله بين الحقّ والباطل.

الآية : 42

القول في تأويل قوله تعالى: {إِذْ أَنتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىَ وَالرّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لّيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيّنَةٍ وَيَحْيَىَ مَنْ حَيّ عَن بَيّنَةٍ وَإِنّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره: أيقنوا أيها المؤمنون واعلموا أن قسم الغنيمة على ما بينه لكم ربكم إن كنتم آمنتم بالله وما أنزل على عبده يوم بدر, إذ فرق بين الحقّ والباطل من نصر رسوله, إذْ أنْتُمْ حينئذ بالعُدْوَةِ الدّنْيا يقول: بشفير الوادي الأدنى إلى المدينة, وَهُمْ بالعُدْوَةِ القُصْوَى يقول: وعدوّكم من المشركين نزول بشفير الوادي الأقصى إلى مكة, وَالرّكْبُ أسْفَلَ مِنْكُمْ يقول: والعير فيه أبو سفيان وأصحابه في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
12597ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: إذْ أنْتُمْ بالعُدْوَةِ الدّنْيا قال: شفير الوادي الأدنى وهي بشفير الوادي الأقصى. وَالرّكْبُ أسْفَلَ مِنْكُمْ قال: أبو سفيان وأصحابه أسفل منهم.
حدثنا بشر,قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إذْ أنْتُمْ بالعُدْوَةِ الدّنْيا وَهُمْ بالعُدْوَةِ القُصْوَى وهما شفيرا الوادي, كان نبيّ الله أعلى

الوادي والمشركون بأسفله. وَالرّكْبُ أسْفَلَ مِنْكُمْ يعني أبا سفيان, انحدر بالعير على حوزته حتى قدم بها مكة.
12598ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: إذْ أنْتُمْ بالعُدْوَةِ الدّنْيا وَهُمْ بالعُدْوَةِ القُصَوَى من الوادي إلى مكة. وَالرّكْبُ أسْفَلَ مِنْكُمْ: أي عير أبي سفيان التي خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها عن غير ميعاد منكم ولا منهم.
12599ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَالرّكْبُ أسْفَلَ مِنْكُمْ قال: أبو سفيان وأصحابه مقبلون من الشام تجارا, لم يشعروا بأصحاب بدر, ولم يشعر محمد صلى الله عليه وسلم بكفار قريش ولا كفار قريش بمحمد وأصحابه, حتى التقيا على ماء بدر من يسقى لهم كلهم, فاقتتلوا, فغلبهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم, فأسروهم.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, بنحوه.
حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد مثله.
12600ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: ذكر منازل القوم والعير, فقال: إذْ أنْتُمْ بالعُدْوَةِ الدّنْيا وَهُمْ بالعُدْوَةِ القُصَوَى والركب: هو أبو سفيان وعيره, أسفل منكم على شاطىء البحر.
واختلفت القرّاء في قراءة قوله: إذْ أنْتُمْ بالعُدْوَةِ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدنيين والكوفيين: بالعُدْوَةِ بضم العين, وقرأه بعض المكيين والبصريين: «بالعِدْوَةِ» بكسر العين. وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب, يُنْشَد بيت الراعي:
وَعَيْنانِ حُمْرٌ مَآقِيهماكما نظَرَ العِدْوَةَ الجُؤْذَرُ
بكسر العين من العدوة, وكذلك ينشد بيت أوس بن حجر:
وفارِسٍ لَوْ تَحُلّ الخَيْلُ عِدْوَتَهوَلّوْا سِرَاعا وَما هَمّوا بإقْبالِ
القَولُ في تأويل قوله تعالى: وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي المِيعادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أمْرا كانَ مَفْعُولاً.
يعني تعالى ذكره: ولو كان اجتماعكم في الموضع الذي اجتمعتم فيه أنتم أيها المؤمنون وعدوّكم من المشركين عن ميعاد منكم ومنهم, لاختلفتم في الميعاد لكثرة عدد عدوّكم وقلة عددكم ولكن الله جمعكم على غير ميعاد بينكم وبينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولاً. وذلك القضاء من الله كان نصره أولياءه من المؤمنين بالله ورسوله, وهلاك أعدائه وأعدائهم ببدر بالقتل والأسر كما:
12601ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي المِيعادِ ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم ما لقيتموهم. وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أمْرا كانَ مَفْعُولاً: أي ليقضي الله ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وأهله, وإذلال الشرك وأهله, عن غير بلاء منكم ففعل ما أراد من ذلك بلطفه.
12602ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: أخبرني يونس بن شهاب, قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك,

أن عبد الله بن كعب, قال: سمعت كعب بن مالك يقول في غزوة بـدر: إنمـا خرج رسول الله صلى الله عليـه وسـلم والمسـلمون يريـدون عيـر قرَيـش, حتى جمع الله بينهم وبين عدوّهم على غير ميعاد.

12603ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن ابن عون, عن عمير بن إسحاق, قال: أقبل أبو سفيان في الركب من الشام, وخرج أبو جهل ليمنعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه, فالتقوا ببدر, ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء ولا هؤلاء بهؤلاء, حتى التقت السقاة, قال: ونهد الناس بعضهم لبعض.

القول في تأويل قوله تعالى: لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيحْيا مَـنْ حَـيّ عَـنْ بَيِّنَةٍ وَإنّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ.

يقول تعالى ذكره: ولكن الله جمعهـم هنالـك ليقضـي أمـرا كـان مفعـولاً, لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ. وهذه اللام في قوله: لِيَهْلِكَ مكررة علـى اللام فـي قوله: لِيَقْضِيَ كأنه قال: ولكن ليهلك من هلك عن بينة, جَمَعَكُمْ.

ويعني بقوله: لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ليموت من مات من خلقه عن حجة لله قد أثبتت له, وقطعت عذره, وعبرة قد عاينها ورآها. وَيحْيا مَنْ حَـيّ عَـنْ بَيِنَةٍ يقول: وليعيش من عاش منهم عن حجة لله قد أثبتت له وظهرت لعينه, فعلمها جمعنا بينكم وبين عدوكم هنالك.

وقال ابن إسحاق في ذلك بما:

12604ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: لِيَهْلِكَ مَـنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ لما رأى من الآيات والعبر, ويؤمن من آمن على مثل ذلك.

وأما قوله: وَإنّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ فإن معناه: وإن الله أيها المؤمنون لسميع لقولكم وقول غيركم حين يـرى اللـه نـبيه فـي منـامه, ويريكـم عـدوكم فـي أعينكم قليلاً وهم كثير, ويراكم عدوكم في أعينهـم قليلاً, عليـم بمـا تضـمره نفوسكم وتنطوي عليه قلوبكم, حينئذ وفي كل حـال. يقـول جـلّ ثنـاؤه لهـم ولعباده: واتقوا ربكم أيها الناس فـي منطقكـم أن تنطقـوا بغيـر حـقّ, وفـي قلوبكم أن تعتقدوا فيها غير الرشد, فإن الله لا يخفى عليه خافية مـن ظـاهر أو باطن.

الآية : 43

القول فـي تأويـل قـوله تعـالى: {إِذْ يُرِيكَهُـمُ اللّـهُ فِـي مَنَامِـكَ قَلِيلاً وَلَـوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَـكِنّ اللّـهَ سَـلَّمَ إِنّـهُ عَلِيـمٌ بِـذَاتِ الصّدُورِ }.

يقول تعالى ذكره: وإن الله يا محمد سميع لما يقول أصحابك, عليم بمـا يضمرونه, إذ يريك الله عدوّك وعدوّهم فِي مَنامِكَ قَلِيلاً يقول: يريكهـم فـي نومك قليلاً فتخبرهم بذلك, حتى قويت قلوبهم واجترءوا على حرب عدوّهم. ولو أراك ربك عدوّك وعدوّهم كثيرا لفشـل أصـحابك, فجبنـوا وخـافوا, ولـم يقدروا على حرب القوم, ولتنازعوا في ذلك ولكن الله سلمهم من ذلـك بمـا أراك في منامك من الرؤيا, إنه عليم بما تخفيه الصدور, لا يخفى عليه شـيء مما تضمره القلوب.

وقد زعم بعضهم أن معنى قوله: إذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِـكَ قَلِيلاً: أي فـي عينك التي تنام بها, فصيرّ المنام هـو العيـن, كـأنه أراد: إذ يريكهـم اللـه فـي عينك قليلاً.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12605ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً قال: أراه الله إياهم في منامه قليلاً, فأخبر النبيّ صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك, فكان تثبيتا لهم.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, بنحوه.

وقال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

12606ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: إذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً... الآية فكان أوّل ما أراه من ذلك نعمة من نعمه عليهم, شجعهم بها على عدوّهم, وكفاهم بها ما تخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: وَلَكِنّ اللّهَ سَلّمَ فقال بعضهم: معناه: ولكن الله سلم للمؤمنين أمرهم حتى أظهرهم على عدوّهم. ذكر من قال ذلك:

12607ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلَكِنّ اللّهَ سَلّمَ يقول: سلم الله لهم أمرهم حتى أظهرهم على عدوّهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولكن الله سلم أمره فيهم. ذكر من قال ذلك:

12608ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, قال: حدثنا معمر, عن قتادة: وَلَكِنّ اللّهَ سَلّمَ قال: سلم أمره فيهم.

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي ما قاله ابن عباس, وهو أن الله سلم القوم بما أرى نبيه صلى الله عليه وسلم في منامه من الفشل والتنازع, حتي قويت قلوبهم واجترءوا على حرب عدوّهم وذلك أن قوله: وَلَكِنّ اللّهَ سَلّمَ عقيب قوله: وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنازَعْتُمْ فِي الأمْرِ فالذي هو أولى بالخبر عنه, أنه سلمهم منه جلّ ثناؤه ما كان مخوفا منه لو لم يُرِ نبيه صلى الله عليه وسلم من قلة القوم في منامه.

الآية : 44

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِيَ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِيَ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الاُمُورُ }.

يقول تعالى ذكره: وإن الله لسميع عليم إذ يُرى الله نبيه في منامه المشركين قليلاً, وإذ يريهم الله المؤمنين إذ لقوهم في أعينهم قليلاً, وهم كثير عددهم, ويقلل المؤمنين في أعينهم, ليتركوا الاستعداد لهم فيهون على المؤمنين شوكتهم. كما:

12609ـ حدثني ابن بزيع البغدادي, قال: حدثنا إسحاق بن منصور, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن أبي عبيدة, عن عبد الله قال: لقد قُللوا في أعيننا يوم بدر حتي قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال أراهم مئة. قال: فأسرنا رجلاً منهم, فقلنا: كم هم؟ قال: كنا ألفا.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن أبي عبيدة, عن عبد الله بنحوه.

12610ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: إِذْ يُرِيكَمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ في أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً قال ابن مسعود: قُللوا في أعيننا حتى قلت لرجل: أتراهم يكونون مئة؟

12611ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: قال ناس من المشركين: إن العير قد انصرفت فارجعوا فقال أبو جهل: الآن إذ برز لكم محمد وأصحابه؟ فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم وقال: يا قوم لا تقتلوهم بالسلاح, ولكن خذوهم أخذا, فاربطوهم بالحبال يقوله من القدرة في نفسه.

وقوله: لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْرا كانَ مَفْعُولاً يقول جلّ ثناؤه: قللتكم أيها المؤمنون في أعين المشركين وأريتكموهم في أعينكم قليلاً حتى يقضي الله بينكم ما قضي من قتال بعضكم بعضا, وإظهاركم أيها المؤمنون على أعدائكم من المشركين والظفر بهم, لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى, وذلك أمر كان الله فاعله وبالغا فيه أمره. كما:

12612ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْرا كانَ مَفْعُولاً أي ليؤلف بينهم على الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه والإنعام على من أراد إتمام النعمة عليه من أهل ولايته. وَإِلى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ يقول جلّ ثناؤه: مصير الأمور كلها إليه في الآخرة, فيجازي أهلها على قدر استحقاقهم المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

الآية : 45

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُوَاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لّعَلّكُمْ تُفْلَحُونَ }.

وهذا تعريف من الله جلّ ثناؤه أهل الإيمان به السيرة في حرب أعدائه من أهل الكفر به والأفعال التي ترجى لهم باستعمالها عند لقائهم النصرة عليهم والظفر بهم, ثم يقول جلّ ثناؤه لهم: يا أيها الذين آمنوا, صدّقوا الله ورسوله إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر بالله للحرب والقتال, فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا عنهم ولا تولوهم الأدبار هاربين, إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة منكم. وَاذْكُرُوا الله كَثيرا يقول: وادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم, وأشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكره. لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ يقول: كيما تنجحوا فتظفروا بعدوكم, ويرزقكم الله النصر والظفر عليهم. كما:

12613ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللّهَ كَثِيرا لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ افترض الله ذكره عند أشغل ما تكونون عند الضراب بالسيوف.

12614ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق: يا أَيّها الّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً يقاتلونكم في سبيل الله, فاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللّهَ كَثِيرا اذكروا الله الذي بذلتم له أنفسكم والوفاء بما أعطيتموه من بيعتكم, لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ.

الآية : 46

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوَاْ إِنّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: أطيعوا أيها المؤمنون ربكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه, ولا تخالفوهما في شيء. وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا يقول: ولا تختلفوا فتفرّقوا وتختلف قلوبكم فتفشلوا, يقول: فتضعفوا وتجبنوا,

وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وهذا مثل, يقال للرجل إذا كان مقبلاً عليه ما يحبه ويُسَرّ بـه: الريح مقبلة عليه, يعني بذلك ما يحبه, ومن ذلك قول عبيد بن الأبرص:
كمَا حَمَيْناكَ يَوْمَ النّعْفِ مِنْ شَطِبٍوالفَضْلُ لِلْقَوْمِ مِنْ رِيحٍ وَمِنْ عَدَدِ
يعني من البأس والكثرة. وإنما يراد به في هذا الموضع: وتـذهب قـوّتكم وبأسكم فتضعفوا, ويدخلكم الوهن والخلل.
وَاصْبِرُوا يقول: اصبروا مع نبيّ الله صلى الله عليه وسلم عند لقاء عدوّكم, ولا تنهزموا عنه وتتركوه. إنّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ يقول: اصبروا فإني معكم.
وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
12615ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ قال: نصركم. قال: وذهبت ريح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم أُحد.
حدثنا ابن نمير, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ فذكر نحوه.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, نحوه, إلا أنه قال: ريح أصحاب محمد حين تركوه يوم أحد.
12616ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ قال: حربكم وجدّكم.
12617ـ حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ قال: ريح الحرب.
12618ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ قال: الريح: النصر. لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدوّ, فإذا كان ذلك لم يكن لهم قوام.
12619ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا أي لا تختلفوا فيتفرّق أمركم. وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ فيذهب جدّكم. وَاصْبِرُوا إنّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ: أي إني معكم إذا فعلتم ذلك.
12620ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا قال: الفشل: الضعف عن جهاد عدوّه والانكسار لهم, فذلك الفشل.

الآية : 47

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ تَكُونُواْ كَالّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَآءَ النّاسِ وَيَصُدّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ }.
وهذا تَقَدّمٌ من الله جلّ ثناؤه إلى المؤمنين به وبرسوله لا يعملوا عملاً إلا لله خاصة وطلب ما عنده لا رئاء الناس كما فعل القوم من المشركين في مسيرهم إلى بدر طلب رئاء الناس وذلك أنهم أخبروا بفوت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه, وقيل لهم: انصرفوا فقد سلمت العير التي جئتم لنصرتها, فأبوا وقالوا: نأتي بدرا فنشرب بها الخمر وتعزف علينا القيان وتتحدث بنا العرب لمكانتنا فيها. فسقوا مكان الخمر كؤوس المنايا. كما:
12621ـ حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد, قال: ثني أبي, قال: حدثنا أبان, قال: حدثنا هشام بن عروة, عن عروة قال: كانت قريش قبل أن يلقاهم

النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم بدر قد جاءهم راكب من أبي سفيان والركب الذين معه: إنا قد أجزنا القوم فارجعوا فجاء الركب الذين بعثهم أبو سفيان الذين يأمرون قريشا بالرجعة بالجحفة, فقالوا: والله لا نرجع حتى ننزل بدرا فنقيم فيه ثلاث ليال ويرانا من غشينا من أهل الحجاز, فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا وهم الذين قال الله: الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَرا وَرِئاءَ النّاسِ والتقوا هم والنبيّ صلى الله عليه وسلم, ففتح الله على رسوله وأخزى أئمة الكفر, وشفى صدور المؤمنين منهم.

12622ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني ابن إسحاق في حديث ذكره, قال: ثني محمد بن مسلم وعاصم بن عمرو, وعبد الله بن أبي بكر, ويزيد بن رومان, عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا, عن ابن عباس, قال: لما رأى أبو سفيان أنه أحرز عيره, أرسل إلى قريش أنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم, فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب, يجتمع لهم بها سوق كلّ عام فنقيم عليه ثلاثا, وننحر الجزر, ونطعم الطعام, ونُسقي الخمور, وتعزف علينا القيان, وتسمع بنا العرب, فلا يزالون يهابوننا أبدا فامضوا

12623ـ قال ابن حميد: حدثنا سلمة, قال: قال ابن إسحاق: وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَرا وَرِئاءَ النّاسِ: أي لا تكونوا كأبي جهل وأصحابه الذين قالوا: لا نرجع حتى نأتي بدرا وننحر بها الجزر ونسقي بها الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أي لا يكوننّ أمركم رياء ولا سمعة ولا التماس ما عند الناس, وأخلصوا لله النية والحسبة في نصر دينكم, وموازرة نبيكم أي لا تعملوا إلا لله ولا تطلبوا غيره.

12624ـ حدثني محمد بن عمارة الأسدي, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل وحدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَرا وَرِئاءَ النّاسِ قال: أصحاب بدر.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: بَطَرا وَرِئاءَ النّاسِ قال: أبو جهل وأصحابه يوم بدر.

12625ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله. قال ابن جريج: وقال عبد الله بن كثير: هم مشركو قريش, وذلك خروجهم إلى بدر.

12626ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَرا وَرِئاءَ النّاسِ يعني المشركين الذي قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر.

12627ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَرا وَرِئاءَ النّاسِ قال: هم قريش وأبو جهل وأصحابه الذين خرجوا يوم بدر.

12628ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَرا وَرِئاءَ النّاسِ وَيَصُدّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ قال: كان مشركو قريش الذين قاتلوا نبيّ الله يوم

بدر خرجوا ولهم بغي وفخر, وقد قيل لهم يومئذ: ارجعوا فقد انطلقت عيركم وقد ظفرتم قالوا: لا والله حتى يتحدث أهل الحجاز بمسيرنا وعددنا. قال: وذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, قال يومئذ: «اللّهُم إن قُرَيْشا أقْبَلَتْ بِفَخْرِها وخُيَلائها لِتُحادّكَ وَرَسُولكَ».

12629ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: ذكر المشركين وما يطعمون على المياه, فقال: وَلا تَكُونُوا كالّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَرا وَرِئاءَ النّاسِ وَيَصُدّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ.

12630ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: الّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَرا قال: هم المشركون خرجوا إلى بدر أشرا وبطرا.

12631ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو معشر, عن محمد بن كعب القرظي, قال: لما خرجت قريش من مكة إلى بدر, خرجوا بالقيان والدفوف, فأنزل الله: وَلا تَكُونُوا كالّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَرا وَرِئاءَ النّاسِ وَيَصُدّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ.

فتأويل الكلام إذن: ولا تكونوا أيها المؤمنون بالله ورسوله في العمل بالرياء والسمعة وترك إخلاص العمل لله واحتساب الأجر فيه, كالجيش من أهل الكفر بالله ورسوله الذين خرجوا من منازلهم بطرا ومراءاة الناس بزيهم وأموالهم وكثرة عددهم وشدة بطانتهم. وَيَصُدّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ يقول: ويمنعون الناس من دين الله والدخول في الإسلام بقتالهم إياهم وتعذيبهم من قدروا عليه من أهل الإيمان بالله, والله بما يعملون من الرياء والصدّ عن سبيل الله وغير ذلك من أفعالهم محيط, يقول: عالم بجميع ذلك, لا يخفى عليه منه شيء وذلك أن الأشياء كلها له متجلية, لا يعزب عنه منها شيء, فهو لهم بها معاقب وعليها معذّب.

الآية : 48

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ زَيّنَ لَهُمُ الشّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النّاسِ وَإِنّي جَارٌ لّكُمْ فَلَمّا تَرَآءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىَ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنّي بَرِيءٌ مّنْكُمْ إِنّيَ أَرَىَ مَا لاَ تَرَوْنَ إِنّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: وَإِذْ زَيّنَ لَهُمُ الشّيْطانُ أَعمالَهُمْ وحين زين لهم الشيطان أعمالهم.

وكان تزيينه ذلك لهم كما:

12632ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قال: جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من بني مدلج في صورة سراقة بن مالك بن جعشم, فقال الشيطان للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما اصطفّ الناس, أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب, فرمى بها في وجوه المشركين, فولوا مدبرين. وأقبل جبريل إلى إبليس, فلما رآه, وكانت يده في يد رجل من المشركين, انتزع إبليس يده, فولى مدبرا هو وشيعته, فقال الرجل: يا سراقة تزعم أنك لنا

جار؟ قال: إنّي أرَى ما لا تَرَوْنَ إنّي أخافُ اللّهُ وَاللّهُ شَدِيدُ العِقابِ وذلك حين رأى الملائكة.
12633ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: أتى المشركين إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني الشاعر ثم المدلجي, فجاء على فرس فقال للمشركين: لا غالِبَ لَكُمُ اليَوْمَ مِنَ النّاسِ فقالوا: ومن أنت؟ قال: أنا جاركم سراقة, وهؤلاء كنانة قد أتوكم.
12634ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: قال ابن إسحاق, ثني يزيد بن رومان, عن عروة بن الزبير, قال: لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر يعني من الحرب فكاد ذلك أن يثبطهم, فتبدّى لهم إبليس في صورة سراقة بن جعشم المدلجيّ, وكان من أشراف بني كنانة, فقال: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا.
12635ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: قال ابن إسحاق, في قوله: وَإذْ زَيّنَ لَهُمُ الشّيْطانُ أعْمالَهُمْ وَقالَ لا غالِب لَكُمُ اليَوْمَ مِنَ النّاسِ وإنّي جارٌ لَكُمْ فذكر استدراج إبليس إياهم وتشبهه بسراقة بن مالك بن جعشم حين ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب التي كانت بينهم. يقول الله: فَلَمّا تَرَاءَتِ الفِئَتانِ ونظر عدوّ الله إلى جنود الله من الملائكة قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوّهم, نَكَصَ على عَقِبَيْهِ وَقالَ إنّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إني أرَى ما لا ترون وصدق عدوّ الله أنه رأى ما لا يرون. وقال: إنّي أخافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ العِقابِ, فأوردهم ثم أسلمهم. قال: فذكر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقة بن مالك بن جعشم لا ينكرونه, حتى إذا كان يوم بدر والتقى الجمعان, كان الذي رآه حين نكص الحرث بن هشام أو عمير بن وهب الجمحي, فذكر أحدهما فقال: أين سراقة؟ أسلمنا عدو الله وذهب.
12636ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإذْ زَيّنَ لَهُمُ الشّيْطانُ أعْمالَهُمْ... إلى قوله: شَدِيدُ العِقابِ قال: ذكر لنا أنه رأى جبريل تنزل معه الملائكة, فزعم عدوّ الله أنه لا يدى له بالملائكة, وقال: إني أرى ما لا ترون, إني أخاف الله. وكذب والله عدوّ الله, ما به مخافة الله, ولكن علم أن لا قوّة له ولا منعة له, وتلك عادة عدوّ الله لمن أطاعه واستعاذ به, حتى إذا التقى الحقّ والباطل أسلمهم شرّ مسلم وتبرأ منهم عند ذلك.
12637ـ حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: وَإذْ زَيّنَ لَهُمُ الشّيْطانُ أعْمالَهُمْ... الآية, قال: لما كان يوم بدر, سار إبليس برايته وجنوده مع المشركين, وألقى في قلوب المشركين أن أحدا لن يغلبكم وإني جار لكم. فلما التقوا ونظر الشيطان إلى أمداد الملائكة نكص على عقبيه, قال: رجع مدبرا وقال: إنّي أرَى ما لا تَرَوْنَ... الآية.
12638ـ حدثنا أحمد بن الفرج, قال: حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون, قال: حدثنا مالك, عن إبراهيم بن أبي عبلة, عن طلحة بن عبيد الله بن كريز: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما رُؤِيَ إبْلِيسُ يَوْما هُوَ فِيهِ أصْغَرُ وَلا أحْقَرُ وَلا أدْحَرُ وَلا أغْيَظُ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ, وَذلكَ مِمّا يَرَى

مِنْ تَنْزِيلِ الرّحْمَةِ وَالعَفْوِ عَنِ الذّنُوبِ, إلاّ ما رأى يَوْمَ بَدْرٍ». قالوا: يا رسـول الله: وما رأى يوم بدر؟ قال: «أمَا إنّهُ رأى جِبْرِيلَ يَزَعُ المَلائِكَةَ».

12639ـ حدثنا محمد بن بشـار, قـال: حـدثنا عبـد الرحمـن, قـال: حـدثنا سليمان بن المغيرة, عن حميد بن هلال, عن الحسن, في قوله: إنّي أرَى ما لا تَرَوْنَ قال: رأى جبريل معتجرا ببرد يمشي بين يدي النبيّ صلى اللـه عليـه وسلم, وفي يده اللجام, ما ركب.

12640ـ حدثنا ابن وكيـع, قـال: حـدثنا هاشـم بـن القاسـم, قـال: حـدثنا سليمان بن المغيرة, عن حميد بن هلال, قال: قال الحسن: وتلا هـذه الآيـة: وَإذْ زَيّنَ لَهُمُ الشّيْطانُ أعْمالَهُمْ... الآية, قال: سار إبليس مع المشركين ببدر برايتـه وجنـوده, وألقـى فـي قلـوب المشـركين أن أحـدا لـن يغلبكـم وأنتـم تقاتلون على دين آبائكم, ولن تغلبوا كثرةً. فلمـا التقـوا نكـص علـى عقيبـه, يقول: رجـع مـدبرا, وقـال: إنـي بريـء منكـم, إنـي أرى مـا لا تـرون. يعنـي الملائكة.

12641ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حـدثنا أبـو معشـر, عن محمد بن كعب, قال: لما أجمعت قريش على السير, قالوا: إنما نتخوّف من بني بكر. فقال لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم: أنا جار لكم من بني بكر, ولا غالب لكم اليوم من الناس.

فتأويل الكلام: وإن الله لسميع عليم فـي هـذه الأحـوال وحيـن زيـن لهـم الشيطان خروجهم إليكم أيها المؤمنون لحربكم وقتالكم, وحّسن ذلـك لهـم, وحثهم عليكم وقال لهم: لا غالب لكم اليوم من بني آدم, فاطمئنوا وأبشروا, وإني جار لكم من كنانة أن تـأتيكم مـن ورائكـم فتغيركـم أجيركـم وأمنعكـم منهم, ولا تخافوهم, واجعلـوا جـدّكم وبأسـكم علـى محمـد وأصـحابه. فَلَمّـا تَرَاءَتِ الفِئَتانِ يقول: فما تزاحفت جنود الله من المؤمنين وجنـود الشـيطان من المشركين, ونظـر بعضـهم إلـى بعـض نَكَـصَ علـى عَقِبَيْـهِ يقـول: رجـع القهقرى على قفاه هاربا, يقال منه: نكص ينكُصُ وينكِصُ نُكُوصا, ومنه قـول زهير:

هُمْ يَضْرِبُونَ حَبِيكَ البَيْضِ إذْ لَحِقُوالا ينْكُصُونَ إذا ما اسْتُلْحِمُوا وحَمُوا

وقال للمشركين إنّي بَرِيـءٌ مِنْكُـمْ إنّـي أرَى مـا لا تَـرَوْنَ يعنـي: أنـه يـرى الملائكة الذين بعثهم الله مددا للمؤمنين, والمشركون لا يرونهم إنّـي أخَـافُ عقاب الله وكذب عدوّ الله والله شَدِيدُ العِقَابِ.

الآية : 49

القول في تأويل قوله تعالى: {إِذْ يَقُـولُ الْمُنَـافِقُونَ وَالّـذِينَ فِـي قُلُـوبِهِم مّرَضٌ غَرّ هَـَؤُلآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: وإن الله لسميع عليـم فـي هـذه الأحـوال, وإذ يقـول المنافقون. وكرّ بقوله: إذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ على قـوله: إذْ يُرِيكَهُـمُ اللّـهُ فِـي مِنامِكَ قَلِيلاً. والّذِينَ فِي قُلُـوبِهِمْ مَـرَضٌ يعنـي: شـكّ فـي الإسـلام لـم يصـح يقينهم, ولم تشرح بالإيمان صدورهم. غَرّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ يقول: غرّ هؤلاء الذين يقاتلون المشركين من أصحاب محمد صلى اللـه عليـه وسـلم مـن أنفسـهم دينهم, وذلك الإسلام. وذكر أن الذين قالوا هذا القول كـانوا نفـرا ممـن كـان قد تكلم بالإسلام من مشركي قريش ولم يستحكم الإسلام في قلوبهم. ذكر من قال ذلك:

12642ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عامر في هذه الآية: إِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ والّـذِينَ فِـي قُلُـوبِهِمْ مَـرَضٌ غَـرّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ قال: كـان نـاس مـن أهـل مكـة تكلمـوا بالإسـلام, فخرجـوا مـع المشركين يوم بدر, فلما رأوا قلة المسلمين قالوا: غَرّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ.

حدثني إسحاق بن شاهين, قال: حدثنا خالد, عن داود, عن عامر, مثله.

12643ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيـز, قـال: حـدثنا يحيـى بـن زكريا, عن ابن جريج, عن مجاهد, في قوله: إِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ والّذِينَ فِـي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ قـال: فئـة مـن قريـش: قيـس بـن الوليـد بـن المغيرة, وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة, والحرث بن زمعة بن الأسـود بـن المطلب, وعليّ بن أمية بن خلف, والعاصي بن منبه بن الحجاج خرجـوا مـع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم, فلما رأوا قلة أصـحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: غرّ هؤلاء دينهم حتى قدموا على مـا قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوّهم

12644ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الحسن: إِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ والّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَـرَضٌ غَـرّ هَـؤُلاءِ دِينُهُـمْ قال: هم قوم لم يشدوا القتال يوم بدر, فسموا منافقين. قال معمـر: وقـال بعضهم: قوم كانوا أقرّوا بالإسلام وهم بمكـة, فخرجـوا مـع المشـركين يـوم بدر, فلما رأوا قلة المسلمين قالوا: غرّ هؤلاء دينهم

12645ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: إِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ والّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ... إلـى قـوله: فـإنّ اللّـهَ عَزِيـزٌ حكِيمٌ قال: رأوا عصابة من المؤمنين تشددت لأمر الله. وذكر لنا أن أبا جهل عدوّ الله لما أشرف على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه, قال: واللـه لا يعبد الله بعد اليوم قسوة وعتوّا.

12646ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قـال ابن جريج في قوله: إِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ والّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ قال: ناس كانوا من المنافقين بمكة, قالوه يوم بدر, وهم يومئذ ثلاث مئة وبضعةَ عَشَـرَ رجلاً.

12647ـ قال: حدثني حجاج, عن ابن جريج, في قوله: إِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ والّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ قال: لما دنا القوم بعضهم مـن بعـض, فقلـل اللـه المسلمين في أعيـن المشـركين, وقلـل المشـركين فـي أعيـن المسـلمين, فقال المشركون: غرّ هؤلاء دينهم وإنما قالوا ذلـك مـن قلتهـم فـي أعينهـم, وظنوا أنهم سيهزمونهم لا يشكون في ذلك, فقـال اللـه: وَمَـنْ يَتَوَكّـلْ علـى اللّهِ فإنّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

وأما قوله: وَمَنْ يَتَوَكّلْ على اللّهِ فإن معناه: ومن يسلم أمره إلى الله ويثق به ويرض بقضائه, فـإن اللـه حـافظه وناصـره لأنـه عزيـز لا يغلبـه شـيء ولا يقهره أحد, فجاره منيع ومن يتوكل عليه يكفه. وهذا أمر من الله جـلّ ثنـاؤه المـؤمنين بـه مـن أصـحاب رسـول اللـه وغيرهـم أن يفوّضـوا أمرهـم إليـه ويسلموا لقضائه, كيما يكفيهم أعداءهم, ولا يستذلهم من ناوأهم لأنـه عزيـز غير مغلوب, فجاره غير مقهور. حِكِيمُ يقول: هو فيمـا يـدبر مـن أمـر خلقـه, حكيم لا يدخل تدبيره خلل.

الآية : 50

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَىَ إِذْ يَتَوَفّى الّـذِينَ كَفَـرُواْ الْمَلآئِكَـةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولو تعاين يا محمـد حين يتوفى الملائكة أرواح الكفـار فتنزعهـا مـن أجسـادهم, تضـرب الوجـوه منهم والأستاه, ويقولون لهم: ذوقوا عذاب النار التي تحرقكم يـوم ورودكـم جهنم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12648ـ حدثني محمد بـن عمـرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهـد, قـوله: إِذْ يَتَـوَفَّى فـي الّـذِينَ كَفَـرُوا المَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وأَدْبارَهُمْ قال: يوم بدر.

12649ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن أسـلم, عـن إسـماعيل بـن كثير, عن مجاهد: يَضْرِبُونَ وُجُـوهَهُمْ وأَدْبـارَهُمْ قـال: وأسـتاههم ولكـن اللـه كريم يكني.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, حـدثنا سـفيان, عـن أبـي هاشـم, عـن مجاهد, في قوله: يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وأَدْبـارَهُمْ قـال: وأسـتاههم ولكـن اللـه كريم يكني.

12650ـ حدثني محمد بن المثنى, قال: حدثنا وهب بن جرير, قال: أخبرنا شعبة, عن يعلى بن مسلم, عن سعيد بن جبير, في قوله: يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وأَدْبارَهُمْ قال: إن الله كني, ولو شاء لقال: أستاههم, وإنما عنـى بأدبـارهم: أستاههم.

12651ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثنـي حجـاج, عـن ابـن جريج, عن مجاهد, قال: أستاههم يوم بدر. قال ابن جريج: قال ابـن عبـاس: إذا أقبل المشركون بوجـوههم إلـى المسـلمين ضـربوا وجـوههم بالسـيوف, وإذا ولوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم.

12652ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا عباد بن راشد, عن الحسن, قال: قال رجل: يا رسول الله إني رأيـت بظهـر أبـي جهل مثل الشراك, فما ذاك؟ قال: «ضَرْبُ المَلائِكَةِ».

12653ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا إسرائيل, عن منصور, عن مجاهد: أن رجلاً قال للنبيّ صلى الله عليه وسـلم: إنـي حملـت على رجل من المشركين, فذهبت لأضربه, فندر رأسه. فقال: «سَبَقَكَ إلَيْـهِ المَلَكُ».

12654ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني حرملة, أنه سمع عمر مولى غفرة يقول: إذا سمعت الله يقول: يَضْـرِبُونَ وُجُـوهَهُمْ وأَدْبـارَهُمْ فإنما يريد أستاههم.

قال أبو جعفر: وفي الكلام محذوف استغني بدلالة الظاهر عليه من ذكره, وهو قوله: وَيَقُولُونَ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ حذفت «يقولون», كما حذفت مـن قوله: وَلَوْ تَرَى إذِ المُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبّهِمْ رَبّنا أبْصَرْنا وَسِـمعْنا بمعنى: يقولون ربنا أبصرنا.

الآية : 51

القول في تأويل قوله تعـالى: {ذَلِـكَ بِمَـا قَـدّمَتْ أَيْـدِيكُمْ وَأَنّ اللّـهَ لَيْـسَ بِظَلاّمٍ لّلْعَبِيدِ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملائكة لهؤلاء المشركين الذين قتلوا ببدر أنهم يقولون لهم وهم يضربون وجوههم وأدبارهم: ذوقوا عذاب الله الذي يحرقكم, هذا العذاب لكم بما قَدّمَتْ أيْدِيكُمْ أي بما كسبت أيديكم من الآثام والأوزار واجترحتم من معاصي الله أيام حياتكم, فذوقوا اليوم العذاب وفي معادكم عذاب الحريق وذلك لكم بأن الله ليس بظلام للعبيد, لا يعاقب أحدا من خلقه إلا بجرم اجترمه, ولا يعذبه إلا بمعصيته إياه, لأن الظلم لا يجوز أن يكون منه. وفي فتح «أن» من قوله: وأن الله وجهان من الإعراب: أحدهما النصب, وهو للعطف على «ما» التي في قوله: بِمَا قَدّمَتْ بمعنى: ذلك بما قدمت أيديكم, وبأن الله ليس بظلام للعبيد في قول بعضهم, والخفض في قول بعض. والآخر: الرفع على ذلِكَ بما قَدّمَتْ وذلك أن الله.

الآية : 52

القول في تأويل قوله تعالى: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنّ اللّهَ قَوِيّ شَدِيدُ الْعِقَابِ }.

يقول تعالى ذكره: فعل هؤلاء المشركون من قريش الذين قتلوا ببدر كعادة قوم فرعون وصنيعهم وفعلهم, وفعل من كذب بحجج الله ورسله من الأمم الخالية قبلهم, ففعلنا بهم كفعلنا بأولئك. وقد بيّنا فيما مضى أن الدأب: هو الشأن والعادة, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

12655ـ حدثني الحرث, قال: ثني عبد العزيز, قال: حدثنا شيبان, عن جابر, عن عامر ومجاهد وعطاء: كَدأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ: كفعل آل فرعون, كسنن آل فرعون.

وقوله: فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بذُنُوبِهِمْ يقول: فعاقبهم الله بتكذيبهم حججه ورسله ومعصيتهم ربهم, كما عاقب أشكالهم والأمم الذين قبلهم. إنّ اللّهَ قَوِيّ لا يغلبه غالب ولا يردّ قضاءه رادّ, ينفذ أمره ويمضي قضاءه في خلقه, شديد عقابه لمن كفر بآياته وجحد حججه.

الآية : 53

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيّراً نّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىَ قَوْمٍ حَتّىَ يُغَيّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: وأخذنا هؤلاء الذين كفروا بآياتنا من مشركي قريش ببدر بذنوبهم وفعلنا ذلك بهم, بأنهم غيروا ما أنعم الله عليهم به من ابتعاثه رسوله منهم وبين أظهرهم, بإخراجهم إياه من بينهم وتكذيبهم له وحربهم إياه فغيرنا نعمتنا عليهم بإهلاكنا إياهم, كفعلنا ذلك في الماضين قبلهم ممن طغى علينا وعصى أمرنا.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12656ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: ذلكَ بأنّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيّرا نِعْمَةً أنْعَمَها على قَوْمٍ حتى يُغَيّرُوا ما بأنْفُسِهِمْ يقول: نعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم, أنعم به على قريش وكفروا, فنقله إلى الأنصار.

وقوله: وأنّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يقول: لا يخفى عليه شيء من كلام خلقه, يسمع كلام كلّ ناطق منهم بخير نطق أو بشرّ, عليم بما تضمره صدورهم, وهو مجازيهم ومثيبهم على ما يقولون ويعملون, إن خيرا فخيرا وإن شرّا فشرّا.

الآية : 54

القول في تأويل قوله تعالى: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَـذّبُواْ بآيَاتِ رَبّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ آلَ فِرْعَونَ وَكُلّ كَانُواْ ظَالِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: غَيَّر هؤلاء المشركون بالله المقتولون ببدر, نعمة ربهم التي أنعم بها عليهم, بابتعاثه محمدا منهم وبين أظهرهم, داعيا لهم إلى الهدى, بتكذيبهم إياه وحربهم له. كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ: كسنة آل فرعون وعادتهم, وفعلهم بموسى نبيّ الله في تكذيبهم إياه, وتصديهم لحربه وعادة من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها وصنيعهم. فأهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ بعضا بالرجفة, وبعضا بالخسف, وبعضا بالريح. وأغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ في اليم. وكُلّ كانُوا ظالِمِينَ يقول: كل هؤلاء الأمم التي أهلكناها كانوا فاعلين ما لم يكن لهم فعله من تكذيبهم رسل الله والجحود لآياته, فكذلك أهلكنا هؤلاء الذين أهلكناهم ببدر, إذ غيّروا نعمة الله عندهم بالقتل بالسيف, وأذللنا بعضهم بالإسار والسّباء.

الآية : 55

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ شَرّ الدّوَابّ عِندَ اللّهِ الّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إن شرّ ما دبّ على الأرض عند الله الذين كفروا بربهم فجحدوا وحدانيته, وعبدوا غيره. فهُمْ لا يُؤْمِنُونَ يقول: فهم لا يصدقون رسل الله ولا يقرّون بوحيه وتنزيله.

الآية : 56

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِينَ عَاهَدْتّ مِنْهُمْ ثُـمّ يَنقُضُـونَ عَهْـدَهُمْ فِي كُلّ مَرّةٍ وَهُمْ لاَ يَتّقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إن شرّ الدوابّ عند الله الذين كفروا, الذين عاهدت منهم يا محمد, يقول: أخذت عهودهم ومواثيقهم أن لا يحاربوك ولا يظاهروا عليك محاربا لك كقريظة ونظرائهم ممن كان بينك وبينهم عهد وعقد, ثم ينقضون عهودهم ومواثيقهم, كلما عاهدوا دافعوك وحاربوك وظاهروا عليك, وهم لا يتقون الله ولا يخافون في فعلهم ذلك أن يوقع بهم وقعة تجتاحهم وتهلكهم. كالذي:

12657ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: الّذِينَ عاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ قال: قريظة مالئوا على محمد يوم الخندق أعداءه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, نحوه.

الآية : 57

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِمّا تَثْقَفَنّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَـرّدْ بِهِـم مّـنْ خَلْفَهُمْ لَعَلّهُمْ يَذّكّرُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فإما تلقين في الحرب هؤلاء الذين عاهدتهم فنقضوا عهدك مرّة بعد مرّة من قريظة فتأسرهم, فَشَرّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ يقول: فافعل بهم فعلاً يكون مشرّدا مَن خلفهم من نظرائهم ممن بينك وبينه عهد وعقد. والتشريد: التطريد والتبديد والتفريق. وإنما أمر بذلك نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بالناقض

العهد بينه وبينهم إذا قدر عليهم فعلاً يكون إخافة لمن وراءهم ممن كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه عهد, حتى لا يجترئوا على مثل الذي اجترأ عليه هؤلاء الذين وصف الله صفتهم في هذه الآية من نقض العهد.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12658ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ, عن ابن عباس قوله: فإمّا تَثْقَفَنّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ يعني: نكّلْ بهم من بعدهم.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: فَشَرّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ يقول: نكل بهم من وراءهم.

12659ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فإمّا تَثْقَفَنّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ يقول: عظ بهم من سواهم من الناس.

12660ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فإمّا تَثْقَفَنّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ يقول: نكل بهم من خلفهم من بعدهم من العدوّ, لعلهم يحذرون أن ينكثوا فيُصْنَع بهم مثل ذلك.

12661ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن أيوب, عن سعيد بن جبير: فَشَرّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ قال: أنذر بهم من خلفهم.

12662ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عطاء الخراسانيّ, عن ابن عباس, قال: نكل بهم من خلفهم من بعدهم. قال ابن جريج, قال عبد الله بن كثير: نكل بهم من وراءهم.

12663ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: فإمّا تَثْقَفَنّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلّهُمْ يَذّكّرُونَ: أي نكل بهم من وراءهم لعلهم يعقلون.

12664ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله: فَشَرّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ يقول: نكل بهم مَن بعدهم.

12665ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: فإمّا تَثْقَفَنّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ قال: أخفهم بما تصنع بهؤلاء وقرأ: وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ.

وأما قوله: لَعَلّهُمْ يَذّكّرُونَ فإن معناه: كي يتعظوا بما فعلت بهؤلاء الذين وصفت صفتهم, فيحذروا نقض العهد الذي بينك وبينهم, خَوْفَ أن ينزل بهم منك ما نزل بهؤلاء إذا هم نقضوه.

الآية : 58

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِمّا تَخَافَنّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىَ سَوَآءٍ إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبّ الخَائِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وإمّا تخافنّ يا محمد من عدوّ لك بينك وبينه عهد وعقد أن ينكث عهده وينقض عقده ويغدر بك, وذلك هو الخيانة والغدر. فانْبِذْ إلَيْهِمْ عَلى سَوَاءٍ يقول: فناجزهم بالحرب, وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم بما كان منهم من ظهور آثار الغدر والخيانة منهم حتى تصير أنت وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب, فيأخذوا للحرب

آلتها, وتبرأ من الغدر. إنّ اللّهَ لا يُحِبّ الخائِنِينَ الغادرين بمن كان منه في أمان وعهد بينه وبينه أن يغدر به, فيحاربه قبل إعلامه إياه أنه له حرب وأنه قد فاسخه العقد.

فإن قال قائل: وكيف يجوز نقض العهد بخوف الخيانة والخوف ظنّ لا يقين؟ قيل: إن الأمر بخلاف ما إليه ذهبتَ, وإنما معناه: إذا ظهرت آثار الخيانة من عدوّك وخفت وقوعهم بك, فألق إليهم مقاليد السلم وآذنهم بالحرب. وذلك كالذين كان من بني قريظة, إذ أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين إلى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربتهم معه بعد العهد الذي كانوا عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسالمة, ولن يقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكانت إجابتهم إياه إلى ذلك موجبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وبأصحابه منهم, فكذلك حكم كل قوم أهل موادعة للمؤمنين ظهر لإمام المسلمين منهم من دلائل الغدر مثل الذي ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قريظة منها, فحُقّ على إمام المسلمين أن ينبذ إليهم على سواء ويؤذنهم بالحرب.

ومعنى قوله: عَلى سَوَاءٍ: أي حتى يستوي علمك وعلمهم بأن كل فريق منكم حرب لصاحبه لا سلم. وقيل: نزلت الآية في قريظة. ذكر من قال ذلك:

12666ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فانْبِذْ إلَيْهِمْ عَلى سَوَاءٍ قال قريظة.

وقد قال بعضهم: السواء في هذا الموضع: المَهَل. ذكر من قال ذلك:

12667ـ حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا الوليد بن مسلم, قال: إنه مما تبين لنا أن قوله: فانْبِذْ إلَيْهِمْ عَلى سَوَاءٍ أنه على مهل. كما حدثنا بكير عن مقاتل بن حيان في قول الله: بَرَاءَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إلى الّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الأرْضِ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ.

وأما أهل العلم بكلام العرب, فإنهم في معناه مختلفون, فكان بعضهم يقول: معناه: فانبذ إليهم على عَدْل يعني حتى يعتدل علمك وعلمهم بما عليه بعضكم لبعض من المحاربة. واستشهدوا لقولهم ذلك بقول الراجز:

وَاضْرِبْ وُجُوهَ الغُدّرِ الأعْدَاءحتى يُجِيبُوكَ إلى السّوَاءِ

يعني إلى العدل. وكان آخرون يقولون: معناه الوسط, من قول حسان:

يا وَيْحَ أنْصَارِ الرّسُولِ وَرَهْطِهِبَعْدَ المُغَيّبِ فِي سَوَاءِ المُلْحَدِ

بمعنى في وسط اللحد. وكذلك هذه المعاني متقاربة, لأن العدل وسط لا يعلو فوق الحقّ ولا يقصر عنه, وكذلك الوسط عدل, واستواء الفريقين فيما عليه بعضهم لبعض بعض المهادنة عدل من الفعل ووسط. وأما الذي قاله الوليد بن مسلم من أن معناه المهل, فما لا أعلم له وجها في كلام العرب.

الآية : 59

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ يَحْسَبَنّ الّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوَاْ إِنّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ }.

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والعراق: «وَلا تَحْسَبنّ الّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إنّهُمْ» بكسر الألف من «إنهم» وبالتاء في «تحسبنّ», بمعنى: ولا تحسبنّ يا محمد الذين كفروا سبقونا ففاتونا بأنفسهم. ثم ابتدىء الخبر عن قدرة الله عليهم, فقيل: إن هؤلاء الكفرة لا

يعجِزون ربهم إذا طلبهم وأراد تعذيبهم وإهلاكهم بأنفسهم فيفوتوه بها. وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة والكوفة: وَلا يَحْسَبنّ الّذِينَ كَفَرُوا باليـاء في «يحسبنّ», وكسر الألف من «إنهم», وهي قراءة غير حميدة لمعنيين: أحدهما خروجهما من قراءة القرّاء وشذوذها عنها, والآخر بعدها من فصيح كلام العرب وذلك أن «يحسب» يطلب في كلام العرب منصوبا وخبره, كقوله: عبد الله يحسب أخاك قائما ويقوم وقام, فقارىء هذه القراءة أصحب «يحسب» خبرا لغير مخبر عنه مذكور, وإنما كان مراده: ظنيّ ولا يحسبنّ الذين كفروا سبقوا أنهم لا يعجزوننا, فلم يفكر في صواب مخرج الكلام وسقمه, واستعمل في قراءته ذلك كذلك ما ظهر له من مفهوم الكلام. وأحسب أن الذي دعاه إلى ذلك الاعتبار بقراءة عبد الله, وذلك أنه فيما ذكر في مصحف عبد الله: «وَلا يَحْسَبنّ الّذِينَ كَفَرُوا أنّهُمْ سَبَقُوا إنّهُمْ لا يُعْجِزُونَ» وهذا فصيح صحيح إذا أدخلت أنهم في الكلام, لأن «يحسبنّ» عاملة في «أنهم», وإذا لم يكن في الكلام «أنهم» كانت خالية من اسم تعمل فيه. وللذي قرأ من ذلك من القرّاء وجهان في كلام العرب وإن كانا بعيدين من فصيح كلامهم: أحدهما أن يكون أريد به: ولا يحسبنّ الذين كفروا أن سبقوا, أو أنهم سبقوا, ثم حذف «أن» و«أنهم», كما قال جلّ ثناؤه: وَمِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفا وَطَمَعا بمعنى: أن يريكم. وقد ينشد في نحو ذلك بيت لذي الرمة:

أظَنّ ابْنُ طُرْثُوثٍ عُيَيْنَةُ ذَاهِبابِعادِيّتِي تَكْذَابُهُ وَجَعائِلُهْ

بمعنى: أظنّ ابن طرثوث أن يذهب بعاديتي تكذابُه وجعائله. وكذلك قراءة من قرأ ذلك بالياء, يوجه «سبقوا» إلى «سابقين» على هذا المعنى. والوجه الثاني على أنه أراد إضمار منصوب ب «يحسب», كأنه قال: ولا يحسب الذين كفروا أنهم سبقوا, ثم حذف الهمز وأضمر. وقد وجه بعضهم معنى قوله: أنّمَا ذَلِكُمُ الشّيْطانُ يُخَوّفُ أوْلِياءَهُ إنما ذلكم الشيطان يخوّف المؤمن من أوليائه, وأن ذكر المؤمن مضمر في قوله: «يخوّف», إذ كان الشيطان عنده لا يخوّف أولياءه. وقرأ ذلك بعض أهل الشام: «وَلا يَحْسَبنّ الّذِينَ كَفَرُوا» بالتاء من «تحسبن» «سَبَقُوا إنّهُمْ لا يُعْجِزُونَ» بفتح الألف من «أنهم», بمعنى: ولا تحسبنّ الذين كفروا أنهم لا يعجزون. ولا وجه لهذه القراءة يعقل إلا أن يكون أراد القارىء ب «لا» التي في يعجزون «لا» التي تدخل في الكلام حشوا وصلة. فيكون معنى الكلام حينئذ: ولا تحسبنّ الذين كفروا سبقوا أنهم يعجزون. ولا وجه لتوجيه حرف فـي كتاب الله إلى التطويل بغير حجة يجب التسليم لها وله في الصحة مخرج.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ: «لا تَحْسَبن» بالتاء «الّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إنهُمْ» بكسر الألف من «إنهُمْ لا يُعْجِزُونَ» بمعنى: ولا تحسبنّ أنت يا محمد الذين جحدوا حجج الله وكذّبوا بها سبقونا بأنفسهم, ففاتونا, إنهم لا يعجزوننا: أي يفوتوننا بأنفسهم, ولا يقدرون على الهرب منا. كما:

12668ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: «وَلا يَحْسَبنّ الّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إنّهُمْ لا يُعْجِزُونَ» يقول: لا يفوتون.

الآية : 60

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَعِدّواْ لَهُمْ مّا اسْتَطَعْتُمْ مّن قُوّةٍ وَمِن رّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوّ اللّهِ وَعَدُوّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وأعدّوا لهؤلاء الذين كفروا بربهم الذين بينكم وبينهم عهد, إذا خفتم خيانتهم وغدرهم أيها المؤمنون بالله ورسوله ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوّةٍ يقول: ما أطقتم أن تعدّوه لهم من الآلات التي تكون قوّة لكم عليهم من السلاح والخيل. تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُو اللّهِ وَعَدُوّكُمْ يقول: تخيفون بإعدادكم ذلك عدوّ الله وعدوّكم من المشركين.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12669ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو إدريس, قال: سمعت أسامة بن زيد, عن صالح بن كيسان, عن رجل من جهينة يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأعِدّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوةٍ «ألا إنّ الرّمْيَ هُوَ القُوّةُ, ألاَ إنّ الرّمْيَ هُوَ الْقُوّةُ».

12670ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا سعيد بن شرحبيل, قال: حدثنا ابن لهيعة, عن يزيد بن أبي حبيب, وعبد الكريم بن الحرث, عن أبي عليّ الهمدانيّ, أنه سمع عقبة بن عامر على المنبر يقول: قال الله: وأعِدّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوّةٍ وَمِنْ رِباطِ الخَيْلِ ألا وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر «قالَ اللّهُ: وأعِدّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوّةٍ ألا أنّ القُوّةَ الرّمْيُ ألا إنّ القُوّةَ الرّمْيُ» ثَلاثا.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا محبوب وجعفر بن عون ووكيع وأبو أسامة وأبو نعيم, عن أسامة بن زيد, عن صالح بن كيسان, عن رجل, عن عقبة بن عامر الجهنيّ قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر: وأعِدّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوةٍ وَمِنْ رِباطِ الخَيْلِ فقال: «ألا إن القُوةَ الرمْيُ, ألا إن القُوةَ الرمْيُ» ثلاث مرات.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أسامة بن زيد, عن صالح بن كيسان, عن رجل, عن عقبة بن عامر, أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر, فذكر نحوه.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا أسامة بن زيد, عن صالح بن كيسان, عن عقبة بن عامر, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, نحوه.

حدثنا أحمد بن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا موسى بن عبيدة, عن أخيه محمد بن عبيدة, عن أخيه عبد الله بن عبيدة, عن عقبة بن عامر, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, في قوله: وأعِدّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوةٍ «ألا إن القُوةَ الرمْيُ».

12671ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن شعبة بن دينار, عن عكرمة, في قوله: وأعِدّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوةٍ قال: الحصون. وَمِنْ رِباطِ الخَيْلِ قال: الإناث.

12672ـ حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا ضمرة بن ربيعة, عن رجاء بن أبي سلمة, قال: لقي رجل مجاهدا بمكة, ومع مجاهد جُوالَق, قال: فقال مجاهد: هذا من القوّة ومجاهد يتجهز للغزو.

12673ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وأعِدّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوةٍ من سلاح.
وأما قوله: تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوّ اللَّهِ وَعَدُوّكُمْ فقال ابن وكيع:
12674ـ حدثنا أبي عن إسرائيل, عن عثمان بن المغيرة الثقفي, عن مجاهد, عن ابن عباس: تَرْهِبُونَ بِهِ عَدُوّ اللّهِ وَعَدُوّكُمْ قال: تخزون به عدوّ الله وعدوّكم.
حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن عثمان, عن مجاهد, عن ابن عباس, مثله.
حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيل, عن خصيف, عن عكرمة وسعيد بن جبير, عن ابن عباس: تَرْهِبُونَ بِهِ عَدُوّ اللّهِ وَعَدُوّكُمْ قال: تخزون به عدوّ الله وعدوّكم. وكذا كان يقرأ بها ترهبون.
حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيل, عن عثمان بن المغيرة وخصيف, عن مجاهد, عن ابن عباس: تُرْهِبُونَ بِهِ تخزون به.
حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن خصيف, عن عكرمة, عن ابن عباس, مثله.
يقال منه: أرهبت العدوّ ورهّبته, فأنا أُرْهِبُه وأُرَهّبُه إرهابا وترهيبا, وهو الرّهَبُ والرّهْبُ, ومنه قول طفيل الغنويّ:
وَيْلُ امّ حَيّ دَفَعْتُمْ فِي نُحُورِهِمُبَنِي كِلابٍ غَدَاةَ الرّعْبِ والرّهَبِ
القول في تأويل قوله تعالى: وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمهُمْ.
اختلف أهل التأويل في هؤلاء الآخرين من هم وما هم, فقال بعضهم: هم بنو قريظة. ذكر من قال ذلك:
12675ـ حُدثت عن عمار بن الحسن, قال: حدثنا ابن أبي جعفر, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ يعني من بني قريظة.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ قال: قريظة.
وقال آخرون: من فارس. ذكر من قال ذلك:
12676ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمهُمْ هؤلاء أهل فارس.
وقال آخرون: هم كل عدوّ للمسلمين غير الذي أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يشرّد بهم من خلفهم. قالوا: وهم المنافقون. ذكر من قال ذلك:
12677ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قول الله: فإمّا تَثْقَفَنّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ قال: أخفهم بهم لما تصنع بهؤلاء. وقرأ: وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمهُمْ.
12678ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمهُمْ قال: هؤلاء المنافقون لا تعلمونهم لأنهم معكم يقولون لا إله إلا الله ويغزون معكم.
وقال آخرون: هم قوم من الجنّ.
قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوّون به على جهاد عدوّه وعدوّهم

من المشركين من السلاح والرمـي وغيـر ذلـك وربـاط الخيـل. ولا وجـه لأن يقال: عني بالقوّة معنى دون معنى من معاني القوّة, وقد عمّ الله الأمر بها.
فإن قال قائل: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم, قد بين أن ذلك مراد به الخصوص بقوله: «ألا إن القُوّةَ الرّمْيُ». قيل لـه: إن الخـبر وإن كـان قـد جاء بذلك فليس في الخير ما يدلّ على أنه مراد بها الرمي خاصة دون سـائر معاني القوّة عليهم, فإن الرمي أحد معاني القوّة, لأنه إنما قيـل فـي الخـبر: «ألا إنّ القُوّةَ الرّمْيُ» ولم يقل دون غيرها. ومن القوّة أيضا السيف والرمـح والحربة, وكل ما كان معونة على قتال المشـركين, كمعونـة الرمـي أو أبلـغ من الرمي فيهم وفي النكاية منهم, هذا مع وهي سند الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وأما قوله: وآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ فإن قول من قال: عني به الجنّ, أقرب وأشبه بالصواب لأنه جـلّ ثنـاؤه قـد أدخـل بقـوله: وَمِـنْ رِبـاطِ الخَيْـلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَـدُوّ اللّـهِ وَعَـدُوّكُمْ الأمـر بارتبـاط الخيـل لإرهـاب كـلّ عـدوّ للـه وللمؤمنين يعلمـونهم, ولا شـكّ أن المـؤمنين كـانوا عـالمين بعـداوة قريظـة وفارس لهم, لعلمهم بأنهم مشركون وأنهم لهم حرب, ولا معنـى لأن يقـال: وهم يعلمونهم لهم أعداء, وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ولكن معنـى ذلـك: إن شاء الله ترهبون بارتباطكم أيها المؤمنون الخيل عدوّ الله وأعداءكم مـن بني آدم الذين قد علمتـم عـداوتهم لكـم لكفرهـم بـالله ورسـوله, وترهبـون بذلك جنسا آخر من غير بني آدم لا تعلمون أمـاكنهم وأحـوالهم اللـه يعلمهـم دونكم, لأن بني آدم لا يرونهـم. وقيـل: إن صـهيل الخيـل يرهـب الجـنّ, وإن الجنّ لا تقرب دارا فيها فرس.
فإن قال قائل: فإن المؤمنين كانوا لا يعلمون ما عليه المنافقون, فما تنكر أن يكون عني بذلك المنافقون؟ قيل: فإن المنافقين لم يكـن تروعهـم خيـل المسـلمين ولا سـلاحهم, وإنمـا كـان يروعهـم أن يظهـر المسـلمون علـى سرائرهم التي كانوا يستسرّون من الكفر, وإنما أمر المؤمنون بإعداد القوّة لإرهاب العدوّ, فأما من لم يرهبه ذلك فغير داخل في معنى مـن أمـر بإعـداد ذلك له المؤمنون, وقيل: «لا تعلمونهم», فاكتفي للعلم بمنصوب واحـد فـي هذا الموضع, لأنه أريد لا تعرفونهم, كما قال الشاعر:
فإنّ اللّهَ يَعْلَمُنِي وَوَهْباوأنّا سَوْفَ يَلْقاهُ كِلانا
القول في تأويل قوله تعالى: وَما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِـي سَـبِيلِ اللّـهِ يُـوَفّ إلَيْكُمْ وأنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ.
يقول تعالى ذكره: وما أنفقتم أيها المؤمنون من نفقة في شراء آلة حرب من سلاح أو حراب أو كراع أو غير ذلك من النفقات في جهاد أعداء الله مـن المشركين يخلفه الله عليكم في الدنيا, ويدّخر لكم أجوركم على ذلك عنده, حتى يوفيكموها يوم القيامة. وأنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ يقول: يفعـل ذلـك بكـم ربكـم فلا يضيع أجوركم عليه.
وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
12679ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: ومَا تُنْفِقُـوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفّ إلَيْكُمْ وأنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ: أي لا يضـيع لكـم عنـد الله أجره في الآخرة وعاجل خلفه في الدنيا.

الآية : 61

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن جَنَحُواْ لِلسّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكّلْ عَلَى اللّهِ إِنّهُ هُوَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإما تخافنّ من قوم خيانة وغدرا, فانبذ إليهم على سواء وآذنهم بالحرب. وَإِنْ جَنَحُوا للسّلْمِ فاجْنَحْ لَهَا وإن مالوا إلى مسالمتك ومتاركتك الحرب, إما بالدخول في الإسلام, وإما بإعطاء الجزية, وإما بموادعة, ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح فاجْنَحْ لَهَا يقول: فمل إليها, وابذل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسألوكه. يقال منه: جنح الرجل إلى كذا يجنح إليه جنوحا, وهي لتميم وقيس فيما ذكر عنها, تقول: يجنُح بضم النون. وآخرون: يقولون: يَجْنِحُ بكسر النون, وذلك إذا مال, ومنه قول نابغة بني ذبيان:

جَوَانِحَ قَدْ أَيْقَنّ أنّ قَبِيلَهُإِذَا ما الْتَقَى الجَمْعانِ أوّلُ غالِبِ

جوانح: موائل.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12680ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَإِنْ جَنَحُوا للسّلْمِ قال: للصلح. ونسخها قوله: فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ.

12681ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإِنْ جَنَحُوا للسّلْمِ إلى الصلح فاجْنَحْ لَهَا قال: وكانت هذه قبل براءة, كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يوادع القوم إلى أجل, فإما أن يسلموا وإما أن يقاتلوا, ثم نسخ ذلك بعد في براءة فقال: فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وقال: قاتِلُوا المُشْرِكِينَ كافّةً ونبذ إلى كلّ ذي عهد عهده, وأمره بقتالهم حتى يقولوا لا إله إلا الله ويسلموا, وأن لا يقبل منهم إلا ذلك, وكل عهد كان في هذه السورة وفي غيرها, وكلّ صلح يصالح به المسلمون المشركين يتوادعون به فإن براءة جاءت بنسخ ذلك, فأمر بقتالهم على كل حال حتى يقولوا: لا إله إلا الله.

12682ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, عن الحسن, عن يزيد, عن عكرمة والحسن البصري, قالا: وَإِنْ جَنَحُوا للسّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا نسختها الآية التي في براءة قوله: قاتِلُوا الّذينَ لا يُؤْمِنُونَ باللّهِ وَلا باليَوْمِ الآخِرِ... إلى قوله: وَهُمْ صَاغِرُونَ.

12683ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَإِنْ جَنَحُوا للسّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا يقول: وإن أرادوا الصلح فأرده.

12684ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وَإِنْ جَنَحُوا للسّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا: أي إن دعوك إلى السلم إلى الإسلام, فصالحهم عليه.

12685ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَإِنْ جَنَحُوا للسّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا قال: فصالحهم. قال: وهذا قد نسخه الجهاد.

فأما ما قاله قتادة ومن قال مثل قوله من أن هذه الآية منسوخة, فقول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل. وقد دللنا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره على أن الناسخ لا يكون إلا ما نفي حكم المنسوخ من كل وجه, فأما ما كان بخلاف ذلك فغير كائن ناسخا. وقول الله في براءة: فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حيْثُ وَجَدْتُموهُمْ غير ناف حكمه حكم قوله: وَإِنْ جَنَحُوا

للسّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا لأن قوله: وَإنْ جَنَحُوا للسّلْمِ إنّمَا عُني به بنو قريظة, وكانوا يهودا أهل كتاب, وقد أذن الله جلّ ثناؤه للمؤمنين بصلح أهل الكتاب ومتاركتهم الحرب على أخذ الجزية منهم. وأما قوله: فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ فإنما عني به مشركو العرب من عبدة الأوثان الذين لا يجوز قبول الجزية منهم, فليس في إحدى الآيتين نفي حكم الأخرى, بل كل واحدة منهما محكمة فيما أنزلت فيه.

12686ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَإنْ جَنَحُوا للسّلْمِ قال: قريظة.

وأما قوله: وَتَوَكّلْ على اللّهِ يقول: فوّض إلى الله يا محمد أمرك, واستكفه واثقا به أنه يكفيك. كالذي:

12687ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وَتَوَكّلْ على اللّهِ إن الله كافيك.

وقوله: إنّهُ هُوَ السّمِيعُ العَلِيمُ يعني بذلك: إن الله الذي تتوكل عليه سميع لما تقول أنت, ومن تسالمه وتتاركه الحرب من أعداء الله وأعدائك عند عقد السلم بينك وبينه, ويشرط كل فريق منكم على صاحبه من الشروط, والعليم بما يضمره كلّ فريق منكم للفريق الآخر من الوفاء بما عاقده عليه, ومن المضمِر ذلك منكم في قلبه والمنطوي على خلافه لصاحبه.

الآية : 62

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن يُرِيدُوَاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الّذِيَ أَيّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وإن يرد يا محمد هؤلاء الذين أمرتك بأن تنبذ إليهم على سواء, إن خفت منهم خيانة, وبمسالمتهم إن جنحوا للسلم خداعك والمكر بك فإنّ حَسْبَكَ اللّهُ يقول: فإن الله كافيكهم وكافيك خداعهم إياك, لأنه متكفل بإظهار دينك على الأديان ومتضمن أن يجعل كلمته العليا وكلمة أعدائه السفلى. هُوَ الّذِي أيّدَكَ بِنَصْرِهِ يقول: الله الذي قوّاك بنصره إياك على أعدائه, وبالمؤْمِنِينَ يعني بالأنصار.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12688ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَإنْ يُرِيدُوا أن يَخْدَعُوكَ قال: قريظة.

12689ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وَإنْ يُرِيدُوا أنْ يَخْدَعُوكَ فإنّ حَسْبَكَ اللّهُ هو من وراء ذلك.

12690ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: هُوَ الّذِي أيّدَكَ بِنَصْرِهِ قال: بالأنصار.

الآية : 63

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَلّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأرْضِ جَمِيعاً مّآ أَلّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـَكِنّ اللّهَ أَلّفَ بَيْنَهُمْ إِنّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }.

يريد جلّ ثناؤه بقوله: وألّفَ بينَ قُلُوبِهِمْ وجمع بين قلوب المؤمنين من الأوس والخزرج بعد التفرّق والتشتت على دينه الحقّ, فصيرهم به جميعا بعد أن كانوا أشتاتا, وإخوانا بعد أن كانوا أعداء.

وقوله: لَوْ أنْفَقْتَ ما فِي الأرْضِ جَمِيعا ما ألّفْتَ بينَ قُلُوبِهِمْ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لو أنفقت يا محمد ما في الأرض

جميعا من ذهب وورق وعرض, ما جمعت أنت بين قلوبهم بحيلك, ولكن الله جمعها على الهدى, فائتلفت واجتمعت تقوية من الله لك وتأييدا منه ومعونة على عدوّك. يقول جلّ ثناؤه: والذي فعل ذلك وسببه لك حتى صاروا لك أعوانا وأنصارا ويدا واحدة على من بغاك سوءا هو الذي إن رام عدوّ منك مراما يكفيك كيده وينصرك عليه, فثق به وامض لأمره وتوكل عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12691ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وألّفَ بينَ قُلُوبِهِمْ قال: هؤلاء الأنصار ألف بين قلوبهم من بعد حرب فيما كان بينهم.

12692ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن بشير بن ثابت رجل من الأنصار, أنه قال في هذه الآية: لَوْ أنْفَقْتَ ما فِي الأرْضِ جَمِيعا ما ألّفْتَ بينَ قُلُوبِهِمْ يعني الأنصار.

12693ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وألّفَ بينَ قُلُوبِهِمْ على الهدى الذي بعثك به إليهم. لَوْ أنْفَقْتَ ما فِي الأرْضِ جَمِيعا ما ألّفْتَ بينَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنّ اللّهَ ألّفَ بَيْنَهُمْ بدينه الذي جمعهم عليه, يعني الأوس والخزرج.

12694ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن إبراهيم الجزري, عن الوليد بن أبي مغيث, عن مجاهد قال: إذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما. قال: قلت لمجاهد: بمصافحة يغفر لهما؟ فقال مجاهد: أما سمعته يقول: لَوْ أنْفَقْتَ ما فِي الأرْضِ جَمِيعا ما ألّفْتَ بينَ قُلُوبِهِمْ؟ فقال الوليد لمجاهد: أنت أعلم مني.

12695ـ حدثنا عبد الكريم بن أبي عُمير, قال: ثني الوليد, عن أبي عمرو, قال: ثني عبدة بن أبي لبابة, عن مجاهد, ولقيته وأخذ بيدي, فقال: إذا تراءى المتحابان في الله فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك إليه, تحاتت خطاياهما كما يتحاتّ ورق الشجر. قال عبدة: فقلت له: إن هذا ليسير قال: لا تقل ذلك, فإن الله يقول: لَوْ أنْفَقْتَ ما فِي الأرْضِ جَمِيعا ما ألّفْتَ بينَ قُلُوبِهِمْ. قال عبدة: فعرفت أنه أفقه مني.

12696ـ حدثني محمد بن خلف, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: حدثنا فضيل بن غزوان, قال: أتيت أبا إسحاق, فسلمت عليه فقلت: أتعرفني؟ فقال فضيل: نعم لولا الحياء منك لقبلتك.

12697ـ حدثني أبو الأحوص, عن عبد الله, قال: نزلت هذه الآية في المتحابين في الله: لَوْ أنْفَقْتَ ما فِي الأرْضِ جَمِيعا ما ألّفْتَ بينَ قُلُوبِهِمْ.

12698ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا ابن عون, عن عمير بن إسحاق, قال: كنا نتحدث أن أول ما يرفع من الناس أو قال عن الناس الألفة.

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: حدثنا أيوب بن سويد, عن الأوزاعي, قال: ثني عبدة بن أبي لبابة, عن مجاهد, ثم ذكر نحو حديث عبد الكريم, عن الوليد.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة وابن نمير وحفص بن غياث, عن فضيل بن غزوان, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص, قال: سمعت عبد الله يقول: لَوْ أنْفَقْتَ ما فِي الأرْضِ جَمِيعا ما ألّفْتَ بينَ قُلُوبِهِمْ... الآية, قال: هم المتحابون في الله.

وقوله: إنّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ يقول: إن الله الذي ألف بين قلوب الأوس والخزرج بعد تشتت كلمتهما وتعاديهما وجعلهم لك أنصارا عزيز لا يقهره شيء ولا يردّ قضاءه رادّ, ولكنه ينفذ في خلقه حكمه. يقول: فعليه فتوكل, وبه فثق, حَكِيمٌ في تدبير خلقه.

الآية : 64

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا النّبِيّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا أيها النبيّ حسبك الله, وحسب من اتبعك من المؤمنين الله. يقول لهم جلّ ثناؤه: ناهضوا عدوّكم, فإن الله كافيكم أمرهم, ولا يهولنكم كثرة عددهم وقلة عددكم, فإن الله مؤيدكم بنصره.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12699ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا مؤمل بن إسماعيل, قال: حدثنا سفيان, عن شوذب بن معاذ, عن الشعبيّ في قوله: يا أيّها النّبيّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتّبَعَكَ منَ المُؤْمِنِينَ قال: حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين الله.

حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا سفيان, عن شوذب, عن الشعبيّ, في قوله: يا أيّها النّبيّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتّبَعَكَ منَ المُؤْمِنِينَ قال: حسبك الله وحسب من معك.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبيد الله, عن سفيان, عن شوذب, عن عامر, بنحوه, إلا أنه قال: حسبك الله وحسب من شهد معك.

12700ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, عن ابن زيد, في قوله: يا أيّها النّبيّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتّبَعَكَ منَ المُؤْمِنِينَ قال: يا أيها النبيّ حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين, إنّ حسبك أنت وهم الله.

ف«مَنْ» من قوله: وَمَنِ اتّبَعَكَ منَ المُؤْمِنِينَ على هذا التأويل الذي ذكرناه عن الشعبي نصب عطفا على معنى الكاف في قوله: حَسْبُكَ اللّهُ لا على لفظه, لأنها في محل خفض في الظاهر وفي محل نصب في المعنى, لأن معنى الكلام: يكفيك الله, ويكفي من اتبعك من المؤمنين. وقد قال بعض أهل العربية في «مَن»: إنها في موضع رفع على العطف على اسم الله, كأنه قال: حسبك الله ومتبعوك إلى جهاد العدوّ من المؤمنين دون القاعدين عنك منهم. واستشهد على صحة قوله ذلك بقوله: حَرّضِ المُؤْمِنِينَ على القِتالِ.

الآية : 65-66

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا النّبِيّ حَرّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُنْ مّنكُمْ مّئَةٌ يَغْلِبُوَاْ أَلْفاً مّنَ الّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنّهُمْ قَوْمٌ لاّ يَفْقَهُونَ * الآنَ خَفّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُنْ مّنكُمْ مّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوَاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصّابِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا أيّها النّبِيّ حَرّضِ المُؤْمِنِينَ على القِتالِ حُثّ متبعيك ومصدقيك على ما جئتهم به من الحق على قتال من أدبر وتولى عن الحق من المشركين. إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عشْرُونَ رجلاً صَابِرُونَ عند لقاء العدوّ, يحتسبون أنفسهم ويثبتون لعدوّهم يَغْلِبُوا

مِئَتَيْنِ من عدوّهم ويقهروهم. وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ عند ذلك يَغْلِبُوا منهم ألفا. بأنّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ يقول: من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب ولا لطلب أجر ولا احتساب لأنهم لم يفقهوا أن الله موجب لمن قاتل احتسابا وطلب موعودا لله في المعاد ما وعد المجاهدين فـي سبيله, فهم لا يثبتون إذا صدقوا في اللقاء خشية أن يقتلوا فتذهب دنياهم. ثم خفف تعالى ذكره عن المؤمنين إذ علم ضعفهم فقال لهم: الآنَ خَفّفَ اللّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أنّ فِيكُمْ ضَعْفا يعني أن في الواحد منهم عن لقاء العشرة من عدوّهم ضعفا, فإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ عند لقائهم للثبات لهم, يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ منهم, إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ ألْفٌ يَغْلِبُوا ألْفَيْنِ منهم بإذْنِ اللّهِ يعني بتخلية الله إياهم لغلبتهم ومعونته إياهم. وَاللّهُ مَعَ الصّابِرِينَ لعدوّهم وعدوّ الله, احتسابا في صبره وطلبا لجزيل الثواب من ربه, بالعون منه له والنصر عليه.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12701ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا محمد بن محبب, قال: حدثنا سفيان, عن ليث, عن عطاء في قوله: إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ قال: كان الواحد لعشرة, ثم جعل الواحد باثنين لا ينبغي له أن يفرّ منهما.

12702ـ حدثنا سعيد بن يحيى, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا ابن جريج, عن عمرو بن دينار, عن ابن عباس, قال: جعل على المسلمين على الرجل عشرة من الكفار, فقال: إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ فخفف ذلك عنهم, فجعل على الرجل رجلان. قال ابن عباس: فما أحبّ أن يعلم الناس تخفيف ذلك عنهم.

12703ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: قال محمد بن إسحاق, ثني عبد الله بن أبي نجيح المكيّ, عن عطاء بن أبي رباح, عن عبد الله بن عباس, قال: لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين وأعظموا أن يقاتل عشرون مئتين ومئة ألفا, فخفف الله عنهم, فنسخها بالآية الأخرى فقال: الآنَ خَفّفَ اللّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أنّ فِيكُمْ ضَعْفا فإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ ألْفٌ يَغْلِبُوا ألْفَيْنِ قال: وكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوّهم لم ينبغ لهم أن يفرّوا منهم, وإن كانوا دون ذلك لم يجب عليهم أن يقاتلوا, وجاز لهم أن يتحوّزوا عنهم.

12704ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ قال: كان لكل رجل من المسلمين عشرة لا ينبغي له أن يفرّ منهم, فكانوا كذلك حتى أنزل الله: الآنَ خَفّفَ اللّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أنّ فِيكُمْ ضَعْفافإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ فعبأ لكل رجل من المسلمين رجلين من المشركين, فنسخ الأمر الأوّل. وقال مرّة أخرى في قوله: إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ فأمر الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل عشرة من الكفار, فشقّ ذلك على المؤمنين ورحمهم الله, فقال: إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ ألْفٌ يَغْلِبُوا ألْفَيْنِ بإذنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصابِرِينَ فأمر الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل رجلين من الكفار.

12705ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يا أيّها النّبِيّ حَرّضِ المُؤْمِنِينَ على

القِتالِ... إلى قوله: بأنهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ وذلك أنه كان جعل على كل رجل من المسلمين عشرة من العدوّ يؤشّبهم, يعني يغريهم بذلك ليوطنوا أنفسهم على الغزو, وإن الله ناصرهم على العدوّ, ولم يكن أمرا عزمه الله عليهم ولا أوجبه, ولكن كان تحريضا ووصية أمر الله بها نبيه. ثم خفف عنهم فقال: الآنَ خَفّفَ اللّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أنّ فِيكُمْ ضَعْفا فجعل على كل رجل رجلين بعد ذلك تخفيفا, ليعلم المؤمنون أن الله بهم رحيم, فتوكلوا على الله وصبروا وصدقوا, ولو كان عليهم واجبا الغزو إذن بعد كل رجل من المسلمين عمن لقي من الكفار إذا كانوا أكثر منهم فلم يقاتلوهم. فلا يغرنك قول رجال, فإني قد سمعت رجالاً يقولون: إنه لا يصلح لرجل من المسلمين أن يقاتل حتى يكون على كل رجل رجلان, وحتى يكون على كل رجلين أربعة, ثم بحساب ذلك, وزعموا أنهم يعصون الله إن قاتلوا حتى يبلغوا عدة ذلك, وإنه لا حرج عليهم أن لا يقاتلوا حتى يبلغوا عدة أن يكون على كل رجل رجلان, وعلى كل رجلين أربعة, وقد قال الله: وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهِ رَءُوفٌ بالعِبادِ وقال الله: فقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لا تُكَلّفُ إلاّ نَفْسَكَ وَحَرّضِ المُؤْمِنِينَ فهو التحريض الذي أنزل الله عليهم في الأنفال, فلا يعجزك قائل: قد سقطت بين ظهري أناس كما شاء الله أن يكونوا.

12706ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, عن الحصين, عن يزيد, عن عكرمة والحسن قالا: قال في سورة الأنفال: إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا ألْفا مِنَ الّذِينَ كَفَرُوا بأنّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ثم نسخ فقال: الآنَ خَفّفَ اللّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أنّ فِيكُمْ ضَعْفا... إلى قوله: وَاللّهُ مَعَ الصّابِرِينَ.

12707ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن عكرمة, في قوله: إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ قال: واحد من المسلمين وعشرة من المشركين, ثم خفف عنهم فجعل عليهم أن لا يفرّ رجل من رجلين.

12708ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عظن مجاهد, قوله: إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ... إلى قوله: وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ قال: هذا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر, جعل على الرجل منهم عشرة من الكفار, فضجّوا من ذلك, فجعل على الرجل رجلين تخفيفا من الله.

12709ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إبراهيم بن يزيد, عن عمرو بن دينار وأبي معبد عن ابن عباس, قال: إنما أمر الرجل أن يصبر نفسه لعشرة, والعشرة لمئة إذ المسلمون قليل فلما كثر المسلمون خفف الله عنهم, فأمر الرجل أن يصبر لرجلين, والعشرة للعشرين, والمئة للمئتين.

12710ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح: إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ قال: كان فرض عليهم إذا لقي عشرون مئتين أن لا يفرّوا فإنهم إن لم يفرّوا غلبوا, ثم خفف الله عنهم وقال: إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ ألْفٌ يَغْلِبُوا ألْفَيْنِ فيقول: لا ينبغي أن يفرّ ألف من ألفين, فإنهم إن صبروا لهم غلبوهم.

12711ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: الآنَ خَفّفَ اللّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أنّ فِيكُمْ ضَعْفا إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَـةٌ صَـابِرَةٌ يَغْلِبُـوا مِئَتَيْنِ وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ جعل الله على كل رجل رجلين بعد ما كان على كل رجل عشرة. وهذا الحديث عن ابن عباس.

12712ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يزيد بن هارون, عن جرير بن حـازم, عن الزبيـر بـن الخريـت, عـن عكرمـة, عـن ابـن عبـاس: كـان فـرض علـى المؤمنين أن يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين, قوله: إنْ يَكُنْ مِنْكُـمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإنْ يَكُـنْ مِنْكُـمْ مِئَـةٌ يَغْلِبُـوا أَلْفـا فشـقّ ذلـك عليهم, فأنزل الله التخفيف, فجعل على الرجل أن يقاتل الرجلين, قوله: إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ فخفـف اللـه عنهـم, ونُقِصـوا مـن الصـبر بقدر ذلك.

12713ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السدي: إنْ يَكُـنْ مِنْكُـمْ عِشْـرُونَ صَـابِرُونَ يَغْلِبُـوا مِئَتَيْـنِ يقول: يقاتلوا مئتين, فكانوا أضعف من ذلـك, فنسـخها اللـه عنهـم, فخفـف فقال: فـإنْ يَكُـنْ مِنْكُـمْ مِئَـةٌ صَـابِرَةٌ يَغْلِبُـوا مِئَتَيْـنِ فجعـل أوّل مـرّة الرجـلَ لعشرة, ثم جعل الرجل لاثنين.

12714ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبـد الـرزاق, قـال: أخبرنـا معمر, عن ابن أبي نجيح, عـن مجاهـد, فـي قـوله: إنْ يَكُـنْ مِنْكُـمْ عِشْـرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ قال: كان فرض عليهـم إذا لقـي عشـرون مئـتين أن لا يفرّوا, فإنهم إن لم يفرّوا غلبوا, ثم خفف الله عنهم فقال: إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْـفٌ يَغْلِبُـوا أَلْفَيْـنِ بـإذْنِ اللّـهِ فيقـول: لا ينبغي أن يفرّ ألف من ألفين, فإنهم إن صبروا لهم غلبوهم.

12715ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن جويبر, عن الضحاك, قال: كان هذا واجبا أن لا يفرّ واحد من عشرة.

12716ـ وبه قال: أخبرنا الثوري, عن ليث, عن عطاء, مثل ذلك.

وأما قوله: بأنّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ فقد بيّنا تأويله.

وكان ابن إسحاق يقول في ذلك ما:

12717ـ حدثنا به ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عـن ابـن إسـحاق: بـأنّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ: أي لا يقاتلون على نية, ولا حقّ فيه, ولا معرفة لخير ولا شرّ.

وهذه الآية, أعني قوله: إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْـنِ وإن كان مخرجها مخرج الخبر, فإن معناها الأمر, يدلّ على ذلك قوله: الآنَ خَفّفَ اللّهُ عَنْكُمْ فلم يكن التخفيف إلا بعد التثقيل, ولـو كـان ثبـوت العشـرة منهـم للمئة من عدوّهم كان غير فرض عليهـم قبـل التخفيـف وكـان نـدبا لـم يكـن للتخفيف وجه لأن التخفيف إنما هو ترخيص في ترك الواحـد مـن المسـلمين الثبوت للعشرة من العدوّ, وإذا لم يكن التشديد قد كان له متقـدما لـم يكـن للترخيص وجه, إذ كان المفهوم من الترخيص إنما هو بعد التشـديد. وإذ كـان ذلك كذلك, فمعلوم أن حكم قـوله: الآنَ خَفّـفَ اللّـهُ عَنْكُـمْ وَعَلِـمَ أنّ فِيكُـمْ ضَعْفا ناسخ لحكم قوله: إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْـرُونَ صَـابِرُونَ يَغْلِبُـوا مِئَتَيْـنِ وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفا مِنَ الّذِينَ كَفَرُوا, وقد بيّنا في كتابنا «لطيف البيـان عن أصول الأحكام» أن كل خبر من اللـه وعـد فيـه عبـاده علـى عمـل ثوابـا وجزاءً, وعلى تركه عقابا وعذابا, وإن لم يكـن خارجـا ظـاهره مخـرج الأمـر, ففي معنى الأمر بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

واختلفت القـرّاء فـي قـراءة قـوله: وَعَلِـمَ أنّ فِيكُـمْ ضَـعْفا فقـرأه بعـض المدنيين وبعض البصريين: «وَعَلِمَ أنّ فِيكُمْ ضَعْفا» بضـم الضـاد فـي جميـع القرآن وتنوين الضعف على المصدر مـن ضَـعُفَ الرجـل ضُـعْفا. وقـرأ ذلـك عامة قرّاء الكوفيين: وَعَلِمَ أنّ فِيكُمْ ضَعْفا بفتح الضاد على المصدر أيضا من ضعف. وقرأه بعض المدنيين: «ضُعَفَاء» على تقدير فعلاء, جمع ضعيف على ضعفاء كما يجمع الشريك شركاء والرحيم رحماء.

وأولى القراءة في ذلك بالصواب قراءة من قرأه: «وعلم أن فيكم ضَعفا» و«ضُعفا», بفتح الضاد أو ضمها, لأنهما القراءتان المعروفتـان, وهمـا لغتـان مشهورتان في كلام العرب فصيحتان بمعنى واحد, فبأيتهما قرأ القارىء فهو مصيب الصواب. فأما قراءة من قرأ ذلك: «ضُعَفَاء» فإنها عن قراءة القـرّاء شاذة, وإن كان لها في الصحة مخرج, فلا أحبّ لقارىء القراءة بها.

الآية : 67

القول في تأويل قوله تعالى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىَ حَتّىَ يُثْخِنَ فِي الأرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ما كان لنبيّ أن يحتبس كافرا قدر عليه وصار في يده من عَبَدَة الأوثان للفداء أو للمـنّ. والأسـر فـي كلام العـرب: الحبـس, يقـال منه: مأسور, يراد به: محبوس, ومسموع منهم: أناله لله أسـرا. وإنمـا قـال الله جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسـلم يعرّفـه أن قتـل المشـركين الذين أسـرهم صـلى اللـه عليـه وسـلم يـوم بـدر ثـم فـادى بهـم كـان أولـى بالصواب من أخذ الفدية منهم وإطلاقهم.

وقوله: حتى يُثْخِنَ فِي الأرْضِ يقول: حتى يبالغ في قتل المشـركين فيهـا, ويقهرهم غلبة وقسرا, يقـال منَـه: أثخـن فلان فـي هـذا الأمـر إذا بـالغ فيـه, وحُكي أثخنته معرفة, بمعنى: قتلته معرفـة. تريـدون: يقـول للمـؤمنين مـن أصحاب رسول الله صلى الله عليـه وسـلم: تريـدون أيهـا المؤمنـون عـرض الدنيا بأسركم المشركين, وهو ما عرض للمرء منها من مـال ومتـاع, يقـول: تريدون بأخذكم الفداء من المشركين متاع الدنيا وطُعْمها. وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ يقول: والله يريد لكم زينة الآخرة, وما أعدّ للمؤمنين وأهل ولايته فـي جنـاته بقتلكم إياهم وإثخانكم في الأرض, يقول لهم: واطلبوا ما يريد الله لكـم ولـه اعملوا لا ما تدعوكم إليه أهواء أنفسكم من الرغبة في الدنيا وأسبابها. وَاللّـهُ عَزِيزٌ يقول: إن أنتم أردتم الآخرة لم يغلبكم عدوّ لكم, لأن الله عزيز لا يقهـر ولا يغلب, وإنه حَكِيمٌ في تدبيره أمره خلقه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12718ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَكُونَ لَهُ أسْرَى حـتى يُثْخِـنَ فـي الأرْضِ وذلـك يـوم بـدر والمسـلمون يومئـذ قليـل فلمـا كـثروا واشـتدّ سلطانهم, أنزل الله تبارك وتعالى بعد هذا في الأسارى: فإمّا مَنّـا بَعْـدُ وإمّـا فِدَاءً فجعل الله النبيّ والمؤمنين في أمر الأسارى بالخيار, إن شاءوا قتلوهم وإن شاءوا استعبدوهم وإن شاءوا فادَوْهم.

12719ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَكُونَ لَهُ أسْرَى حتى يُثْخِنَ في الأرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدنيْا... الآية, قال: أراد أصحاب نبيّ اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يـوم بـدر الفـداء,

ففادوهم بأربعة آلاف, ولعمري ما كان أثخن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وكان أوّل قتال قاتله المشركين.
12720ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن فضيل, عن حبيب بن أبي عمرة, عن مجاهد, قال: الإثخان: القتل.
12721ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا شريك, عن الأعمش, عن سعيد بن جبير, في قوله: ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَكُونَ لَهُ أسْرَى حتى يُثْخِنَ في الأرْضِ قال: إذا أسرتموهم فلا تفادوهم حتى تثخنوا فيهم القتل.
12722ـ قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيل, عن خصيف, عن مجاهد: ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَكُونَ لَهُ أسْرَى... الآية, نزلت الرخصة بعد, إن شئت فمُنّ وإن شئت ففَادِ.
12723ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَكُونَ لَهُ أسْرَى حتى يُثْخِنَ في الأرْضِ يعني: الذين أسروا ببدر.
12724ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَكُونَ لَهُ أسْرَى من من عدوه. حتى يُثْخِنَ في الأرْضِ: أي يثخن عدوّه, حتى ينفيهم من الأرض. تُرِيدُونَ عَرَض الدّنْيا: أي المَتاع والفداء بأخذ الرجال. وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ بقتلهم لظهور الدين الذي يريدون إطفاءه, الذي به تدرك الآخرة.
12725ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, قال: حدثنا الأعمش, عن عمرو بن مرّة, عن أبي عبيدة, عن عبد الله, قال: لما كان يوم بدر وجيء بالأسرى, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تَقُولُونَ في هَؤُلاءِ الأسْرَى؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك, استبقهم واستأن بهم, لعلّ الله أن يتوب عليهم وقال عمر: يا رسول الله كذّبوك وأخرجوك, قدّمهم فاضرب أعناقهم وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله, انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه, ثم أضرمه عليهم نارا قال: فقال له العباس: قطعت رَحِمَكَ. قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم, ثم دخل فقال ناسٌ: يأخُذُ بقَوْلِ أبي بَكْرٍ, وَقالَ ناسٌ: يأخُذُ بقَوْلِ عُمَرَ, وَقالَ ناسٌ: يَأخُذُ بقَوْلِ عبَدْ اللّهِ بْنِ رَوَاحَةَ. ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: «إن اللّهَ لَيُلِينُ قُلُوبَ رِجالٍ حتى تَكُونَ أليَنَ مِنَ اللّبَنِ, وإن اللّهَ لَيُشَدّدَ قُلُوبَ رِجالٍ حتى تَكُونَ أشَدَّ مِنَ الحِجارَةِ وَإنّ مَثَلَكَ يا أبا بَكْرٍ مَثَلُ إبْرَاهِيمَ, قالَ: مَنْ تَبِعَنِي فإنّهُ مِنّي وَمَنْ عَصَانِي فإنّكَ غَفُورٌ رُحِيمٌ وَمَثَلَكَ يا أبا بَكْرٍ مَثَلُ عِيسَى, قالَ: إنْ تُعَذّبَهُمْ فإنّهُمْ عِبادُكَ... الآية, ومَثَلَكَ يا عُمَرَ مَثَلُ نُوحٍ قالَ: رَبّ لا تَذَرْ على الأرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيّارا, وَمَثَلُكَ يا ابْنَ رَوَاحَةَ كمَثَلِ مُوسَى, قالَ: رَبّنا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حتى يَرَوُا العَذَابَ الأليمَ». قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنْتُمُ اليَوْمَ عالَةٌ, فَلا ينْفَلِتَنّ أحَدٌ مِنْهُمْ إلاّ بِفِدَاءٍ أوْ ضَرْبِ عُنُقٍ» قال عبد الله بن مسعود: إلا سهيل بن بيضاء, فإني سمعته يذكر الإسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم, فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليّ الحجارة من السماء مني في ذلك اليوم, حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إلاّ سُهَيْلَ بْنَ بَيْضَاءَ» قال: فأنزل الله:

ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَكُونَ لَهُ أسْـرَى حـتى يُثْخِـنَ فـي الأرْضِ... إلـى آخـر الثلاث الآيات.

12726ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عكرمة بـن عمـار, قـال: حـدثنا أبـو زميل, قال: ثني عبد الله بن عباس, قال: لما أسروا الأسارى يعني يوم بـدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيْنَ أبُو بَكْـرٍ وَعُمَـر وعَلـيّ؟» قـال: «مـا تـرون فـي الأسـارى؟» فقـال أبـو بكـر: يـا رسـول اللـه هـم بنـو العـم والعشيرة, وأرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوّة على الكفار, وعسى اللــه أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تَرَى يا ابْـنَ الخَطّابِ؟» فقال: لا والذي لا إله إلا هو ما أرى الذي رأى أبو بكر يا نبيّ الله, ولكن أرى أن تمكننا منهم, فتمكن عليّـا مـن عقيـل فيضـرب عنقـه, وتمكـن حمزة من العباس فيضرب عنقه, وتمكنني مـن فلان نسـيب لعمـر فأضـرب عنقه, فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوِي رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم ما قال أبو بكر, ولم يهو ما قلت. قال عمر: فلما كان مـن الغـد حئـت إلى رسول الله صلى الله عليه وسـلم, فـإذا هـو وأبـو بكـر قاعـدان يبكيـان, فقلت: يا رسول الله أخبرني من أيّ شيء تبكي أنت وصاحبك, فـإن وجـدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت فقال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم: «أبْكِي للّذِي عَرَضَ لأصَحابِي مِنْ أخْذِهِمُ الفِدَاءَ, وَلَقَـدْ عُـرِضَ عَلـيّ عَـذَابُكُمْ أدْنَى مِنْ هَذِهِ الشّجَرَةِ» لشجرة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عزّ وجلّ ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَكُونَ لَهُ أسْرَى حتى يُثْخِنَ فـي الأرْضِ... إلى قوله: حَلالاً طَيّبا وأحلّ اللّه الغنيمة لهم.

الآية : 68

القول في تأويل قوله تعالى: {لّوْلاَ كِتَـابٌ مّـنَ اللّـهِ سَـبَقَ لَمَسّـكُمْ فِيمَـآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره لأهل بدر الذين غنموا وأخذوا من الأسرى الفداء: لَـوْلا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ يقول: لولا قضاء من الله سبق لكم أهل بـدر فـي اللـوح المحفوظ بأن الله محلّ لكم الغنيمة, وأن الله قضى فيما قضى أنـه لا يضـلّ قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون, وأنه لا يعذّب أحدا شهد المشـهد الذي شهدتموه ببدر مع رسول الله صلى الله عليـه وسـلم ناصـرا ديـن اللـه لنالكم من الله بأخذكم الغنيمة والفداء عذاب عظيم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12727ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حـدثنا ابـن أبـي عـديّ, قـال: حـدثنا عوف, عن الحسن, في قوله: لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ... الآية, قال: إن الله كان مطعم هذه الأمة الغنيمة, وإنهم أخذوا الفداء مـن أسـارى بـدر قبـل أن يؤمروا به. قال: فعاب الله ذلك عليهم, ثم أحله الله.

12728ـ حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع, قال: حدثنا بشر بن المفضـل, عن عوف, عن الحسن, في قول اللّـه: لَـوْلا كِتـابٌ مِـنَ اللّـهِ سَـبَقَ... الآيـة, وذلك يوم بدر, أخذ أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسـلم المغـانم والأسـارى قبل أن يؤمروا به, وكان الله تبارك وتعالى قد كتب فـي أمّ الكتـاب المغـانم والأسارى حلال لمحمد وأمته, ولم يكن أحله لأمـة قبلهـم. وأخـذوا المغـانم, وأسروا الأسارى قبل أن ينزل إليهم في ذلك, قال الله: لَوْلا كِتـابٌ مِـنَ اللّـهِ سَبَقَ يعني في الكتاب الأوّل أن المغانم والأسـاري حلال لكـم لمسّـكُمْ فِيمـا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

12729ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ... الآية, وكانت الغنائم قبل أن يُبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم في الأمم إذا أصابوا مغنما جعلوه للقربان, وحرّم الله عليهم أن يأكلوا منه قليلاً أو كثيرا, حرم ذلك على كلّ نبيّ وعلى أمته, فكانوا لا يأكلون منه ولا يغلّون منه ولا يأخذون منه قليلاً ولا كثيرا إلا عذّبهم الله عليه. وكان الله حرمه عليهم تحريما شديدا, فلم يحلّه لنبيّ إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم. وكان قد سبق من الله في قضائه أن المغنم له ولأمته حلال, فذلك قوله يوم بدر في أخذ الفداء من الأسارى: لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

12730ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن عروة, عن الحسن: لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ قال: إن الله كان معطي هذه الأمة الغنيمة, وفعلوا الذي فعلوا قبل أن تحلّ الغنيمة.

12731ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمرة قال: قال الأعمش, في قوله: لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ قال: سبق من الله أن أحلّ لهم الغنيمة.

12732ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى, عن بشير بن ميمون, قال: سمعت سعيدا يحدث عن أبي هريرة, قال: قرأ هذه الآية: لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ قال: يعني: لولا أنه سبق في علمي أني سأحلّ الغنائم, لمسّكم فيما أخذتم من الأسارى عذاب عظيم.

12733ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, وأبو معاوية, بنحوه, عن الأعمش, عن أبي صالح, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أُحِلّتِ الغَنائمُ لِأَحَد سُودِ الرّءُوسِ مِنْ قَبْلِكُمْ, كانَتْ تَنْزِلُ نارٌ مِنَ السّماءِ وتَأْكُلُها», حتى كان يوم بدر, فوقع الناس في الغنائم, فأنزل الله لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسّكُمْ... حتى بلغ حَلالاً طَيّبا.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن أبي صالح, عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, بنحوه, قال: فلما كان يوم بدر أسرع الناس في الغنائم.

12734ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن فضيل, عن أشعث بن سوار, عن ابن سيرين, عن عبيدة, قال: أسر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اخْتارُوا أَنْ تَأْخُذُوا مِنْهُمْ الفِدَاءَ فَتَقْوَوْا بِهِ على عَدُوّكُمْ, وَإنْ قَبِلْتُمُوهُ قُتِلَ مِنْكُمْ سَبْعونَ, أَوْ تَقْتُلُوهُمْ» فقالوا: بل نأخذ الفدية منهم, وقُتل منهم سبعون. قال عبيدة: وطلبوا الخيرتين كلتيهما.

12735ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن فضيل, عن أشعث, عن ابن سيرين, عن عبيدة, قال: كان فداء أسارى بدر: مئة أوظقية والأوقية أربعون درهما ومن الدنانير: ستة دنانير.

12736ـ حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم, قالا: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا ابن عون, عن ابن سيرين, عن عبيدة, أنه قال في أسارى بدر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنْ شِئْتُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ, وَإنْ شِئْتُمْ فادَيْتُمُوهُمْ وَاسْتَشْهَدَ مِنْكُمْ بِعِدّتِهِمْ» فقالوا: بلى, نأخذ الفداء فتستمتع به ويستشهد منا بعدتهم.

12737ـ حدثني أحمد بن محمد الطوسي, قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث, قال: حدثنا همام بن يحيى, قال: حدثنا عطاء بن السائب, عن أبي وائل, عن عبد الله بن مسعود, قال: أمر عمر رضي الله عنه بقتل الأسارى, فأنزل الله: لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

12738ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ قال: كان المغنم محرما على كلّ نبيّ وأمته, وكانوا إذا غنموا يجعلون المغنم لله قربانا تأكله النار, وكان سبق في قضاء الله وعلمه أن يحلّ المغنم لهذه الأمة يأكلون في بطونهم.

12739ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء في قول الله: لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ قال: كان في علم لله أن تحلّ لهم الغنائم, فقال: لولا كتاب من الله سبق بأنه أحلّ لكم الغنائم, لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم.

وقال آخرون: معنى ذلك: لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر أن لا يعذبهم لمسهم عذاب عظيم. ذكر من قال ذلك:

12740ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أحمد الزبيريّ, عن شريك, عن سالم, عن سعيد: لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ قال: لأهل بدر من السعادة.

12741ـ حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا ابن نمير, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لأهل بدر مشهدهم.

12742ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الحسن: لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ قال: سبق من الله خير لأهل بدر.

12743ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ كان سبق لهم من الله خير, وأحل لهم الغنائم.

حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد, عن عمرو بن عبيد, عن الحسن: لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ قال: سبق أن لا يعذّب أحدا من أهل بدر.

حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لأهل بدر ومشهدهم إياه.

12744ـ حدثني يونس, قال: أخبرني ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ لمسكم فيما أخذتم من الغنائم يوم بدر قبل أن أحلها لكم. فقال: سبق من الله العفو عنهم, والرحمة لهم سبق أن لا يعذّب المؤمنين, لأنه لا يعذّب رسوله ومن آمن به وهاجر معه ونصره.

وقال آخرون: معنى ذلك: لولا كتاب من الله سبق أن لا يؤاخذ أحدا بفعل أتاه على جهالة, لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم. ذكر من قال ذلك:

12745ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لأهل بدر ومشهدهم إياه, قال: كتاب سبق لقوله: وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْما بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حتى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ سبق ذلك وسبق أن لا يؤاخذ قوما فعلوا شيئا بجهالة. لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ قال ابن جريج: قال ابن عباس: فيما أخذتم مما أسرتم. ثم قال بعد: فَكُلُوا مِمّا غَنِمْتُمْ.

12746ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: عاتبه في الأسارى وأَخْذ الغنائم, ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكل مغنما من عدوّ له.

12747ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد, قال: ثني أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نُصِرْتُ بالرّعْبِ وَجُعِلَتْ لِيَ الأرْضُ مَسْجِدا وَطَهُورا, وأُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ, وأُحِلّتْ لِيَ المَغانِمُ ولَمْ تَحِلَّ لِنَبِيَ كانَ قَبْلِي, وأُعْطِيتُ الشّفاعَةَ, خَمْسٌ لَمْ يُؤتَهُنّ نَبِيّ كانَ قَبْلِي». قال محمد: فقال: ما كانَ لِنَبِيّ أي قبلك أنْ يَكُونَ لَهُ أسْرَى... إلى قوله: لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسّكُمْ فِيما أخَذْتُمْ أي من الأسارى والمغانم. عَذَابٌ عَظِيمٌ: أي لولا أنه سبق مني أن لا أعذّب إلا بعد النهي ولم أكن نهيتكم لعذّبتكم فيما صنعتم, ثم أحلها له ولهم رحمة ونعمة وعائدة من الرحمن الرحيم.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قد بيناه قبل, وذلك أن قوله: لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ خبر عام غير محصور على معنى دون معنى. وكل هذه المعاني التي ذكرتها عمن ذكرت مما قد سبق في كتاب الله أنه لا يؤاخذ بشيء منها هذه الأمة, وذلك ما عملوا من عمل بجهالة, وإحلال الغنيمة والمغفرة لأهل بدر, وكل ذلك مما كتب لهم. وإذ كان ذلك كذلك فلا وجه لأن يخصّ من ذلك معنى دون معنى, وقد عمّ الله الخبر بكل ذلك بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه.

12748ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: لم يكن من المؤمنين أحد ممن نصر إلا أحبّ الغنائم إلا عمر بن الخطاب, جعل لا يلقي أسيرا إلا ضرب عنقه, وقال: يا رسول الله مالنا وللغنائم, نحن قوم نجاهد في دين الله حتى يعبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَوْ عُذّبْنا فِي هَذَا الأمْرِ يا عُمَرُ ما نَجا غيرُكَ». قال الله: لا تعودوا تستحلون قبل أن أحلّ لكم.

12749ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: قال ابن إسحاق: لمّا نزلت: لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ... الآية, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَوْ نَزَلَ عَذَابٌ مِنَ السّماءِ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ إلاّ سَعْدُ بْنُ مُعاذٍ» لقوله: يا نبيّ الله كان الإثخان في القتل أحبّ إليّ من استبقاء الرجال.

الآية : 69

القول في تأويل قوله تعالى: {فَكُلُواْ مِمّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيّباً وَاتّقُواْ اللّهَ إِنّ اللّهَ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أهل بدر: فكلوا أيها المؤمنون مما غنمتم من أموال المشركين حلالاً بإحلاله لكم طيبا. وَاتّقُوا اللّهَ يقول: وخافوا الله أن تعودوا أن تفعلوا في دينكم شيئا بعد هذه من قبل أن يعهد فيه إليكم, كما فعلتم في أخذ الفداء وأكل الغنيمة وأخذتموهما من قبل أن يحلا لكم. إنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم, وتأويل الكلام: فكلوا مما غنمتم حلالاً طيبا, إن الله غفور رحيم, واتقوا الله. ويعني بقوله: إنّ اللّهَ غَفُورٌ لذنوب أهل الإيمان من عباده, رَحِيمٌ بهم أن يعاقبهم بعد توبتهم منها.

الآية : 70

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيُّهَا النَّبِيّ قُل لِّمَن فِيَ أَيْدِيكُمْ مِّنَ الأسْرَىَ إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مّمّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا أيها النبيّ قل لمن في يديك وفي يدي أصحابك من أسرى المشركين الذين أخذ منهم من الفداء ما أخذ إنْ يَعْلَمِ الله في قُلُوبِكُمْ خَيْرا يقول: إن يعلم الله في قلوبكم إسلاما يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء. وَيَغْفِرْ لَكُمْ يقول: ويصفح لكم عن عقوبة جرمكم الذي اجترمتموه بقتالكم نبيّ الله وأصحابه وكفركم بالله. وَاللّهُ غَفُورٌ لذنوب عباده إذا تابوا, رَحِيمٌ بهم أن يعاقبهم عليها بعد التوبة. وذُكر أن العباس بن عبد المطلب كان يقول: فيّ نزلت هذه الآية. ذكر من قال ذلك:

12750ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن إدريس, عن ابن إسحاق, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, عن ابن عباس, قال: قال العباس: فيّ نزلت: ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَكُونَ لَهُ أسْرَى حتى يُثْخِنَ في الأرْضِ, فأخبرت النبيّ صلى الله عليه وسلم بإسلامي, وسألته أن يحاسبني بالعَشرين الأوقية التي أخذ مني فأبى, فأبدلني الله بها عشرين عبدا كلهم تاجر, مالي في يديه.

وقد حدثنا بهذا الحديث ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: قال محمد, ثني الكلبي, عن أبي صالح, عن ابن عباس, عن جابر بن عبد الله بن رئاب, قال: كان العباس بن عبد المطلب يقول: فيّ والله نزلت حين ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إسلامي. ثم ذكر نحو حديث ابن وكيع.

12751ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: قُلْ لِمَنْ فِي أيْدِيكُمْ مِنَ الأسْرَى... الآية, قال: ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم لمّا قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفا, وقد توضأ لصلاة الظهر, فما أعطى يومئذ شاكيا ولا حرم سائلاً وما صلى يومئذ حتى فرّقه, وأمر العباس أن يأخذ منه ويحتثي, فأخذ. قال: وكان العباس يقول: هذا خير مما أخذ منا وأرجو المغفرة.

12752ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: يا أيّها النّبِيّ قُلْ لِمَنْ فِي أيْدِيكُمْ مِنَ الأسْرَى... الآية, وكان العباس أسر يوم بدر, فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب, فقال العباس حين نزلت هذه الآية: لقد أعطاني الله خصلتين ما أحبّ أن لي بهما الدنيا: أني أسرت يوم بدر ففديت نفسي بأربعين أوقية, فآتاني أربعين عبدا وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله.

12753ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يا أيّها النّبِيّ قُلْ لِمَنْ فِي أيْدِيكُمْ مِنَ الأسْرَى... إلى قوله: وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ يعني بذلك من أسر يوم بدر, يقول: إن عملتم بطاعتي ونصحتم لرسولي, آتيتكم خيرا مما أخذ منكم وغفرت لكم.

12754ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس: يا أيّها النّبِيّ قُلْ لِمَنْ فِي أيْدِيكُمْ مِنَ الأسْرَى عباس وأصحابه, قال: قالوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم: آمنا بما جئت به, ونشهد أنك لرسول الله, لننصحنّ لك على قومنا فنزل: إنْ يَعْلِمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرا يُؤْتِكُمْ خَيْرا مِمّا أُخِذَ مِنْكُمْ إيمانا وتصديقا, يخلف

لكم خيرا مما أصيب منكم, وَيَغْفِرْ لَكُمْ الشرك الذي كنتم عليه. قال: فكان العباس يقول: ما أحبّ أن هذه الآية لم تنزل فينا وأن لي الدنيا, لقد قال: يُؤْتِكُمْ خَيْرا مِمّا أُخِذَ مِنْكُمْ فقد أعطاني خيرا مما أخذ مني مئة ضعف, وقال: وَيَغْفِرْ لَكُمْ وأرجو أن يكون قد غفر لي.

12755ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يا أيّها النّبِيّ قُلْ لِمَنْ فِي أيْدِيكُمْ مِنَ الأسْرَى... الآية, يعني العباس وأصحابه أسروا يوم بدر, يقول الله: إن عملتم بطاعتي ونصحتم لي ولرسولي أعطيتكم خيرا مما أخذ منكم وغفرت لكم. وكان العباس بن عبد المطلب يقول: لقد أعطانا الله خصلتين ما شيء هو أفضل منهما: عشرين عبدا. وأما الثانية: فنحن في موعود الصادق, ننتظر المغفرة من الله سبحانه.

الآية : 71

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن يرد هؤلاء الأسارى الذين في أيديكم خيانتك: أي الغدر بك والمكر والخداع, بإظهارهم لك بالقول خلاف ما في نفوسهم, فَقَدْ خَانُوا الله مِنْ قَبْلُ يقول: فقد خالفوا أمر الله ممن قبل وقعة بدر, وأمكن منهم ببدر المؤمنين. والله عَلِيمٌ بما يقولون بألسنتهم ويضمرونه في نفوسهم, حَكِيمٌ في تدبيرهم وتدبير أمور خلقه سواهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12756ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس: وَإنْ يُرِيدُوا خِيانَتَكَ يعني: العباس وأصحابه في قولهم: آمنا بما جئت به, ونشهد أنك رسول الله, لننصحن لك على قومنا يقول: إن كان قولهم خيانة فقد خانوا الله من قبل, فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ يقول: قد كفروا وقاتلوك, فأمكنك الله منهم.

12757ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإنْ يُرِيدُوا خِيانَتَكَ... الآية. قال: ذكر لنا أن رجلاً كتب لنبيّ الله صلى الله عليه وسلم, ثم عمد فنافق, فلحق بالمشركين بمكة, ثم قال: ما كان محمد يكتب إلا ما شئتُ فلما سمع ذلك رجل من الأنصار, نذر لئن أمكنه الله منه ليضربنه بالسيف. فلما كان يوم الفتح أمّن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلا عبد الله بن سعد بن أبي سرح, ومقيس بن صُبابة, وابن خطل, وامرأة كانت تدعو على النبيّ صلى الله عليه وسلم كل صباح. فجاء عثمان بابن أبي سرح, وكان رضيعه أو أخاه من الرضاعة, فقال: يا رسول الله هذا فلان أقبل تائبا نادما, فأعرض نبيّ الله صلى الله عليه وسلم. فلم سمع به الأنصاريّ أقبل متقلدا سيفه, فأطاف به, وجعل ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يومىء إليه. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم يده فبايعه, فقال: «أَمَا والله لقد تَلَوّمْتُكَ فيه لتُوفي نَذْرَكَ», فقال: يا نبيّ الله إني هبتك, فلولا أومضت إليّ فقال: «إنّه لا يَنْبَغي لِنَبيّ أنْ يُومِضَ».

12758ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَإنْ يُرِيدُوا خِيانَتَكَ فَقَدْ خانُوا اللّهَ مِنْ قَبْلُ فَأمْكَنْ مِنْهُمْ يقول: قد كفروا بالله ونقضوا عهده, فأمكن منهم ببدر.

الآية : 72

القـول فـي تأويـل قـوله تعـالى: {إِنّ الّـذِينَ آمَنُـواْ وَهَـاجَرُواْ وَجَاهَـدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالّذِينَ آوَواْ وّنَصَرُوَاْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَـآءُ بَعْضٍ وَالّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُمْ مّن وَلاَيَتِهِم مّن شَيْءٍ حَتّـىَ يُهَـاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدّينِ فَعَلَيْكُمُ النّصْرُ إِلاّ عَلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُـمْ مّيثَـاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: إن الذين صدقوا الله ورسوله. وَهاجَرُوا يعني: هجروا قومهم وعشيرتهم ودورهم, يعني: تركوهم وخرجوا عنهم, وهجرهم قـومُهم وعشـيرتهم. وَجاهَـدُوا فِـي سَـبِيلِ اللّـهِ يقـول: بـالغوا فـي إتعـاب نفوسـهم وإنصابها في حرب أعداء الله من الكفار في سبيل الله, يقول في ديـن اللـه الذي جعله طريقا إلى رحمته والنجاة من عذابه. وَالّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا يقـول: والذين آووا رسول الله والمهاجرين معه يعني أنهم جعلوا لهـم مـأوى يـأوون إليه, وهو المثـوى والمسـكن, يقـول: أسـكنوهم وجعلـوا لهـم مـن منـازلهم مساكن, إذ أخرجهم قـومهم مـن منـازلهم ونَصَـرُوا يقـول: ونصـروهم علـى أعدائهم وأعداء الله من المشركين. أولئكَ بعضُهمْ أوْلياءُ بَعْضٍ يقول: هاتـان الفرقتان, يعني المهاجرين والأنصار, بعضهم أنصار بعض, وأعوان علـى مـن سواهم من المشركين, وأيديهم واحدة على من كفر بالله, وبعضـهم إخـوان لبعض دون أقربائهم الكفـار. وقـد قيـل: إنمـا عنـى بـذلك أن بعضـهم أولـى بميـراث بعـض, وأن اللـه ورّث بعضـهم مـن بعـض بـالهجرة والنصـرة دون القرابة والأرحام, وأن الله نسخ ذلك بعد بقوله: وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ. ذكر من قال ذلك:

12759ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إنّ الّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَـدُوا بـأمْوَالِهِمْ وأنْفُسِـهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالّـذِينَ آوَوْا وَنَصَـرُوا أُولَئِـكَ بَعْضُـهُمْ أوْلِيـاءُ بَعْـضٍ يعنـي فـي الميراث. جعل الميراث للمهاجرين والأنصـار دون ذوي الأرحـام, قـال اللـه: وَالّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حتى يُهـاجِرُوا يقـول: ما لكم من ميراثهم من شيء, وكانوا يعملـون بـذلك, حـتى أنـزل اللـه هـذه الآية: وأُولُـوا الأرْحـامِ بَعْضُـهُمْ أوْلـى بِبَعْـضٍ فِـي كِتـابِ اللّـهِ فـي الميـراث, فنسخت التي قلبها, وصار الميراث لذوي الأرحام.

12760ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيـه, عـن ابـن عبـاس, قـوله: إنّ الّـذِينَ آمَنُـوا وَهـاجَرُوا وَجاهَـدُوا بأمْوَالِهِمْ وأنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يقول: لا هجرة بعد الفتح, إنما هو الشهادة بعد ذلكَ وَالّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْـضٍ... إلـى قـوله: حـتى يُهاجِرُوا وذلك أن المؤمنين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاث منازل. منهم المؤمن المهاجر المباين لقـومه فـي الهجـرة, خـرج إلى قوم مؤمنين في ديارهم وعقارهم وأموالهم, وآوَوْا وَنَصَـرُوا وأعلنـوا مـا أعلن أهل الهجرة, وشهروا السيوف على من كذب وجحـد, فهـذان مؤمنـان جعل اللـه بعضـهم أوليـاء بعـض, فكـانوا يتوارثـون بينهـم إذا تـوفي المـؤمن المهاجر ورثه الأنصاريّ بالولاية في الدين, وكان الذي آمن ولم يهاجر لا يرث من أجل أنه لم يهاجر ولم ينصر. فبرأ الله المؤمنين المهاجرين من ميراثهم, وهي الولاية التي قال الله: ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حتى يُهاجِرُوا وكـان حقّـا علـى المـؤمنين الـذين آووا ونصـروا إذا استنصـروهم فـي الـدين أن

ينصروهم إن قاتلوا إلا أن يستنصروا على قوم بينهم وبين النبيّ صلى الله عليه وسلم ميثاق, فلا نصر لهم عليهم إلا على العدو الذين لا ميثاق لهم. ثم أنزل الله بعد ذلك أن ألحق كل ذي رحم برحمه من المؤمنين الذين هاجروا والذين آمنوا ولم يهاجروا, فجعل لكل إنسان من المؤمنين نصيبا مفروضا بقوله: وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ إنّ اللّهَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ, وبقوله: وَالمُؤمِنُونَ والمُؤمِناتُ بَعْضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْضٍ.

12761ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: الثلاث الآيات خواتيم الأنفال فيهنّ ذكر ما كان من ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مهاجري المسلمين وبين الأنصار في الميراث, ثم نسخ ذلك آخرها: وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ إنّ اللّهَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

12762ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عبد الله بن كثير, قوله: إنّ الّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا... إلى قوله: بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ قال: بلغنا أنها كانت في الميراث لا يتوارث المؤمنون الذين هاجروا والمؤمنون الذين لم يهاجروا, قال: ثم نزل بعد: وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ إنّ اللّهَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فتوارثوا ولم يهاجروا. قال ابن جريج, قال مجاهد: خواتيم الأنفال الثلاث الآيات فيهنّ ذكر ما كان والي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين المسلمين وبين الأنصار في الميراث, ثم نسخ ذلك آخرها: وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ.

12763ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: إنّ الّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا بأمْوَالِهِمْ وأنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا... إلى قوله: ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حتى يُهاجِرُوا قال: لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة, والأعرابي المسلم لا يرث من المهاجر شيئا, فنسخ ذلك بعد ذلك قول الله: وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُهاجِرِينَ إلاّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا أي من أهل الشرك. فأجيزت الوصية, ولا ميراث لهم, وصارت المواريث بالملل, والمسلمون يرث بعضهم بعضا من المهاجرين والمؤمنين, ولا يرث أهل ملتين.

12764ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, عن الحسن, عن يزيد, عن عكرمة والحسن, قالا: إنّ الّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ... إلى قوله: ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حتى يُهاجِرُوا كان الأعرابي لا يرث المهاجر ولا يرثه المهاجر, فنسخها فقال: وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ إنّ اللّهَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

12765ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: إنّ الّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا بأمْوَالِهِمْ وأنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْضٍ فِي الميراث, وَالّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا وهؤلاء الأعراب, ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ في الميراث, وَإنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدّين يقول بأنهم مسلمون, فَعَلَيْكُمُ النّصْرُ إلاّ على قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ. وَالّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أوْلِيَاءُ بَعْضٍ في الميراث, وَالّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ

مِنْكُمْ الذين توارثوا على الهجرة في كتاب الله, ثم نسختها الفرائض والمواريث, فتوارث الأعراب والمهاجرون.

القول في تأويل قوله تعالى: وَالّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حتى يُهاجِرُوا وَإنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدّينِ فَعَلَيْكُمُ النّصْرُ إلاّ على قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.

يعني بقوله تعالى ذكره: والّذِينَ آمَنُوا الذين صدقوا بالله ورسوله, ولَمْ يُهاجِرُوا قومهم الكفار, ولم يفارقوا دار الكفر إلى دار الإسلام. ما لَكُمْ أيها المؤمنون بالله ورسوله المهاجرون قومهم المشركين وأرضَ الحرب, مِنْ وَلايَتِهِمْ يعني: من نصرتهم وميراثهم. وقد ذكرت قول بعض من قال: معنى الولاية ههنا الميراث, وسأذكر إن شاء الله من حضرني ذكره بعد. مِنْ شَيْءٍ حتى يُهاجِرُوا قومهم ودورهم من دار الحرب إلى دار الإسلام. وَإنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدّينِ يقول: إن استنصركم هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا في الدين, يعني بأنهم من أهل دينكم على أعدائكم وأعدائهم من المشركين, فعليكم أيها المؤمنون من المهاجرين والأنصار النصر, إلا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق, يعني عهد قد وثق به بعضكم على بعض أن لا يحاربه. وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يقول: والله بما تعملون فيما أمركم ونهاكم من ولاية بعضكم بعضا أيها المهاجرون والأنصار, وترك ولاية من آمن ولم يهاجر, ونصرتكم إياهم عند استنصاركم في الدين, وغير ذلك من فرائض الله التي فرضها عليكم. بَصِيرٌ يراه ويبصره, فلا يخفى عليه من ذلك ولا من غيره شيء.

12766ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حتى يُهاجِرُوا قال: كان المسلمون يتوارثون بالهجرة, وآخى النبيّ صلى الله عليه وسلم بينهم, فكانوا يتوارثون بالإسلام والهجرة, وكان الرجل يسلم ولا يهاجر لا يرث أخاه, فنسخ ذلك قوله: وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُهاجِرِينَ.

12767ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الزهري: أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أخذ على رجل دخل في الإسلام, فقال: «تُقيمُ الصّلاةَ, وتُؤْتي الزّكَاةَ, وتَحجّ البَيْتَ, وتَصُومُ رَمَضَانَ, وأنّكَ لا ترى نَارَ مُشْرِكٍ إلاّ وأنْتَ حَرْبٌ».

12768ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَإنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدّينِ يعني: إن استنصركم الأعراب المسلمون أيها المهاجرون والأنصار على عدوّهم فعليكم أن تنصروهم. إلاّ على قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ.

12769ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج قال: قال ابن عباس: ترك النبيّ صلى الله عليه وسلم الناس يوم توفي على أربع منازل: مؤمن مهاجر, والأنصار, وأعرابي مؤمن لم يهاجر إن استنصره النبيّ صلى الله عليه وسلم نصره وإن تركه فهو إذن له وإن استنصر النبيّ صلى الله عليه وسلم في الدين كان حقّا عليه أن ينصره, فذلك قوله: وَإنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدّينِ فَعَلَيْكُمُ النّصْرُ. والرابعة: التابعون بإحسان.

12770ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: إنّ الّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا... إلى آخر السورة, قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وترك الناس على أربع منازل: مؤمن مهاجر, ومسلم أعرابي, والذين آووا ونصروا, والتابعون بإحسان.

الآية : 73

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلاّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: وَالّذِينَ كَفَرُوا بالله ورسوله, بَعْضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْضٍ يقول: بعضهم أعوان بعض وأنصاره, وأحقّ به من المؤمنين بالله ورسوله. وقد ذكرنا قول من قال: عنى بيان أن بعضهم أحقّ بميراث بعض من قرابتهم من المؤمنين, وسنذكر بقية من حضرنا ذكره.

12771ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن السديّ, عن أبي مالك, قال: قال رجل: نورّث أرحامنا من المشركين فنزلت: وَالّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْضٍ... الآية.

12772ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: وَالّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْضٍ إلاّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ نزلت في مواريث مشركي أهل العهد.

12773ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَالّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حتى يُهاجِرُوا... إلى قوله: وَفَسادٌ كَبِيرٌ قال: كان المؤمن المهاجر, والمؤمن الذي ليس بمهاجر لا يتوارثان وإن كانا أخوين مؤمنين. قال: وذلك لأن هذا الدين كان بهذا البلد قليلاً حتى كان يوم الفتح فلما كان يوم الفتح وانقطعت الهجرة توارثوا حيثما كانوا بالأرحام, وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ». وقرأ: وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ.

وقال آخرون: معنى ذلك: إن الكفار بعضهم أنصار بعض وإنه لا يكون مؤمنا من كان مقيما بدار الحرب ولم يهاجر. ذكر من قال ذلك:

12774ـ حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَالّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْضٍ قال: كان ينزل الرجل بين المسلمين والمشركين فيقول: إن ظهر هؤلاء كنت معهم, وإن ظهر هؤلاء كنت معهم. فأبى الله عليهم ذلك, وأنزل الله في ذلك فلا تراءى نار مسلم ونار مشرك إلا صاحب جزية مقرّا بالخراج.

12775ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: حضّ الله المؤمنين على التواصل, فجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم, وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض.

وأما قوله: إلاّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله, فقال بعضهم: معناه: إلا تفعلوا أيها المؤمنون ما أمرتم به من موارثة المهاجرين منكم بعضهم من بعض بالهجرة والأنصار بالإيمان دون أقربائهم من أعراب المسلمين ودون الكفار تَكُنْ فِتْنَةٌ يقول: يحدث بلاءً في الأرض بسبب ذلك, وَفَسادٌ كَبِيرٌ يعني: ومعاصي الله. ذكر من قال ذلك:

12776ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إلاّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ إلا تفعلوا هذا تتركوهم يتوارثون كما كانوا يتوارثون, تكن فتنة في الأرض وفساد كبير. قال: ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الإيمان إلا بالهجرة, ولا يجعلونهم منهم إلا بالهجرة.

12777ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَالّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْضٍ يعني في الميراث. إلا تَفْعَلُوهُ يقول: إلا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به. تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ.

وقال آخرون: معنى ذلك: إلا تناصروا أيها المؤمنون في الدين تكن فتنة في الأرض وفساد كبير. ذكر من قال ذلك:

12778ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: جعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم, وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض, ثم قال: إلاّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ أن يتولى المؤمن الكافر دون المؤمن. ثم رد المواريث إلى الأرحام.

12779ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج, قوله: إلاّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ قال: إلا تعاونوا وتناصروا في الدين, تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بتأويل قوله: وَالّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْضٍ قول من قال: معناه: أن بعضهم أنصار بعض دون المؤمنين, وأنه دلالة على تحريم الله على المؤمن المقام في دار الحرب وترك الهجرة لأن المعروف في كلام العرب من معنى الوليّ أنه النصير والمعين أو ابن العم والنسيب. فأما الوارث فغير معروف ذلك من معانيه إلا بمعنى أنه يليه في القيام بإرثه من بعده, وذلك معنى بعيد وإن كان قد يحتمله الكلام. وتوجيه معنى كلام الله إلى الأظهر الأشهر, أولى من توجيهه إلى خلاف ذلك.

وإذ كان ذلك كذلك, فبيّن أن أولى التأويلين بقوله: إلاّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ تأويل من قال: إلا تفعلوا ما أمرتكم به من التعاون والنصرة على الدين تكن فتنة في الأرض, إذ كان متبدأ الآية من قوله: إنّ الّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا بأمْوَالِهِمْ وأنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بالحثّ على الموالاة على الدين والتناصر جاء, وكذلك الواجب أن يكون خاتمتها به.

الآية : 74

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالّذِينَ آوَواْ وّنَصَرُوَاْ أُولَـَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لّهُمْ مّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}.

يقول تعالى ذكره: وَالّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ والّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه ونصروهم ونصروا دين الله, أولئك هم أهل الإيمان بالله ورسوله حقّا, لا من آمن ولم يهاجر دار الشرك وأقام بين أظهر أهل الشرك ولم يغز مع المسلمين عدوّهم. لَهُمْ مَغْفِرَةٌ يقول: لهم ستر من الله على ذنوبهم بعفوه لهم عنها, وَرِزْقٌ كَرِيمٌ يقول: لهم في الجنة طعم ومشرب هنيّ كريم, لا يتغير في أجوافهم فيصير نَجْوا, ولكنه يصير رشحا كرشح المسك. وهذه الآية تنبىء عن صحة ما قلنا أن معنى قول الله: بَعْضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْضٍ في هذه

الآية, وقوله: ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَـيْءٍ إنمـا هـو النصـرة والمعونـة دون الميراث لأنه جل ثناؤه عقب ذلك بالثنـاء علـى المهـاجرين والأنصـار والخـبر عما لهم عنده دون من لم يهاجر بقوله: وَالّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَـدُوا فِـي سَبِيلِ اللّهِ والّذِينَ آوَوْا وَنَصَـرُوا... الآيـة, ولـو كـان مـرادا بالآيـات قبـل ذلـك الدلالة على حكم ميراثهم لم يكن عقيب ذلك إلا الحثّ على مضـيّ الميـراث على ما أمر, وفي صحة ذلك كذلك الدليل الواضح على أن لا ناسخ فـي هـذه الآيات لشيء ولا منسوخ.

الآية : 75

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْـدُ وَهَـاجَرُواْ وَجَاهَـدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْـضٍ فِـي كِتَـابِ اللّـهِ إِنّ اللّهَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: والذين آمنوا بالله ورسوله من بعد تبياني ما بينت من ولاية المهاجرين والأنصار بعضهم بعضا وانقطاع ولايتهم ممن آمن ولم يهاجر حـتى يهـاجر وهـاجروا دار الكفـر إلـى دار الإسـلام وجاهـدوا معكـم أيهـا المؤمنون, فأولئك منكم في الولاية يجب عليكم لهم من الحقّ والنصرة فـي الدين والموارثة مثل الذي يجب لكم عليهم ولبعضكم على بعض. كما:

12780ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثم رد المواريث إلـى الأرحـام الـتي بينهـا فقـال: وَالّـذِينَ آمَنُـوا مِـنْ بَعْـدُ وَهـاجَرُوا وَجاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلـى بِبَعْـضٍ فِـي كِتـابِ اللّهِ أي في الميراث, إنّ اللّهَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

القول في تأويل قوله تعالى: وأُلُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتـابِ اللّهِ إنّ اللّهَ بِكُلّ شيْءٍ عَلِيمٌ.

يقول تعالى ذكره: والمتناسبون بالأرحام بعضهم أولى ببعض في الميراث, إذا كانوا ممن قسم الله له منه نصيبا وحظًّا من الحليف والـوليّ, فِـي كِتـاب اللّهِ يقول: فـي حكـم اللـه الـذي كتبـه فـي اللـوح المحفـوظ والسـابق مـن القضاء. إنّ اللّهَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يقول: إن الله عـالم بمـا يصـلح عبـاده فـي توريثه بعضهم من بعض في القرابة والنسب دون الحلف بالعقد, وبغير ذلـك من الأمور كلها, لا يخفى عليه شيء منها.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12781ـ حدثنا أحمد بن المقدام, قال: حدثنا المعتمر بن سـليمان, قـال: حدثنا أبي, قال: حدثنا قتادة أنه قال: كان لا يـرث الأعرابي المهـاجرَ حـتى أنزل الله: وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ.

12782ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا معاذ بن معاذ, قال: حدثنا ابن عون, عن عيسى بن الحـرث, أن أخـاه شـريح بـن الحـرث كـانت لـه سـرية فولدت منه جاريـة, فلمـا شـبت الجاريـة زوّجـت, فولـدت غلامـا, ثـم مـاتت السرّية, واختصم شريح بن الحرث والغلام إلى شريح القاضي فـي ميراثهـا, فجعل شريح بن الحرث يقول: ليس له ميراث في كتاب الله. قـال: فقضـى شريح بالميراث للغلام. قال: وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْـضٍ فِـي كِتـابِ اللّهِ فركب ميسرة بن يزيد إلى ابـن الزبيـر, وأخـبره بقضـاء شـريح وقـوله, فكتب ابن الزبير إلى شريح أن ميسرة أخبرني أنك قضيت بكذا وكذا وقلـت: وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ وإنه ليس كذلك, إنما نزلت هذه الآية: أن الرجل كان يعاقد الرجل يقول: ترثني وأرثك, فنزلـت: وأُولُـوا

الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ. فجاء بالكتاب إلى شـريح, فقـال شريح: أعتقها جنين بطنها وأبى أن يرجع عن قضائه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن ابن عون, قال: ثني عيسى بن الحرث, قال: كانت لشريح بن الحرث سرية, فذكر نحـوه, إلا أنـه قال في حديثه: كان الرجل يعاقد الرجل يقول: ترثني وأرثك فلما نزلت ترك ذلك.

سورة التوبة

مدنية

وآياتها تسع وعشرون ومائة

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها التوبة.

الآية : 1،2

{بَرَآءَةٌ مّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الّذِينَ عَاهَدْتُمْ مّنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُواْ فِي الأرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوَاْ أَنّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَأَنّ اللّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ}.

يعني بقوله جل ثناؤه: بَرَاءَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَسولِهِ هذه براءة من الله ورسوله. ف «براءة» مرفوعة بمحذوف, وهو «هذه», كما في قوله: سُورَةٌ أنْزَلْناها مرفوعة بمحذوف هو «هذه», ولو قال قائل: براءة مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله: إلى الّذِينَ عاهَدْتُمْ وجعلها كالمعرفة ترفع ما بعدها, إذ كانت قد صارت بصلتها وهي قوله: مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ كالمعرفة, وصار معنى الكلام: براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين كان مذهبا غير مدفوعة صحته, وإن كان القول الأول أعجب إليّ, لأن من شأن العرب أن يضمروا لكل معاين نكرة كان أو معرفة ذلك المعاين, هذا وهذه, فيقولون عند معاينتهم الشيء الحسن: حسن والله, والقبيح: قبيح والله, يريدون: هذا حسن والله, وهذا قبيح والله فلذلك اخترت القول الأوّل.

وقال: بَرَاءَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَسولِهِ إلى الّذِينَ عاهَدْتُمْ والمعنى: إلى الذين عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين لأن العهود بين المسلمين والمشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يتولى عقدها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من يعقدها بأمره, ولكنه خاطب المؤمنين بذلك لعلمهم بمعناه, وأن عقود النبيّ صلى الله عليه وسلم على أمته كانت عقودهم, لأنهم كانوا لكل أفعاله فيهم راضين, ولعقوده عليهم مسلمين, فصار عقده عليهم كعقودهم على أنفسهم, فلذلك قال: إلى الّذِينَ عاهَدْتُم مِنَ المُشْرِكِينَ لما كان من عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده.

وقد اختلف أهل التأويل فيمن برىء الله ورسوله إليه من العهد الذي كان بينه وبين رسول الله من المشركين فأذن له في السياحة في الأرض أربعة أشهر, فقال بعضهم: صنفان من المشركين: أحدهما: كانت مدة العهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أقلّ من أربعة أشهر, وأمهل بالسياحة أربعة أشهر, والآخر منهما كانت مدة عهده بغير أجل محدود فقصر به على أربعة أشهر ليرتاد لنفسه, ثم هو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين يقتل حيثما أدرك ويؤسر إلا أن يتوب. ذكر من قال ذلك:

12783ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه أميرا على الحاجّ من سنة تسع ليقيم للناس حجهم, والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم. فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين, ونزلت سورة براءة في نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم: أن لا يصدّ عن البيت أحد جاءه, وأن لا يخاف أحد في الشهر الحرام. وكان ذلك عهدا عامّا بينه وبين الناس من أهل الشرك, وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص إلى أجل مسمى, فنزلت فيه وفيمن تخلف عنه من المنافقين في تبوك وفي قول من قال منهم, فكشف الله فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون, منهم من سمي لنا, ومنهم من لم يسمّ لنا, فقال: بَرَاءَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَسولِهِ إلى الّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ أي لأهل العهد العام من أهل الشرك من العرب, فَسِيحُوا فِي الأرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ... إلى قوله: أنّ اللّهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ أي بعد هذه الحجة.

وقال آخرون: بل كان إمهال الله عزّ وجلّ بسياحة أربعة أشهر من كان من المشركين بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد, فأما من لم يكن له من رسول الله عهد فإنما كان أجله خمسين ليلة, وذلك عشرون من ذي الحجة والمحرّم كله. قالوا: وإنما كان ذلك كذلك, لأن أجل الذين لا عهد لهم كان إلى انسلاخ الأشهر الحرم, كما قال الله: فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ... الآية, قالوا: والنداء ببراءة كان يوم الحجّ الأكبر, وذلك يوم النحر في قول قوم وفي قول آخرين: يوم عرفة, وذلك خمسون يوما. قالوا: وأما تأجيل الأشهر الأربعة, فإنما كان لأهل العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوم نزلت براءة. قالوا: ونزلت في أوّل شوّال, فكان انقضاء مدة أجلهم انسلاخ الأشهر الحرم. وقد كان بعض من يقول هذه المقالة يقول: ابتداء التأجيل كان للفريقين واحدا, أعني الذي له العهد والذي لا عهد له غير أن أجل الذي كان له عهد كان أربعة أشهر, والذي لا عهد له: انسلاخ الأشهر الحرم, وذلك انقضاء المحرّم. ذكر من قال ذلك:

12784ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: بَرَاءَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَسولِهِ إلى الّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الأرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ قال: حدّ الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر يسيحون فيها حيثما شاءوا, وحدّ أجل من ليس له عهد انسلاخ الأشهر الحرم من يوم النحر إلى انسلاخ المحرم, فذلك خمسون ليلة فإذا انسلخ الأشهر الحرم أمره بأن يضع السيف فيمن عاهد.

12785ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: لما نزلت بَرَاءَةٌ مِنَ اللّهِ... إلى: وأنّ اللّهَ مُخْزِي الْكافِرِينَ يقول: براءة من المشركين الذين كان لهم عهد, يوم نزلت براءة. فجعل مدة من كان له عهد قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر, وأمرهم أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر, وجعل مدة المشركين الذين لم يكن لهم عهد قبل أن ينزل براءة انسلاخ الأشهر الحرم, وانسلاخ الأشهر الحرم من يوم أذن ببراءة إلى انسلاخ المحرّم وهي خمسون ليلة: عشرون

من ذي الحجة, وثلاثون من المحرّم. فإذا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ إلى قوله: وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلّ مَرْصدٍ يقول: لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت براءة, وانسلخ الأشهر الحرم, ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم أذن ببراءة إلى عشر من أول ربيع الآخر, فذلك أربعة أشهر.

12786ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: بَرَاءَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَسولِهِ إلى الّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ قبل أن تنزل براءة عاهد ناسا من المشركين من أهل مكة وغيرهم, فنزلت براءة من الله إلى كل أحد ممن كان عاهدك من المشركين فإني أنقض العهد الذي بينك وبينهم, فأؤجلهم أربعة أشهر يسيحون حيث شاءوا من الأرض آمنين, وأجل من لم يكن بينه وبين النبيّ صلى الله عليه وسلم عهد انسلاخ الأشهر الحرم من يوم أذن ببراءة وأذن بها يوم النحر, فكان عشرين من ذي الحجة والمحرّم ثلاثين, فذلك خمسون ليلة. فأمر الله نبيه إذا انسلخ المحرّم أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبين نبيّ الله صلى الله عليه وسلم عهد يقتلهم حتى يدخلوا في الإسلام, وأمر بمن كان له عهد إذا انسلخ أربعة من يوم النحر أن يضع فيهم السيف أيضا يقتلهم حتى يدخلوا في الإسلام. فكانت مدة من لا عهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة من يوم النحر, ومدة من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد أربعة أشهر من يوم النحر إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر.

12787ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: بَرَاءَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَسولِهِ... إلى قوله: وَبَشّرِ الّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ قال: ذكر لنا أن عليّا نادى بالأذان, وأمر على الحاج أبو بكر رضي الله عنهما, وكان العام الذي حجّ فيه المسلمون والمشركون, ولم يحجّ المشركون بعد ذلك العام. قوله: الّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ... إلى قوله: إلى مُدّتِهِمْ قال: هم مشركو قريش الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية, وكان بقي من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر وأمر الله نبيه أن يوفي بعهدهم إلى مدتهم ومن لا عهد له انسلاخ المحرم, ونبذ إلى كل ذي عهد عهده, وأمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله, ولا يقبل منهم إلا ذلك.

وقال آخرون: كان ابتداء تأخير المشركين أربعة أشهر, وانقضاء ذلك لجميعهم وقتا واحدا. قالوا: وكان ابتداؤه يوم الحجّ الأكبر, وانقضاؤه انقضاء عشر من ربيع الآخر. ذكر من قال ذلك:

12788ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: بَرَاءَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَسولِهِ إلى الّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ قال: لما نزلت هذه الآية, بريء من عهد كلّ مشرك, ولم يعاهد بعدها إلا من كان عاهد, وأجرى لكل مدتهم. فَسِيحُوا فِي الأرْضِ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ لمن دخل عهده فيها من عشر ذي الحجة والمحرّم, وصفر وشهر ربيع الأوّل, وعشر من ربيع الآخر.

12789ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو معشر, قال: حدثنا محمد بن كعب القرظي وغيره, قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميرا على الموسم سنة تسع, وبعث عليّ بن أبي

طالب رضي الله عنه بثلاثين أو أربعين آية من براءة, فقرأها على الناس يؤجل المشركين أربعة أشهر يسيحون في الأرض, فقرأ عليهم براءة يوم عرفة أجل المشركين عشرين من ذي الحجة, والمحرّم, وصفر, وشهر ربيع الأوّل, وعشرا من ربيع الآخر, وقرأها عليهم في منازلهم, وقال: لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفنّ بالبيت عريان.

12790ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ عشرون من ذي الحجة, والمحرم, وصفر, وربيع الأول, وعشر من ربيع الآخر كان ذلك عهدهم الذي بينهم.

12791ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: بَرَاءَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَسولِهِ إلى أهل العهد: خزاعة, ومدلج, ومن كان له عهد من غيرهم. أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ, فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجّ, ثم قال: «إنه يحضر المشركون فيطوفون عراة, فلا أحبّ أن أحجّ حتى لا يكون ذلك». فأرسل أبا بكر وعليا رضي الله عنهما, فطافا بالناس بذي المجاز وبأمكنتهم التي كانوا يتبايعون بها وبالمواسم كلها, فآذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر, فهي الأشهر المتواليات عشرون من آخر ذي الحجة إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر, ثم لا عهد لهم. وآذن الناس كلها بالقتال إلا أن يؤمنوا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: بَرَاءَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَسولِهِ إلى الّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ قال: أهل العهد مدلج, والعرب الذين عاهدهم, ومن كان له عهد. قَال: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ منها وأراد الحجّ, ثم قال: «إنّهُ يَحْضُرُ البَيْتَ مُشْرِكُونَ يَطُوفُونَ عُرَاةً فَلا أُحِبّ أنْ أحجّ حتى لا يكُون ذلكَ» فأرسل أبا بكر وعليا رضي الله عنهما, فطافا بالناس بذي المجاز, وبأمكنتهم التي كانوا يتبايعون بها وبالموسم كله, وآذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر, في الأشهر الحرم المنسلخات المتواليات: عشرون من آخر ذي الحجة إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر, ثم لا عهد لهم. وآذان الناس كلهم بالقتال إلا أن يؤمنوا, فآمن الناس أجمعون حينئذ ولم يسح أحد. وقال: حين رجع من الطائف مضى من فوره ذلك, فغزا تبوك بعد إذ جاء إلى المدينة.

وقال آخرون ممن قال: «ابتداء الأجل لجميع المشركين وانقضاؤه كان واحدا». كان ابتداؤه يوم نزلت براءة, وانقضاؤه انقضاء الأشهر الحرم, وذلك انقضاء المحرم. ذكر من قال ذلك:

12792ـ حدثنا محمد بن الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الأزهري: فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ قال: نزلت في شوّال, فهذه الأربعة الأشهر: شوّال, وذو القعدة, وذو الحجة والمحرّم.

وقال آخرون: إنما كان تأجيل الله الأشهر الأربعة المشركين في السياحة لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد مدته أقلّ من أربعة أشهر, أما من كان له عهد مدته أكثر من أربعة أشهر فإنه أمر صلى الله عليه وسلم أن يتمّ له عهده إلى مدته. ذكر من قال ذلك:

12793ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, قال: قال الكلبي: إنما كانت الأربعة الأشهر لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد دون الأربعة الأشهر, فأتمّ له الأربعة. ومن كان له عهدا أكثر من أربعة أشهر فهو الذي أمر أن يتمّ له عهده, وقال: أَتِمّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إلى مُدّتِهِمْ.

قال أبو جعفر رحمه الله: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: الأجل الذي جعله الله لأهل العهد من المشركين وأذن لهم بالسياحة فيه بقوله: فَسِيحُوا فِي الأرْضِ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ إنما هو لأهل العهد الذين ظاهروا على رسول الله صلى اللهَ عليه وسلم ونقضوا عهدهم قبل انقضاء مدته فأما الذين لم ينقضوا عهدهم ولم يظاهروا عليه, فإن الله جلّ ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بإتمام العهد بينه وبينهم إلى مدته بقوله: إلا الذين عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكينَ ثُمّ لَمْ يُنْقُصُوكُمْ شِيْئا ولَمْ يُظاهِرُوا عَلَيْكُمْ أحَدا فَأتمّوا إلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إلى مُدّتِهِمْ إنّ الله يُحِبّ المُتّقِينَ.

فإن ظنّ ظانّ أن قول الله تعالى ذكره: فإذا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ فاقْتُلُوا المُشْرِكينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ يدلّ على خلاف ما قلنا في ذلك, إذ كان ذلك ينبىء عن أن الفرض على المؤمنين كان بعد انقضاء الأشهر الحرم قتل كل مشرك, فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظن, وذلك أن الآية التي تتلو ذلك تنبىء عن صحة ما قلنا وفساد ما ظنه من ظنّ أن انسلاخ الأشهر الحرم كان يبيح قتل كل مشرك كان له عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يكن له منه عهد, وذلك قوله: كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إلاّ الّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إنّ اللّهَ يُحِبّ المُتّقِينَ فهؤلاء مشركون, وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستقامة لهم في عهدهم ما استقاموا لهم بترك نقض صلحهم وترك مظاهرة عدوّهم عليهم. وبعد: ففي الأخبار المتظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حين بعث عليّا رضي الله عنه ببراءة إلى أهل العهود بينه وبينهم أمره فيما أمره أن ينادي به فيهم, ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد, فعهده إلى مدته أوضح الدليل على صحة ما قلنا وذلك أن الله لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بنقض عهد قوم كان عاهدهم إلى أجل فاستقاموا على عهده بترك نقضه, وأنه إنما أجل أربعة أشهر من كان قد نقض عهده قبل التأجيل أو من كان له عهد إلى أجل غير محدود, فأما من كان أجل عهده محدودا ولم يجعل بنقضه على نفسه سبيلاً, فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بإتمام عهده إلى غاية أجله مأمورا, بذلك بعث مناديه ينادي به في أهل الموسم من العرب.

12794ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا قيس, عن مغيرة, عن الشعبيّ, قال: ثني محرر بن أبي هريرة, عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت مع عليّ رضي الله عنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ينادي, فكان إذا صَحِلَ صوته ناديت, قلت: بأي شيء كنتم تنادون؟ قال: بأربع: لا يطف بالكعبة عريان, ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده إلى مدته, ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة, ولا يحجّ بعد عامنا هذا مشرك.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا عفان, قال: حدثنا قيس بن الربيع, قال: حدثنا الشيباني, عن الشعبيّ, قال: أخبرنا المحرر بن أبي هريرة, عن

أبيه, قال: كنت مع عليّ رضي الله عنه, فذكر نحوه, إلا أنه قال: «ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلمعهد فعهده إلى أجله».
وقد حدث بهذا الحديث شعبة, فخالف قيسا في الأجل.
فحدثني يعقوب بن إبراهيم ومحمد بن المثنى, قالا: حدثنا عثمان بن عمر, قال: حدثنا شعبة, عن المغيرة, عن الشعبيّ, عن المحرّر بن أبي هريرة, عن أبيه, قال: كنت مع عليّ حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة إلى أهل مكة, فكنت أنادي حتى صحل صوتي, فقلت: بأي شيء كنت تنادي؟ قال: أمرنا أن ننادي أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن, ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فأجله إلى أربعة أشهر, فإذا حلّ الأجل فإن الله بريء من المشركين ورسوله, ولا يطف بالبيت عريان, ولا يحجّ بعد العام مشرك.
قال أبو جعفر رحمه الله: وأخشى أن يكون هذا الخبر وهما من ناقله في الأجل, لأن الأخبار متظاهرة في الأجل بخلافه مع خلاف قيس شعبة في نفس هذا الحديث على ما بينته.
12795ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن أبي إسحاق, عن الحرث الأعور عن عليّ رضي الله عنه, قال: أمرت بأربع: أمرت أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك, ولا يطف رجل بالبيت عريانا, ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مسلمة, وأن يتمّ إلى كل ذي عهد عهده.
12796ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن زيد بن يثيع قال: نزلت براءة, فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر, ثم أرسل عليّا فأخذها منه. فلما رجع أبو بكر, قال: هل نزل فيّ شيء؟ قال: لا, ولكني أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي. فانطلق إلى مكة, فقام فيهم بأربع: أن لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا, ولا يطف بالكعبة عريان, ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة, ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده إلى مدته.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن زكريا, عن أبي إسحاق, عن زيد بن يثيع, عن عليّ, قال: بعثني النبي صلى الله عليه وسلم حين أنزلت براءة بأربع: أن لا يطف بالبيت عريان, ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا, ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته, ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عبد الأعلى, عن معمر, عن أبي إسحاق, عن الحرث, عن عليّ رضي الله عنه, قال: بعثت إلى أهل مكة بأربع, ثم ذكر الحديث.
12797ـ حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري, قال: حدثنا حسين بن محمد, قال: حدثنا سليمان بن قرم, عن الأعمش عن الحكم, عن مقسم, عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر ببراءة, ثم أتبعه عليّا, فأخذها منه, فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله حدث فيّ شيء؟ قال: «لا, أنْتَ صَاحِبي فِي الغارِ وعَلى الحَوْضِ, ولاَ يُؤَدّي عَنّي إلاّ أنا أوْ عليّ», وكان الذي بعث به عليّا أربعاً: لا يدخلَ الجنةَ إلا نفس مسلمة, ولا يحجّ بعد العام مشرك, ولا يطف بالبيت عريان, ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته.

12798ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن ابن أبي خالد, عن عامر, قال: بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم عليّا رضي الله عنه, فنادى: ألا لا يحجنّ بعد العام مشرك, ولا يطف بالبيت عريان, ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة, ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فأجله إلى مدته, والله بريء من المشركين ورسولُه.

12799ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف, عن أبي جعفر محمد بن عليّ بن حسين بن عليّ, قال: لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليقيم الحجّ للناس قيل له: يا رسول الله لو بعثت إلى أبي بكر فقال: «لا يُؤَدّي عَنّي إلاّ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ بَيْتِي» ثم دعا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: «اخْرُجْ بِهَذِهِ القِصّةِ مِنْ صَدْرِ بَرَاءَةَ, وأذّن في النّاسِ يَوْمَ النّحْرِ إذَا اجْتَمَعُوا بِمِنًى: أنّه لا يَدْخُلُ الجَنّة كافِرٌ, ولاَ يَحُجّ بَعْدَ العام مُشْرِكٌ, ولاَ يَطُفْ بالبَيْتِ عُرْيانٌ, وَمَنْ كانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ الله صلى الله علَيه وسلم عَهْدٌ فَهُوَ إلى مُدّتِهِ» فخرج عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء, حتى أدرك أبا بكر الصديق بالطريق فلما رآه أبو بكر, قال: أمير أو مأمور؟ قال: مأمور. ثم مضيا رضي الله عنهما, فأقام أبو بكر للناس الحجّ والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحجّ التي كانوا عليها في الجاهلية, حتى إذا كان يوم النحر, قام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه, فأذّن في الناس بالذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: يا أيها الناس لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة, ولا يحجّ بعد العام مشرك, ولا يطف بالبيت عريان, ومن كان له عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو له إلى مدته فلم يحجّ بعد ذلك العام مشرك, ولم يطف بالبيت عريان. ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم, وكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة إلى الأجل المسمى.

12800ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: لما نزلت هذه الآيات إلى رأس أربعين آية, بعث بهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وأمرّه على الحجّ, فلما سار فبلغ الشجرة من ذي الحليفة أتبعه بعليّ فأخذها منه, فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم, فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأني شيء؟ قال: «لا, ولَكِنْ لا يُبَلّغُ عَنّي غَيرِي أوْ رَجُلٌ مِنّي أما تَرْضَى يا أبا بَكْرٍ أنّكَ كُنْتَ مَعِي في الغارِ, وأنّكَ صَاحِبي على الحَوْض؟» قال: بلى يا رسول الله. فسار أبو بكر على الحاجّ, وعليّ يؤذن ببراءة, فقام يوم الأضحى, فقال: لا يقربنّ المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا, ولا يطوفنّ بالبيت عريان, ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فله عهده إلى مدته, وإن هذه أيام أكل وشرب, وإن الله لا يدخل الجنة إلا من كان مسلما. فقالوا: نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك إلا من الطعن والضرب فرجع المشركون فلام بعضهم بعضا, وقالوا: ما تضعون وقد أسلمت قريش؟ فأسلموا.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن أبي إسحاق, عن زيد بن يثيع, عن عليّ, قال: أمرت بأربع: أن لا يقرب البيت

بعد العام مشرك, ولا يطوف بالبيت عريان, ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة, وأن يتمّ إلى كل ذي عهد عهده قال معمر: وقاله قتادة.

قال أبو جعفر رحمه الله, فقد أنبأت هذه الأخبار ونظائرها عن صحة ما قلنا, وأن أجل الأشهر الأربعة إنما كان لمن وصفنا, فأما كان عهده إلى مدة معلومة فلم يجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لنقضه ومظاهرة أعدائهم عليهم سبيلاً, فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وَفّى له عهده إلى مدته عن أمر الله إياه بذلك, وعلى ذلك دلّ ظاهر التنزيل وتظاهرت به الأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم. وأما الأشهر الأربعة فإنها كانت أجلَ من ذكرنا, وكان ابتداؤها يوم الحجّ الأكبر وانقضاؤها انقضاء عشر من ربيع الآخر, فذلك أربعة أشهر متتابعة, جعل لأهل العهد الذين وصفنا أمرهم فيها السياحة في الأرض, يذهبون حيث شاءوا, لا يعرض لهم فيها من المسلمين أحد بحرب ولا قتل ولا سلب.

فإن قال قائل: فإذا كان الأمر في ذلك كما وصفت, فما وجه قوله: فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُموهُمْ وقد علمت أن انسلاخها انسلاخ المحرم, وقد زعمت أن تأجيل القوم من الله ومن رسوله كان أربعة أشهر, وإنما بين الحج الأكبر وانسلاخ الأشهر الحرم خمسون يوما أكثره, فأين الخمسون يوما من الأشهر الأربعة؟ قيل: إن انسلاخ الأشهر الحرم إنما كان أجل من لا عهد له من المشركين من رسول الله صلى الله عليه وسلم, والأشهر الأربعة لمن له عهد, إما إلى أجل غير محدود وإما إلى أجل محدود قد نقضه, فصار بنقضه إياه بمعنى من خيف خيانته, فاستحق النبذ إليه على سواء غير أنه جعل له الاستعداد لنفسه والارتياد لها من الأجل الأربعة الأشهر, ألا ترى الله يقول لأصحاب الأشهر الأربعة, ويصفهم بأنهم أهل عهد بَرَاءةٌ مِنَ الله وَرَسُولِهِ إلى الّذِينَ عاهَدْتُمُ مِنَ المُشْرِكينَ فَسِيحُوا فِي الأرْضِ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أنّكُمْ غيرُ مُعْجِزِي الله ووصف المجعول لهم انسلاخ الأشهر الحرام أجلاً بأنهم أهل شرك لا أهل عهد, فقال: وأذَانٌ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إلى النّاسِ يَوْمَ الحَجّ الأكْبَرِ أنّ الله بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ... الآية إلاّ الّذينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ... الآية, ثم قال: فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ؟ فأمر بقتل المشركين الذين لا عهد لهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم, وبإتمام عهد الذين لهم عهد إذا لم يكونوا نقضوا عهدهم بالمظاهرة على المؤمنين وإدخال النقص فيه عليهم.

فإن قال قائل: وما الدليل على أن ابتداء التأجيل كان يوم الحجّ الأكبر دون أن يكون كان من شوّال على ما قاله قائلوا ذلك؟ قيل له: إن قائلي ذلك زعموا أن التأجيل كان من وقت نزول براءة, وذلك غير جائز أن يكون صحيحا لأن المجعول له أجل السياحة إلى وقت محدود إذا لم يعلم ما جعل له, ولا سيما مع عهد له قد تقدم قبل ذلك بخلافه, فكمن لم يجعل له ذلك لأنه إذا لم يعلم ماله في الأجل الذي جعل له وما عليه بعد انقضائه فهو كهيئته قبل الذي جعل له من الأجل, ومعلوم أن القوم لم يعلموا بما جعل لهم من ذلك إلا حين نودي فيهم بالموسم, وإذا كان ذلك كذلك صحّ أن ابتداءه ما قلنا وانقضاءه كان ما وصفنا.

وأما قوله: فَسِيحُوا فِي الأرْضِ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ فإنه يعني: فسيروا فيها مقبلين ومدبرين, آمنين غير خائفين من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه, يقال منه: ساح فلان في الأرض يسيح سياحة وسُيُوحا وسيحانا.

وأما قوله: واعْلَمُوا أنّكُمْ غيرُ مَعْجِزي الله فإنه يقول لأهل العهد من الذين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد قبل نزول هذه الآية: اعملوا أيها المشركون أنكم إن سحتم في الأرض واخترتم ذلك مع كفركم بالله على الإقرار بتوحيد وتصديق رسوله, غَيْرُ مُعْجِزي الله يقول: غير مفيتيه بأنفسكم لأنكم حيث ذهبتم وأين كنتم من الأرض ففي قبضته وسلطانه, لا يمنعكم منه وزير ولا يحول بينكم وبينه إذا أرادكم بعذاب معقل ولا موئل إلا الإيمان به وبرسوله والتوبة من معصيته. يقول: فبادروا عقوبته بتوبة, ودعوا السياحة التي لا تنفعكم.

وأما قوله: وأنّ اللّهَ مُخْزي الكافِرِينَ يقول: واعلموا أن الله مذلّ الكافرين, ومورثهم العار في الدنيا والنار في الآخرة.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَذَانٌ مّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النّاسِ يَوْمَ الْحَجّ الأكْبَرِ أَنّ اللّهَ بَرِيءٌ مّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لّكُمْ وَإِن تَوَلّيْتُمْ فَاعْلَمُوَاْ أَنّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشّرِ الّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره: وإعلام من الله ورسوله إلى الناس يوم الحجّ الأكبر.

وقد بيّنا معنى الأذان فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده.

وكان سليمان بن موسى يقول في ذلك ما:

12801ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, قال: زعم سليمان بن موسى الشامي أنه قوله: وأذانٌ مِنَ اللّهِ ورَسُولِهِ قال: الأذان القصص, فاتحة براءة حتى تختم: وإنْ خفتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ فذلك ثمان وعشرون آية.

12802ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وأذانٌ مِنَ اللّهِ ورَسُولِهِ قال: إعلام من الله ورسوله.

ورفع قوله: وأذانٌ مِنَ اللّهِ عطفا على قوله: بَرَاءَةٌ مِنَ اللّهِ كأنه قال: هذه براءة من الله ورسوله, وأذان من الله.

وأما قوله: يَوْمُ الحَجّ الأكْبَرِ فإنه قيل اختلافا بين أهل العلم, فقال بعضهم: هو يوم عرفة. ذكر من قال ذلك:

12803ـ حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: أخبرنا أبو زرعة, وهبة الله بن راشد, قالا: أخبرنا حيوة بن شريح, قال: أخبرنا أبو صخر, أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول: سمعت أبا الصهباء البكري, وهو يقول: سألت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن يوم الحجّ الأكبر, فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه يقيم للناس الحجّ, وبعثني معه بأربعين آية من براءة, حتى أتى عرفة, فخطب الناس يوم عرفة فلما قضى خطبته التفت إليّ, فقال قم يا عليّ وأدّ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت فقرأت عليهم أربعين آية من براءة ثم صدرنا حتى أتينا منى, فرميت الجمرة, ونحرت البدنة, ثم حلقت رأسي, وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حضروا خطبة أبي بكر يوم عرفة, فطفقت أتتبع بها الفساطيط أقرؤها عليهم, فمن ثم إخال حسبتم أنه يوم النحر, ألا وهو يوم عرفة.

12804ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن أبي إسحاق, قال: سألت أبا جحيفة عن يوم الحجّ الأكبر, فقال: يوم عرفة, فقلت: أمن عندك أو من أصحاب محمد؟ قال: كل ذلك.
12805ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن جريج, عن عطاء, قال: الحجّ الأكبر: يوم عرفة.
12806ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن عمر بن الوليد الشني, عن شهاب بن عباد العصري, عن أبيه, قال: قال عمر رضي الله عنه: يوم الحجّ الأكبرّ: يوم عرفة. فذكرته لسعيد بن المسيب, فقال: أخبرك عن ابن عمر أن عمر قال: الحجّ الأكبر: عرفة.
12807ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا عمر بن الوليد الشني, قال: حدثنا شهاب بن عباد العصري, عن أبيه, قال: سمعت عمر بن الخطاب رحمة الله عليه يقول: هذا يوم عرفة يوم الحجّ الأكبر يصومنه أحد قال: فحججت بعد أبي, فأتيت المدينة, فسألت عن أفضل أهلها, فقالوا: سعيد بن المسيب. فأتيته فقلت: إني سألت عن أفضل أهل المدينة, فقالوا: سعيد بن المسيب, فأخبرني عن صوم يوم عرفة فقال: أخبرك عمن هو أفضل مني أضعافا: عمر أو ابن عمر, كان ينهى عن صومه, ويقول: هو يوم الحجّ الأكبر.
12808ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا عبد الصمد بن حبيب, عن معقل بن داود, قال: سمعت ابن الزبير يقول: يوم عرفة هذا يوم الحجّ الأكبر فلا يصمه أحد.
12809ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا غالب بن عبيد الله, قال: سألت عطاء عن يوم الحجّ الأكبر: فقال: يوم عرفة, فأفض منها قبل طلوع الفجر.
12810ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن بكر, عن ابن جريج, قال: أخبرني محمد بن قيس بن مخرمة قال: خطب النبي صلى الله عليه وسلم عشية عرفة, ثم قال: «أمّا بَعْدُ» وكان لا يخطب إلا قال: «أما بعد» «فإنّ هذَا يَوْم الحَجّ الأكْبَرِ».
12811ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا عبد الوهاب, عن مجاهد, قال: يوم الحجّ الأكبر: يوم عرفة.
12812ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا إسحاق بن سليمان, عن سلمة بن محب, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: يوم الحجّ الأكبر يوم عرفة.
12813ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: أخبرني طاوس, عن أبيه, قال: قلنا: ما الحجّ الأكبر؟ قال: يوم عرفة.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا ابن جريج, عن محمد بن قيس بن مخرمة, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة فقال: «هَذَا يَوْمُ الحَجّ الأكْبَرِ».
وقال آخرون: هو يوم النحر. ذكر من قال ذلك:
12814ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن الحرث, عن عليّ, قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا مصعب بن سلام, عن الأجلح, عن أبي إسحاق, عن الحرث, عن علي قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عنبسة, عن أبي إسحاق, عن الحرث, قال: سألت عليا عن الحجّ الأكبر, فقال: هو يوم النحر.
12815ـ حدثنا ابن أبي الشوارب, قال: حدثنا عبد الواحد, قال: حدثنا سليمان الشيباني, قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى, عن الحجّ الأكبر, قال: فقال يوم النحر.
حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عياش العامري, عن عبد الله بن أبي أوفى, قال: يوم الحج الأكبر يوم النحر.
قال: حدثنا سفيان, عن عبد الملك بن عمير, عن عبد الله بن أبي أوفى, قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.
12816ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن عبد الملك, قال: دخلت أنا وأبو سلمة على عبد الله بن أبي أوفى, قال: فسألته عن يوم الحجّ الأكبر, فقال: يوم النحر, يوم يهراق فيه الدم.
حدثنا عبد الحميد بن بيان, قال: أخبرنا إسحاق, عن سفيان, عن عبد الملك بن عمير, عن عبد الله, قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.
حدثنا أبو كريب وأبو السائب, قالا: حدثنا ابن إدريس, عن الشيبانيّ, قال: سألت ابن أبي أوفى عن يوم الحجّ الأكبر؟ قال: يوم النحر.
حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا الشيباني, عن عبد الله بن أبي أوفى, قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.
12817ـ قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا عبد الملك بن عمير, قال: سمعت عبد الله بن أبي أوفى, وسئل عن قوله: يَوْمُ الحَجّ الأكْبَرِ قال: هو اليوم الذي يراق فيه الدم ويحلق فيه الشعر.
12818ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, قال: سمعت يحيى بن الجزار يحدّث عن عليّ: أنه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء يريد الجبانة, فجاءه رجل فأخذ بلجام بغلته, فسأله عن الحجّ الأكبر, فقال: هو يومك هذا, خلّ سبيلها
حدثنا عبد الحميد بن بيان, قال: حدثنا إسحاق, عن مالك بن مغول وشتير, عن أبي إسحاق, عن الحرث, عن عليّ, قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن أبي إسحاق, عن الحرث, عن عليّ, قال: سئل عن يوم الحجّ الأكبر, قال: هو يوم النحر.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن شعبة, عن الحكم, عن يحيى بن الجزار, عن عليّ, أنه لقيه رجل يوم النحر, فأخذ بلجامه, فسأله عن يوم الحجّ الأكبر, قال: هو هذا اليوم.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن قيس, عن عبد الملك بن عمير وعياش العامري, عن عبد الله بن أبي أوفى, قال: هو اليوم الذي يهراق فيه الدماء.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عبد الملك بن عمير, عن ابن أبي أوفى, قال: الحجّ الأكبر, يوم تهراق فيه الدماء, ويحلق فيه الشعر, ويحلّ فيه الحرام.

12819ـ حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي, قال: حدثنا يحيى بن عيسى, عن الأعمش, عن عبد الله بن يسار, قال: حدثنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير, فقال: هذا يوم الأضحى, وهذا يوم النحر, وهذا يوم الحجّ الأكبر.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن الأعمش, عن عبد الله بن يسار, قال: خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير, وقال: هذا يوم الأضحى, وهذا يوم النحر, وهذا يوم الحجّ الأكبر.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن الأعمش, عن عبد الله بن يسار, قال: خطبنا المغيرة بن شعبة, فذكر نحوه.

12820ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن حماد بن سلمة, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: الحجّ الأكبر يوم النحر.

12821ـ حدثنا ابن أبي الشوارب, قال: حدثنا عبد الواحد, قال: حدثنا سليمان الشيباني, قال: سمعت سعيد بن جبير يقول: الحجّ الأكبر يوم النحر.

12822ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبيد الله, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن أبي جحيفة, قال: الحجّ الأكبر: يوم النحر.

12823ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, قال: اختصم عليّ بن عبد الله بن عباس ورجل من آل شيبة في يوم الحجّ الأكبر, قال عليّ: هو يوم النحر, وقال الذي من آل شيبة: هو يوم عرفة. فأرسل إلى سعيد بن جبير فسألوه, فقال: هو يوم النحر, إلا ترى أن من فاته يوم عرفة لم يفته الحجّ, فإذا فاته يوم النحر فقد فاته الحجّ؟

حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا يونس, عن سعيد بن جبير, أنه قال: الحجّ الأكبر: يوم النحر. قال: فقلت له: إن عبد الله بن شيبة ومحمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس اختلفا في ذلك, فقال محمد بن عليّ: هو يوم النحر, وقال عبد الله: هو يوم عرفة. فقال سعيد بن جبير: أرأيت لو أن رجلاً فاته يوم عرفة أكان يفوته الحجّ؟ وإذا فاته يوم النحر فاته الحجّ.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب, قالا: حدثنا ابن إدريس, عن الشيباني, عن سعيد بن جبير, قال: الحجّ الأكبر يوم النحر.

12824ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: قال: المعتمر بن سليمان, عن أبيه, قال: ثني رجل, عن أبيه, عن قسس بن عبادة, قال: ذو الحجة العاشر النحر, وهو يوم الحجّ الأكبر.

12825ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن عبد الله بن شداد, قال: يوم الحجّ الأكبر: يوم النحر, والحجّ الأصغر: العُمرة.

12826ـ حدثنا عبد الحميد بن بيان, قال: أخبرنا إسحاق, عن شريك, عن أبي إسحاق, عن عبد الله بن شداد بن الهاد, قال: الحجّ الأكبر يوم النحر.

12827ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن مسلم الحجبي, قال: سألت نافع بن جبير بن مطعم, عن يوم الحجّ الأكبر, قال: يوم النحر.

12828ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن المغيرة, عن إبراهيم, قال: كان يقال: الحجّ الأكبر يوم النحر.

12829ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن جابر, عن عامر, قال: يوم الحجّ الأكبر يوم يهراق فيه الدم, ويحلّ فيه الحرام.
12830ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيم, أنه قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر الذي يحلّ فيه كلّ حرام.
قال: حدثنا هشيم, عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي, عن عليّ, قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.
12831ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن ابن عون, قال: سألت محمدا عن يوم الحجّ الأكبر فقال: كان يوما وافق فيه حجّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحجّ أهل الوبر.
12832ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكيم بن بشير, قال: حدثنا عمر بن ذرّ, قال: سألت مجاهدا عن يوم الحجّ الأكبر, فقال: هو يوم النحر.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن مجاهد, يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.
حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن ثور, عن مجاهد يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.
12833ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن جابر, عن عامر, قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر وقال عكرمة: يوم الحجّ الأكبر: يوم النحر, يوم يهراق فيه الدماء, ويحلّ فيه الحرام. قال: وقال مجاهد: يوم يجمع فيه الحجّ كله, وهو يوم الحجّ الأكبر.

12834ـ قال: حدثنا إسرائيل, عن عبد الأعلى, عن محمد بن عليّ: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.
قال: حدثنا إسرائيل, عن عبد الأعلى, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, مثله.
قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا حماد بن سلمة, عن سماك بن حرب, عن عكرمة, عن ابن عباس, مثله.
12835ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن أبي إسحاق, قال: قال عليّ الحجّ الأكبر: يوم النحر. قال: وقال الزهري: يوم النحر: يوم الحجّ الأكبر.
12836ـ حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب, قال: حدثنا عمي عبد الله بن وهب, قال: أخبرني يونس وعمرو عن الزهري, عن حميد بن عبد الرحمن, عن أبي هريرة, قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر في الحجة التي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر: ألا لا يحجّ بعد العام مشرك, ولا يطوف بالبيت عريان قال الزهري: فكان حميد يقول: يوم النحر: يوم الحجّ الأكبر.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: حدثنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الشعبي, عن أبي إسحاق, قال: سألت عبد الله بن شداد عن الحجّ الأكبر والحجّ الأصغر, فقال: الحجّ الأكبر: يوم النحر, والحجّ الأصغر: العُمرة.
قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن أبي إسحاق, قال: سألت عبد الله بن شداد, فذكره نحوه.

قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيينة, عن عبد الملك بن عمير, قال: سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول: يوم الحجّ الأكبر: يوم يوضع في الشعر, ويهراق فيه الدم, ويحلّ فيه الحرام.

قال: حدثنا الثوريّ, عن أبي إسحاق, عن عليّ, قال: الحجّ الأكبر يوم النحر.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا قيس, عن عياش العامري, عن عبد الله بن أبي أوفى, أنه سئل عن يوم الحجّ الأكبر, فقال: سبحان الله, هو يوم يهراق فيه الدماء, ويحلّ فيه الحرام, ويوضع فيه الشعر وهو يوم النحر.

قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي حصين, عن عبد الله بن يسار, قال: خطبنا المغيرة بن شعبة على ناقة له, فقال: هذا يوم النحر, وهذا يوم الحجّ الأكبر.

قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا حسن بن صالح, عن مغيرة, عن إبراهيم, قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.

حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, عن إبراهيم بن طهمان, عن مغيرة, عن إبراهيم: يوم الحجّ الأكبر: يوم النحر, ويحلّ فيه الحرام.

12837ـ حدثني أحمد بن المقدام, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا ابن عون, عن محمد بن سيرين, عن عبد الرحمن بن أبي بكرة, عن أبيه, قال: لما كان يوم ذلك, قعد على بعير له النبيّ, وأخذ إنسان بخطامه أو زمامه, فقال: «أيّ يوْمٍ هَذَا؟» قال: فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه غير اسمه, فقال: «أَلَيْسَ يَوْمُ الحَجّ؟».

12838ـ حدثنا سهل بن محمد الحساني, قال: حدثنا أبو جابر الحرثي, قال: حدثنا هشام بن الغازي الجرشي, عن نافع, عن ابن عمر, قال: وقف رسوله الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع, فقال: «هَذَا يَوْمُ الحَجّ الأكْبَرِ».

12839ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن عمرو بن مرّة, عن مرّة الهمداني, عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقة حمراء مخضرمة, فقال: «أتَدْرُونَ أيّ يَوْمٍ يَوْمُكُمْ؟» قالوا: يوم النحر, قال: «صَدَقْتُمْ يَوْمَ الحَجّ الأكْبَر».

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, قال: حدثنا شعبة, قال: أخبرني عمرو بن مرّة, قال: حدثنا مرّة, قال: حدثنا رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم, قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره نحوه.

12840ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد, عن أبيه, قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بأربع كلمات حين حجّ أبو بكر بالناس, فنادى ببراءة: إنه يوم الحجّ الأكبر, ألا إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة, ألا ولا يطوف بالبيت عريان, ألا ولا يحجّ بعد العام مشرك, ألا ومن كان بينه وبين محمد عهد فأجله إلى مدته, والله بريء من المشركين ورَسُولُه.

12841ـ حدثني يعقوب, قال: ثني هشيم, عن حجاج بن أرطاة, عن عطاء, قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.

12842ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يَوْمُ الحَجّ الأكْبَرِ قال: يوم النحر: يوم يحلّ فيه المحرم, وينحر فيه البدن. وكان ابن عمر يقول: هو يوم النحر, وكان أبي يقوله. وكان ابن عباس يقول: هو يوم عرفة. ولم أسمع أحدا يقول إنه يوم عرفة إلا ابن عباس. قال ابن زيد: والحجّ يفوت بفوت يوم النحر ولا يفوت بفوت يوم عرفة, إن فاته اليوم لم يفته الليل, يقف ما بينه وبين طلوع الفجر.

12843ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: يوم الأضحى: يوم الحجّ الأكبر.

حدثنا سفيان, قال: حدثنا أبي, عن شعبة, عن عمرو بن مرّة, قال: ثني رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غرفتي هذه, حسبته قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر على ناقة حمراء مخضرمة, فقال: «أتَدْرُونَ أيّ يَوْمٍ هَذَا؟ هَذَا يَوْمُ النّحْرِ وهَذَا يَوْمُ الحَجّ الأكْبَرِ».

وقال آخرون: معنى قوله: يَوْمُ الحَجّ الأكْبَرِ حين الحجّ الأكبر ووقته. قال: وذلك أيام الحجّ كلها لا يوم بعينه. ذكر من قال ذلك:

12844ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: يَوْمُ الحَجّ الأكْبَرِ حين الحجّ, أيامه كله.

12845ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا ابن عيينة, عن ابن جريج, عن مجاهد, قال: الحجّ الأكبر: أيام مِني كلها, ومجامع المشركين حين كانوا بذي المجاز وعكاظ ومجنّة, حين نودي فيهم: أن لا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا وأن لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده إلى مدته.

12846ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا أبو عبيد, قال: كان سفيان يقول: يوم الحجّ, ويوم الجمل, ويوم صفين: أي أيامه كلها.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, في قوله: يَوْمُ الحَجّ الأكْبَرِ قال حين الحج, أي أيامه كلها.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندنا: قول من قال: يَوْمُ الحَجّ الأكْبَرِ: يوم النحر لتظاهر الأخبار عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عليّا نادى بما أرسله به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرسالة إلى المشركين, وتلا عليهم براءة يوم النحر. هذا مع الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم النحر: «أتَدْرُونَ أيّ يَوْمٍ هَذَا؟ هَذَا يَوْمُ الحَجّ الأكْبَرِ. وبعد: فإن اليوم إنما يضاف إلى معنى الذي يكون فيه, كقول الناس: يوم عرفة, وذلك يوم وقوف الناس بعرفة, ويوم الأضحى, وذلك يوم يضحون فيه ويوم الفطر, وذلك يوم يفطرون فيه وكذلك يوم الحجّ, يوم يحجون فيه. وإنما يحجّ الناس ويقضون مناسكهم يوم النحر, لأن في ليلة نهار يوم النحر الوقوف بعرفة كان إلى طلوع الفجر, وفي صبيحتها يعمل أعمال الحجّ فأما يوم عرفة فإنه وإن كان الوقوف بعرفة فغير فائت الوقوف به إلى طلوع الفجر من ليلة النحر, والحجّ كله يوم النحر.

وأما ما قال مجاهد من أن يوم الحجّ إنما هو أيامه كلها, فإن ذلك وإن كان جائزا في كلام العرب, فليس بالأشهر الأعرف في كلام العرب من معاينه,

بل غلب على معنى اليوم عندهم أنه من غروب الشمس إلى مثله من الغد, وإنما محمل تأويل كتاب الله على الأشهر الأعرف من كلام من نزل الكتاب بلسانه.

واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل لهذا اليوم: يوم الحجّ الأكبر, فقال بعضهم: سمي بذلك لأن ذلك كان في سنة اجتمع فيها حج المسلمين والمشركين. ذكر من قال ذلك:

12847ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الحسن, قال: إنما سمي الحجّ الأكبر من أجل أنه حجّ أبو بكر الحجة التي حجها, واجتمع فيها المسلمون والمشركون, فلذلك سمي الحجّ الأكبر, ووافق أيضا عيد اليهود والنصارى.

12848ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا حماد بن سلمة, عن عليّ بن زيد بن جدعان عن عبد الله بن الحرث بن نوفل, قال: يوم الحجّ الأكبر كانت حجة الوداع اجتمع فيه حجّ المسلمين والنصارى واليهود ولم يجتمع قبله ولا بعده.

12849ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن الحسن, قال قوله: يَوْمُ الحَجّ الأكْبَرِ قال: إنما سمي الحجّ الأكبر لأنه يوم حجّ فيه أبو بكر, ونبذت فيه العهود.

وقال آخرون: الحجّ الأكبر: القران, والحجّ الأصغر: الإفراد. ذكر من قال ذلك:

12850ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا أبو بكر النهشلي, عن حماد, عن مجاهد, قال: كان يقول: الحجّ الأكبر والحجّ الأصغر فالحجّ الأكبر: القران, والحجّ الأصغر: إفراد الحجّ.

وقال آخرون: الحجّ الأكبر: الحجّ, والحجّ الأصغر: العمرة. ذكر من قال ذلك:

12851ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن بكر, عن ابن جريج, عن عطاء, قال: الحجّ الأكبر: الحجّ, والحجّ الأصغر: العمرة.

12852ـ قال: حدثنا عبد الأعلى, عن داود, عن عامر, قال: قلت له: هذا الحجّ الأكبر, فما الحجّ الأصغر؟ قال: العُمرة.

12853ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن داود بن أبي هند, عن الشعبي, قال: كان يقال: الحجّ الأصغر: العمرة في رمضان.

12854ـ قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد, قال: كان يقول: الحجّ الأصغر: العمرة.

12855ـ قال: حدثنا عبد الرحمن, عن سفيان, عن أبي أسماء, عن عبد الله بن شداد, قال: يوم الحجّ الأكبر: يوم النحر, والحجّ الأصغر: العمرة.

12856ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الزهري: أن أهل الجاهلية كانوا يسمون الحجّ الأصغر: العمرة.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي قول من قال: الحجّ الأكبر الحجّ لأنه أكبر من العمرة بزيادة عمله على عملها, فقيل له الأكبر لذلك. وأما الأصغر فالعمرة, لأن عملها أقلّ من عمل الحجّ, فلذلك قيل لها الأصغر لنقصان عملها عن عمله.

وأما قوله: أنّ اللّهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فإن معناه: أن الله بريء من عهد المشركين ورسوله بعد هذه الحجة. ومعنى الكلام: وإعلام من الله ورسوله إلى الناس في يوم الحجّ الأكبر, أن الله ورسوله من عهد المشركين بريئان كما:

12857ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: أنّ اللّهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ أي بعد الحجة.

القول في تأويل قوله تعالى: فإنْ تُبْتُمْ فهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإنْ تَوَلّيْتُمْ فاعْلَمُوا أنّكُمْ غيرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشّرِ الّذِينَ كَفَرُوا بِعَذابٍ أليمٍ.

يقول تعالى: فإن تبتم من كفركم أيها المشركون, ورجعتم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد, فالرجوع إلى ذلك خير لكم من الإقامة على الشرك في الدنيا والآخرة. وإنْ تَوَلّيْتُمْ يقول: وإن أدبرتم عن الإيمان بالله وأبيتم إلا الإقامة على شرككم. فاعْلَمُوا أنّكُمْ غيرُ مُعْجِزِي اللّهِ يقول: فأيقنوا أنكم لا تفيتون الله بأنفسكم من أن يحلّ بكم عذابه الأليم وعقابه الشديد على إقامتكم على الكفر, كما فعل بذويكم من أهل الشرك, من إنزال نقمه به وإحلاله العذاب عاجلاً بساحته. وَبَشّر الّذِينَ كَفَرُوا يقول: واعلم يا محمد الذين جحدوا نبوّتك وخالفوا أمر ربهم بعذاب موجع يحلّ بهم.

12858ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, قوله: فإنْ تُبْتُمْ قال آمنتم.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {إلاّ الّذِينَ عَاهَدتّم مّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمّوَاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىَ مُدّتِهِمْ إِنّ اللّهَ يُحِبّ الْمُتّقِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وأذَانٌ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إلى النّاسِ يَوْمَ الحَجّ الأكْبَرِ أنّ اللّهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ, إلاّ من عهد الّذَينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ أيها المؤمنون, ثُمّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئا من عهدكم الذي عاهدتموهم, ولَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أحَدا من عدوّكم, فيعينوهم بأنفسهم وأبدانهم, ولا بسلاح ولا خيل ولا رجال. فأتِمّوا إلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إلى مُدّتِهِمْ يقول: قفوا لهم بعدهم الذي عاهدتموهم عليه, ولا تنصبوا لهم حربا إلى انقضاء أجل عهدهم الذي بينكم وبينهم. إنّ اللّهَ يُحِبّ المُتّقِينَ يقول: إن الله يحبّ من اتقاه بطاعته بأداء فرائضه واجتناب معاصيه.

12859ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فأتِمّوا إلَيْهِمْ عَهْدِهُمْ إلى مُدّتِهِمْ يقول: إلى أجلهم.

12860ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: إلاّ الّذَينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ: أي العهد الخاصّ إلى الأجل المسمى. ثُمّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئا... الآية.

12861ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إلاّ الّذَينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ ثُمّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئا ولَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أحَدا... الآية, قال: هم مشركو قريش الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية. وكان بقي من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر, فأمر الله نبيه أن يوفي لهم بعهدهم إلى مدتهم, ومن لا عهد له إلى انسلاخ

المحرّم, ونبذ إلى كل ذي عهد عهده, وأمره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله, وأن لا يقبل منهم إلا ذلك.
12862ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: مدة من كان له عهد المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم أذن ببراءة إلى عشر من شهر ربيع الآخر, وذلك أربعة أشهر, فإن نقض المشركون عهدهم وظاهروا عدوّا فلا عهد لهم, وإن وفوا بعدهم الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يظاهروا عليه عدوّا, فقد أمر أن يؤدي إليهم عهدهم ويفي به.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِذَا انسَلَخَ الأشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصّلاَةَ وَآتَوُاْ الزّكَاةَ فَخَلّواْ سَبِيلَهُمْ إِنّ اللّهَ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.
يعني جلّ ثناؤه بقوله: فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ فإذا انقضى ومضى وخرج, يقال منه: سلخنا شهر كذا نسلخه سَلْخا وسُلُوخا, بمعنى: خرجنا منه, ومنه قولهم: شاة مسلوخة, بمعنى: المنزوعة من جلدها المخرجة منه ويعني بالأشهر الحرم: ذا القعدة, وذا الحجة, والمحرّم, أو إنما أريد في هذا الموضع انسلاخ المحرّم وحده, لأن الأذان كان ببراءة يوم الحجّ الأكبر, فمعلوم أنهم لم يكونوا أجلوا الأشهر الحرم كلها وقد دللنا على صحة ذلك فيما مضى. ولكنه لما كان متصلاً بالشهرين الآخرين قبله الحرامين وكان هولهما ثالثا وهي كلها متصل بعضها ببعض, قيل: فإذا انسلخ الأشهر الحرم. ومعنى الكلام: فإذا انقضت الأشهر الحرم الثلاثة عن الذين لا عهد لهم, أو عن الذين كان لهم عهد, فنقضوا عهدهم بمظاهرتهم الأعداء على رسول الله وعلى أصحابه, أو كان عهدهم إلى أجل غيره معلوم فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ يقول: فاقتلوهم حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ يقول: حيث لقيتوهم من الأرض في الحرم وغير الحرم في الأشهر الحُرم وغير الأشهر الحرم. وَخُذُوهُمْ يقول: وأسروهم وَاحْصُرُوهُمْ يقول: وامنعوهم من التصرف في بلاد الإسلام ودخول مكة. وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلّ مَرْصَدٍ يقول: واقعدوا لهم بالطلب لقتلهم أو أسرهم كلّ مرصد, يعني: كلّ طريق ومرقب, وهو مفعل من قول القائل رصدت فلانا أرصُده رَصْدا, بمعنى: رقبته. فإنْ تابُوا يقول: فإن رجعوا عما نهاهم عليه من الشرك بالله وجحود نبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له, دون الآلهة والأنداد, والإقرار بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وأقامُوا الصّلاةَ يقول: وأدّوا ما فرض الله عليهم من الصلاة بحدودها وأعْطُوا الزّكاةَ التي أوجبها الله عليهم في أموالهم أهلها. فخَلّوا سَبِيلَهُمْ يقول: فدعوهم يتصرّفون في أمصاركم ويدخلون البيت الحرام. إنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لمن تاب من عباده, فأناب إلى طاعته بعد الذي كان عليه من معصيته, ساتر على ذنبه, رحيم به أن يعاقبه على ذنوبه السالفة قبل توبته, بعد التوبة. وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في الذين أُجّلوا إلى انسلاخ الأشهر الحرم.
وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
12863ـ حدثنا عبد الأعلى بن واصل الأسديّ, قال: حدثنا عبد الله بن موسى, قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع, عن أنس, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ فَارَقَ الدّنْيَا على الإخْلاص للّهِ وَحْدَهُ

وَعِبَادَتِهِ لا يُشْرِكُ بهِ شَيْئا, فَارَقها والله عَنْهُ رَاضٍ» قال: وقال أنس: هو دين الله الذي جاءت به الرسل, وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء, وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما أنزل الله, قال الله: فإنْ تَابُوا وأقامُوا الصّلاةَ وآتَوُا الزّكَاةَ فخَلّوا سَبِيلَهُمْ قال: توبتهم خلع الأوثان وعبادة ربهم, وإقام الصلاة, وإيتاء الزكاة. ثم قال في آية أخرى: فإنْ تَابُوا وأقامُوا الصّلاةَ وآتُوا الزّكَاةَ فإخْوَانُكُمْ فِي الدّينِ.

12864ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ حتى ختم آخر الآية. وكان قتادة يقول: خلوا سبيل من أمركم الله أن تخلوا سبيله, فإنما الناس ثلاثة رهط: مسلم عليه الزكاة, ومشرك عليه الجزية, وصاحب حرب يأمن بتجارته في المسلمين إذا أعطى عشور ماله.

12865ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ وهي الأربعة التي عددت لك, يعني عشرين من ذي الحجة والمحرّم وصفر وربيعا الأول وعشرا من شهر ربيع الآخر.

وقال قائلوا هذه المقالة: قيل لهذه الأشهر الحرم لأن الله عزّ وجلّ حرّم على المؤمنين فيها دماء المشركين والعَرْض لهم إلا بسبيل خير. ذكر من قال ذلك:

12866ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن إبراهيم بن أبي بكر, أنه أخبره, عن مجاهد وعمرو بن شعيب, في قوله: فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ أنها الأربعة التي قال الله: فَسِيحُوا في الأرْض قال: هي الحرم من أجل أنهم أومنوا فيها حتى يسيحوها.

12867ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: بَرَاءَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إلَى الّذَينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ فَسِيحُوا في الأرْضِ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ قال: ضرب لهم أجل أربعة أشهر, وتبرأ من كلّ مشرك, ثم أمر إذا انسلخت تلك الأشهر الحرم فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلّ مَرْصَدٍ لا تتركوهم يضربون في البلاد, ولا يخرجون للتجارة, ضيقوا عليهم. بعدها أمر بالعفو: فإنْ تَابُوا وأقامُوا الصّلاةَ وآتُوا الزّكاةَ فَخَلّوا سَبِيلَهُمْ إنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

12868ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ يعني الأربعة التي ضرب الله لهم أجلاً لأهل العهد العام من المشركين. فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلّ مَرْصَدٍ... الآية.

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتّىَ يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنّهُمْ قَوْمٌ لاّ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن استأمنك يا محمد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم أحد ليسمع كلام الله منك, وهو القرآن الذي أنزله الله عليه. فأجِرْهُ يقول: فأمنه, حتّى يَسمعَ كلامَ اللّهِ وتتلوه عليه. ثُمّ أبْلِغْهُ مَأمَنَهُ يقول: ثم ردّه بعد سماعه كلام الله إنَ هو أبى أن يسلم ولم يتعظ لما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن إلى مأمنه, يقول: إلى حيث يأمن منك وممن في طاعتك حتى يلحق بداره وقومه من

المشركين. ذلكَ بأنّهُمْ قَوُمٌ لا يَعْلَمُونَ يقول: تفعل ذلك بهم من إعطائك إياهم الأمان, ليسمعوا القرآن, وردّك إياهم إذا أبوا الإسلام إلى مأمنهم, من أجل أنهم قوم جهلة لا يفقهون عن الله حجة ولا يعلمون ما لهم بالإيمان بالله لو آمنوا وما عليهم من الوزر والإثم بتركهم الإيمان بالله.
وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
12869ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وَإنْ أحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ: أي من هؤلاء الذين أمرتك بقتالهم, فأجِرْهُ.
12870ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فَأجِرْهُ حتى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ أما كلام الله: فالقرآن.
12871ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَإنْ أحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ اسْتَجارِكَ فَأجِرْهُ قال: إنسان يأتيك فيسمع ما تقول ويسمع ما أنزل عليك فهو آمن حتى يأتيك فيسمع كلام الله, وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, بنحوه.
12872ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد, قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا, فلقي العدوّ, وأخرج المسلمون رجلاً من المشركين وأشرعوا فيه الأسنة, فقال الرجل: ارفعوا عني سلاحكم, وأسمعوني كلام الله تعالى فقالوا: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وتخلع الأنداد وتتبرأ من اللات والعُزّى؟ فقال: فإني أشهدكم أني قد فعلت.
12873ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ثُمّ أبْلِغْهُ مَأمَنَهُ قال: إن لم يوافقه ما تقول عليه وتحدّثه, فأبلغه. قال: وليس هذا بمنسوخ.
واختلف في حكم هذه الآية, وهل هو منسوخ أو هو غير منسوخ؟ فقال بعضهم: هو غير منسوخ, وقد ذكرنا قول من قال ذلك.
وقال آخرون: هو منسوخ. ذكر من قال ذلك:
12874ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن جويبر, عن الضحاك: فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ نسختها: فإمّا مَنّا بَعْدُ وَإمّا فِدَاءً.
12875ـ قال: حدثنا سفيان, عن السديّ, مثله.
وقال آخرون: بل نسخ قوله: فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ قوله: فإمّا مَنّا بَعْدُ. ذكر من قال ذلك:
12876ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبدة بن سليمان, عن ابن أبي عروبة, عن قتادة: حَتّى إذَا أثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدّوا الوَثاقَ نسخها قوله: فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ.
وقال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال: ليس ذلك بمنسوخ, وقد دللنا على أن معنى النسخ هو نفي حكم قد كان ثبت بحكم آخر غيره, ولم تصحّ حجة بوجوب حكم الله في المشركين بالقتل بكلّ حال ثم نسخه بترك قتلهم على أخذ الفداء ولا على وجه المنّ عليهم. فإذا كان ذلك كذلك فكان الفداء والمنّ والقتل لم يزل من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم من أولّ حرب حاربهم, وذلك من يوم بدر كان معلوما

أن معنى الآية: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم, وخذوهم للقتل أو المن أو الفداء واحصروهم, وإذا كان ذلك معناه صحّ ما قلنا في ذلك دون غيره.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاّ الّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنّ اللّهَ يُحِبّ الْمُتّقِينَ }.

يقول تعالى ذكره: أنى يكون أيها المؤمنون بالله ورسوله, وبأيّ معنى يكون للكشركين بربهم عهد وذمة عند الله وعند رسوله, يوفي لهم به, ويتركوا من أجله آمنين يتصرفون في البلاد وإنما معناه: لا عهد لهم, وأن الواجب على المؤمنين قتلهم حيث وجدوهم إلا الذين أعطوا العهد عند المسجد الحرام منهم, فإن الله جلّ ثناؤه أمر المؤمنين بالوفاء لهم بعهدهم والاستقامة لهم عليه, ما داموا عليه للمؤمنين مستقيمين.

واختلف أهل التأويل في الذين عُنوا بقوله: إلاّ الّذَينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ المَسّجِدِ الحَرَامِ فقال بعضهم: هم قوم من جذيمة بن الديل. ذكر من قال ذلك:

12877ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: كَيْفَ يَكُونُ للْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إلاّ الّذِينَ عاهدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فاسْتَقِيمُوا لَهُمْ هم بنو جذيمة بن الديل.

12878ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن محمد بن عباد بن جعفر, قوله: إلاّ الّذَينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ قال: هم جذيمة بكر من كنانة.

12879ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: كَيْفَ يَكُونُ للْمُشْرِكِينَ الذين كانوا وأنتم على العهد العام بأن لا تمنعوهم ولا يمنعوكم من الحرم ولا في الشهر الحرام, عَهْدٌ عِنْدَ اللّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إلاّ الّذِينَ عاهدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ وهي قبائل بني بكر الذين كانوا دخلوا في عهد قريش وعقدتم يوم الحديبية إلى المدة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش, فلم يكن نقضَها إلا هذا الحيّ من قريش وبنو الديل من بكر, فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض عهده من بني بكر إلى مدته فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ... الآية.

وقال آخرون: هم قريش. ذكر من قال ذلك:

12880ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس, قوله: إلاّ الّذِينَ عاهدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ هم قريش.

12881ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: إلاّ الّذِينَ عاهدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ يعني: أهل مكة.

12882ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: إلاّ الّذِينَ عاهدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ يقول: هم قوم كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم مدة, ولا ينبغي لمشرك أن يدخل المسجد الحرام ولا يعطي المسلم الجزية. فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فاسْتَقِيمُوا لَهُمْ يعني: أهل العهد من المشركين.

12883ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إِلاّ الّذِينَ عاهدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فاسْتَقِيمُوا لَهُمْ قال: هؤلاء قريش. وقد نسخ هذا الأشهر التي ضربت لهم, وغدروا بهم فلم يستقيموا, كما قال الله فضرب لهم بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم: إما أن يسلموا, وإما أن يلحقوا بأيّ بلاد شاءوا قال: فأسلموا قبل الأربعة الأشهر, وقبل قَتْلٍ.

12884ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر عن قتادة: إِلاّ الّذِينَ عاهدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فاسْتَقِيمُوا لَهُمْ قال: هم قوم جذيمة. قال: فلم يستقيموا, نقضوا عهدهم أي أعانوا بني بكر حلف قريش على خزاعة حلف النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: هم قوم من خزاعة. ذكر من قال ذلك:

12885ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا ابن عيينة, عن ابن جريج, عن مجاهد: إِلاّ الّذِينَ عاهدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ قال: أهل العهد من خزاعة.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال: هم بعض بني بكر من كنانة, ممن كان أقام على عهده ولم يكن دخل في نقض ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية من العهد مع قريش حين نقضوه بمعونتهم حلفاءهم من بني الديل على حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة.

وإنما قلت هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب لأن الله أمر نبيه والمؤمنين بإتمام العهد لمن كانوا عاهدوه عند المسجد الحرام, ما استقاموا على عهدهم. وقد بينا أن هذه الآيات إنما نادى بها عليّ في سنة تسع من الهجرة, وذلك بعد فتح مكة بسنة, فلم يكن بمكة من قريش ولا خزاعة كافر يومئذ بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فيؤمر بالوفاء له بعهده ما استقام على عهده, لأن من كان منهم من ساكني مكة كان قد نقض العهد وحورب قبل نزول هذه الآيات.

وأما قوله: إنّ اللّهَ يُحِبّ المُتّقِينَ فإن معناه: إن الله يحبّ من اتقى وراقبه في أداء فرائضه, والوفاء بعهده لمن عاهده, واجتناب معاصيه, وترك الغدر بعهوده لمن عاهده.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: {كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاّ وَلاَ ذِمّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىَ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ }.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: كيف يكون لهؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم أو لمن لا عهد له منهم منكم أيها المؤمنون عهد وذمة, وهم إن يظهروا عليكم يغلبوكم, لا يرقبوا فيكم إلاّ ولا ذمة. واكتفى ب «كيف» دليلاً على معنى الكلام, لتقدم ما يراد من المعنى بها قبلها وكذلك تفعل العرب إذا أعادت الحرف بعد مضي معناه استجازوا حذف الفعل, كما قال الشاعر:

وخَبّرْتُمَانِي أنّمَا المَوْتُ فِي القُرَبفَكَيْفَ وَهَذِي هَضْبَةٌ وكَثِيبُ

فحذف الفعل بعد كيف لتقدم ما يراد بعدها قبلها.

ومعنى الكلام: فكيف يكون الموت في القرى وهذي هضبة وكثيب لا ينجو فيهما منه أحد.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إلاّ وَلا ذمّةً فقال بعضهم: معناه: لا يراقبوا الله فيكم ولا عهدا. ذكر من قال ذلك:
12886ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: لاَ يَرْقَبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاّ قال الله.
12887ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن سليمان, عن أبي مجلز, في قوله: لاَ يَرْقَبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاّ وَلا ذِمّةً قال: مثل قوله جبرائيل ميكائيل إسرافيل, كأنه يقال: يضاف «جبر» و «ميكا» و «إسراف» إلى «إيل», يقول: عبد الله لاَ يَرْقَبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاّ كأنه يقول: لا يرقبون الله.
حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: ثني محمد بن ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إلاّ وَلا ذِمّةً لا يرقبون الله ولا غيره.
وقال آخرون: الإلّ: القرابة. ذكر من قال ذلك:
12888ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: لاَ يَرْقَبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاّ وَلا ذِمّةً يقول: قرابة ولا عهدا. وقوله: وإنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إلاّ وَلا ذِمّةً قال: الإلّ: يعني القرابة, والذمة: العهد.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: لاَ يَرْقَبُوا إلاّ وَلا ذِمّةً الإلّ: القرابة, والذمة: العهد. يعني: أهل العهد من المشركين, يقول: ذمتهم.
12889ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو معاوية, وعبدة عن حوشب, عن الضحاك: الإلّ: القرابة.
حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا محمد بن عبد الله, عن سلمة بن كهيل, عن عكرمة, عن ابن عباس: لاَ يَرْقَبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاّ وَلاَ ذِمّةً قال: الإلّ: القرابة, والذمة: العهد.
12890ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: لاَ يَرْقَبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاّ وَلاَ ذِمّةً الإلّ: القرابة, والذمة: الميثاق.
12891ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: كَيْفَ وَإنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ المشركون, لا يرقبوا فيكم عهدا ولا قرابة ولا ميثاقا.
وقال آخرون: معناه: الحلف. ذكر من قال ذلك:
12892ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لاَ يَرْقَبُوا فِيكُمْ إلاّ ولاَ ذِمّةً قال: الإلّ: الحلف, والذمة: العهد.
وقال آخرون: الإلّ: هو العهد ولكنه كرّر لما اختلف اللفظان وإن كان معناهما واحدا. ذكر من قال ذلك:
12893ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إلاّ قال: عهدا.
12894ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لاَ يَرْقُبُوا فِيْكُمْ إلاّ وَلاَ ذِمّةً قال: لا يرقبوا فيكم عهدا ولا ذمة. قال: إحداهما من صاحبتها كهيئة «غفور رحيم», قال: فالكلمة واحدة وهي تفترق, قال: والعهد هو الذمة.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن خصيف, عن مجاهد: وَلا ذِمّةً قال: العهد.

حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا قيس, عن خصيف, عن مجاهد: وَلاَ ذِمّةً قال: الذمة العهد.
قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المشركين الذين أمر نبيه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم وحصرهم والقعود لهم على كلّ موصد أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم إلاّ, والإلّ: اسم يشتمل على معان ثلاثة: وهي العهد والعقد, والحلف, والقرابة, وهو أيضا بمعنى الله. فإذ كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة, ولم يكن الله خص من ذلك معنى دون معنى, فالصواب أن يعمّ ذلك كما عمّ بها جلّ ثناؤه معانيها الثلاثة, فيقال: لا يرقبون في مؤمن الله, ولا قرابة, ولا عهدا, ولا ميثاقا. ومن الدلالة على أنه يكون بمعنى القرابة قول ابن مقبل:
أفْسَدَ النّاسَ خُلُوفٌ خَلَفُواقَطَعُوا الإلّ وأعْرَاقَ الرّحِيمْ
بمعنى: قطعوا القرابة وقول حسان بن ثابت:
لَعَمْرُكَ إنّ إلّكَ مِنْ قُرَيْشٍكإلّ السّقْبِ مِنْ رَألِ النّعامِ
وأما معناه: إذا كان بمعنى العهد. فقول القائل:
وَجَدْنَاهُمُ كاذِبا إلّهُمْوذُو الإلّ والعَهْدِ لا يَكْذِبُ
وقد زعم بعض من ينسب إلى معرفة كلام العرب من البصريين, أن الإلّ والعهد والميثاق واليمين واحد, وأن الذمة في هذا الموضع: التذمم ممن لا عهد له, والجمع: ذمم. وكان ابن إسحاق يقول: عنى بهذه الآية: أهل العهد العام.
12895ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: كَيْفَ وَإنْ يَظهَرُوا عَلَيْكُمْ أي المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل العهد العام لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إلاّ وَلاَ ذِمّةً.
وأما قوله: يَرْضُونَكُمْ بأفْوَاهِهِمْ فإنه يقول: يعطونكم بألسنتهم من القول خلاف ما يضمرونه لكم في نفوسهم من العداوة والبغضاء. وتَأبَى قُلُوبُهُمْ: أي تأبى عليهم قلوبهم أن يذعنوا لكم بتصديق ما يبدونه لكم بألسنتهم. يحذر جلّ ثناؤه أمرهم المؤمنين ويشحذهم على قتلهم واجتياحهم حيث وجدوا من أرض الله, وألا يقصروا في مكروههم بكل ما قدروا عليه. وأكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ يقول: وأكثرهم مخالفون عهدكم ناقصون له, كافرون بربهم خارجون عن طاعته.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }.
يقول جلّ ثناؤه: ابتاع هؤلاء المشركون الذين أمركم الله أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم بتركهم اتباع ما احتجّ الله به عليهم من حججه يسيرا من العوض قليلاً من عرض الدنيا وذلك أنهم فيما ذكر عنهم كانوا نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكلة أطعمهموها أبو سفيان بن حرب.
12896ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: اشْتَرُوا بآياتِ اللّهِ ثَمَنا قَلِيلاً قال: أبو سفيان بن حرب أطعم حلفاءه, وترك حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله. وأما قوله: فَصَدّوا عَنْ سَبِيلِهِ فإن معناه: فمنعوا الناس من الدخول في الإسلام, وحاولوا ردّ المسلمين عن دينهم. إنّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْلَمُونَ يقول جلّ ثناؤه: إن هؤلاء المشركين الذين وصفت صفاتهم, ساء عملهم الذي كانوا يعملون من اشترائهم الكفر بالإيمان والضلالة بالهدى, وصدّهم عن سبيل الله من آمن بالله ورسوله أو من أراد أن يؤمن.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاّ وَلاَ ذِمّةً وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: لا يتقي هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم في قتل مؤمن لو قدورا عليه إلاّ وَلاَ ذِمّةً يقول: فلا تبقوا عليهم أيها المؤمنون, كما لا يبقون عليكم لو ظهروا عليكم. وأُلَئِكَ هُمُ المُعْتَدُونَ يقول: المتجاوزون فيكم إلى ما ليس لهم بالظلم والاعتداء.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصّلاَةَ وَآتَوُاْ الزّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدّينِ وَنُفَصّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }.

يقول جلّ ثناؤه: فإن رجع هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم عن كفرهم وشركهم بالله إلى الإيمان به وبرسوله وأنابوا إلى طاعته وأقاموا الصلاة المكتوبة فأدّوها بحدودها وآتوا الزكاة المفروضة أهلها فإخْوَانُكُمْ في الدّين يقول: فهم إخوانكم في الدين الذي أمركم الله به, وهو الإسلام. وَنُفَصّلُ الآياتِ يقول: ونبين حجج الله وأدلته على خلقه, لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ما بين لهم فنشرحها لهم مفصلة دون الجهال الذين لا يعقلون عن الله بيانه ومحكم آياته.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12897ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فإنْ تَابُوا وأقامُوا الصّلاةَ وآتَوُا الزّكَاةَ فإخْوَانَكُمْ فِي الدّين يقول: إن تركوا اللات والعُزّى, وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإخْوَانُكُمْ فِي الدّينِ ونُفَصّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ.

12898ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حفص بن غياث, عن ليث, عن رجل, عن ابن عباس: فإنْ تابُوا وأقامُوا الصّلاةَ وآتُوا الزّكاةَ قال: حرّمت هذه الآية دماء أهل القبلة.

12899ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وقرأ: فإنْ تابُوا وأقامُوا الصّلاةَ وآتُوا الزّكاةَ فإخْوَانُكُمْ في الدّين وأبى أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة. وقال: رحم الله أبا بكر ما كان أفقهه.

12900ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا شريك, عن أبي إسحاق, عن أبي عبيدة, عن عبد الله, قال: أمرتم بإقامة الصلاة, وإيتاء الزكاة, ومن لم يزكّ فلا صلاة له.

وقيل: فإخْوَانُكُمْ فرفع بضمير: فهم إخوانكم, إذ كان قد جرى ذكرهم قبل, كما قال: فإنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فإخْوَانكمْ فِي الدّينِ.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن نّكَثُوَاْ أَيْمَانَهُم مّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوَاْ أَئِمّةَ الْكُفْرِ إِنّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلّهُمْ يَنتَهُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فإن نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم من قريش عهودهم من بعد ما عاقدوكم, أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ يقول: وقدحوا في دينكم الإسلام, فثلموه وعابوه. فَقاتِلُوا أئمّةَ الكُفْرِ يقول: فقاتلوا رؤساء الكفر بالله. إنّهُمْ لا أيمَانَ لَهُمْ يقول: إن رؤساء الكفر لا عهد لهم. لَعَلّهُمْ يَنْتَهُونَ لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم والمظاهرة عليكم.

وبنحو ما قلنا في ذلك, قال أهل التأويل على اختلاف بينهم في المعنيين بأئمة الكفر, فقال بعضهم: هم أبو جهل بن هشام, وعتبة بن ربيعة, وأبو سفيان بن حرب ونظراؤهم. وكان حذيفة يقول: لم يأت أهلها بعد. ذكر من قال هم من سمّيت:

12901ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَإنْ نَكَثُوا أيمَانَهُمْ مَنْ بَعْد عَهْدِهِمْ... إلى: لَعَلّهُمْ يَنْتَهُونَ يعني: أهل العهد من المشركين, سماهم أئمة الكفر, وهم كذلك. يقول الله لنبيه: وإن نكثوا العهد الذي بينك وبينهم فقاتل أئمة الكفر, لأنهم لا أيمان لهم, لعلهم ينتهون.

12902ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَإنْ نَكَثُوا أيمَانَهُمْ مَنْ بَعْد عَهْدِهِمْ... إلى: يَنْتَهُونَ, فكان من أئمة الكفر: أبو جهل بن هشام, وأمية بن خلف, وعتبة بن ربيعة, وأبو سفيان, وسهيل بن عمرو, وهم الذين هموا بإخراجه.

12903ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: أئمة الكفر: أبو سفيان, وأبو جهل, وأمية بن خلف, وسهيل بن عمرو, وعتبة بن ربيعة.

12904ـ حدثنا ابن وكيع وابن بشار, قال ابن وكيع: حدثنا غندر, وقال ابن بشار: حدثنا محمد بن جعفر, عن شعبة, عن أبي بشر, عن مجاهد: فَقاتِلُوا أئمّةَ الكُفْرِ أنّهُمْ لا أيمَانَ لَهُمْ قال أبو سفيان منهم.

12905ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَإنْ نَكَثُوا أيمَانَهُمْ... إلى: يَنْتَهُونَ هؤلاء قريش, يقول: إن نكثوا عهدهم الذي عاهدوا على الإسلام وطعنوا فيه, فقاتلوهم.

12906ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فَقاتِلُوا أئمّةَ الكُفْرِ يعني: رأس المشركين أهل مكة.

12907ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: فَقاتِلُوا أئمّةَ الكُفْرِ أبو سفيان بن حرب, وأمية بن خلف, وعتبة بن ربيعة, وأبو جهل بن هشام, وسهيل بن عمرو, وهم الذين نكثوا عهد الله وهمّوا بإخراج الرسول, وليس والله كما تأوّله أهل الشبهات والبدع والفِرَي على الله وعلى كتابه.

ذكر الرواية عن حذيفة بالذي ذكرنا عنه:

12908ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن زيد بن وهب, عن حذيفة: فَقاتِلُوا أئمّةَ الكُفْرِ قال: ما قوتل أهل هذه الآية بعد.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا حبيب بن حسان, عن زيد بن وهب, قال: كنت عند حذيفة, فقرأ هذه الآية: فَقاتِلُوا أئمّةَ الكُفْرِ فقال: ما قوتل أهل هذه الآية بعد.
حدثني أبو السائب, قال: حدثنا الأعمش, عن زيد بن وهب, قال: قرأ حذيفة: فَقاتِلُوا أئمّةَ الكُفْرِ قال: ما قوتل أهل هذه الآية بعد.
12909ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان وإسرائيل, عن أبي إسحاق, عن صلة بن زفر: إنّهُمْ لا أيمَانَ لَهُمْ لا عهد لهم.
12910ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: وَإنْ نَكَثُوا أيمَانَهُمْ قال: عهدهم.
12911ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَإنْ نَكَثُوا أيمَانَهُمْ عهدهم الذي عاهدوا على الإسلام.
12912ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن صلة, عن عمار بن ياسر, في قوله: لا أيمَانَ لَهُمْ قال: لا عهد لهم.
12913ـ حدثني محمد بن عبيد المحاربي, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن أبي إسحاق, عن صلة بن زفر, عن حذيفة في قوله: فَقاتِلُوا أئمّةَ الكُفْرِ إنّهُمْ لا أيمَانَ لَهُمْ قال: لا عهد لهم.
وأما النكث فإن أصله: النقض, يقال منه: نكث فلان قوي حبله إذا نقضها, والأيمان: جمع اليمين.
واختلفت القرّاء في قراءة قوله: إنّهُمْ لا أيمَانَ لَهُمْ فقرأه قرّاء الحجاز والعراق وغيرهم: إنّهُمْ لا أيمَانَ لَهُمْ بفتح الألف من «أيمان» بمعنى: لا عهود لهم على ما قد ذكرنا من قول أهل التأويل فيه. وذُكر عن الحسن البصريّ أنه كان يقرأ ذلك: «إنّهُمْ لا إيمَانَ لَهُمْ» بكسر الألف, بمعنى: لا إسلام لهم. وقد يتوجه لقراءته كذلك وجه غير هذا, وذلك أن يكون أراد بقراءته ذلك كذلك: أنهم لا أمان لهم: أي لا تؤمنوهم, ولكن اقتلوهم حيث وجدتموهم, كأنه أراد المصدر من قول القائل: آمنته, فأنا أومنه إيمانا.
قال أبو جعفر: والصواب من القراءات في ذلك الذي لا أستجيز القراءة بغيره, قراءة من قرأ بفتح الألف دون كسرها, لإجماع الحجة من القراء على القراءة به ورفض خلافه, ولإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من أن تأويله لا عهد لهم. والأيمان التي هي بمعنى العهد, لا تكون إلا بفتح الألف, لأنها جمع «يمين» كانت على عقدٍ كان بين المتوادعين.

الآية : 13

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نّكَثُوَاْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمّواْ بِإِخْرَاجِ الرّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوّلَ مَرّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُمْ مّؤْمِنِينَ }.
يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله حاضّا لهم على جهاد أعدائهم من المشركين: ألا تقاتلون أيها المؤمنون هؤلاء المشركين الذين نقضوا العهد الذي بينكم وبينهم وطعنوا في دينكم وظاهروا عليكم أعداءكم وهموا بإخراج الرسول من بين أظهرهم فأخرجوه وهم بَدَءُوكُمْ أوّلَ مَرّةٍ بالقتال, يعني فعلهم ذلك يوم بدر. وقيل: قتالهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة. أتَخْشَوْنَهُمْ يقول: أتخافونهم على أنفسهم, فتتركوا قتالهم خوفا على أنفسكم منهم؟ فاللّهُ أحَقّ أنْ تَخْشَوْهُ يقول: فالله أولى

بكم أن تخافوا عقوبته بترككم جهادهم, وتحذروا سخطه عليكم من هؤلاء المشركين الذين لا يملكون لكم ضرّا ولا نفعا إلا بإذن الله. إنْ كُنْتُمْ مُؤمِنينَ يقول: إن كنتم مقرّين أن خشية الله لكم أولى من خشية هؤلاء المشركين على أنفسكم.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12914ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: ألا تُقاتِلُونَ قَوْما نَكَثُوا أيمَانَهُمْ مَنْ بَعْد عَهْدِهِمْ وَهَمّوا بإخْرَاج الرّسُول يقول: همّوا بإخراجه فأخرجوه. وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أوّلَ مَرّةٍ بالقتال.

12915ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أوّلَ مَرّةٍ قال: قتال قريش حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, بنحوه.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

12916ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: أمر الله رسوله بجهاد أهل الشرك ممن نقض من أهل العهد ومن كان من أهل العهد العام بعد الأربعة الأشهر التي ضرب لهم أجلاً, إلا أن يعودوا فيها على دينهم فيقبل بعد. ثم قال: ألا تُقاتِلوُنَ قَوْما نَكَثُوا أيمَانَهُمْ وَهَمّوا بإخْرَاجِ الرّسُول... إلى قوله: وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.

الآية : 14

القول في تأويل قوله تعالى: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مّؤْمِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله حاضّا لهم على جهاد أعدائهم من المشركين: ألا تقاتلون أيها المؤمنون هؤلاء المشركين الذين نقضوا العهد الذي بينكم وبينهم وطعنوا في دينكم وظاهروا عليكم أعداءكم وهموا بإخراج الرسول من بين أظهرهم فأخرجوه وهم بَدَءُوكُمْ أوّلَ مَرّةٍ بالقتال, يعني فعلهم ذلك يوم بدر. وقيل: قتالهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة. أتَخْشَوْنَهُمْ يقول: أتخافونهم على أنفسهم, فتتركوا قتالهم خوفا على أنفسكم منهم؟ فاللّهُ أحَقّ أنْ تَخْشَوْهُ يقول: فالله أولى بكم أن تخافوا عقوبته بترككم جهادهم, وتحذروا سخطه عليكم من هؤلاء المشركين الذين لا يملكون لكم ضرّا ولا نفعا إلا بإذن الله. إنْ كُنْتُمْ مُؤمِنينَ يقول: إن كنتم مقرّين أن خشية الله لكم أولى من خشية هؤلاء المشركين على أنفسكم.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12917ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: ألا تُقاتِلُونَ قَوْما نَكَثُوا أيمَانَهُمْ مَنْ بَعْد عَهْدِهِمْ وَهَمّوا بإخْرَاج الرّسُول يقول: همّوا بإخراجه فأخرجوه. وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أوّلَ مَرّةٍ بالقتال.

12918ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أوّلَ مَرّةٍ قال: قتال قريش حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, بنحوه.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
12919ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: أمر الله رسوله بجهاد أهل الشرك ممن نقض من أهل العهد ومن كان من أهل العهد العام بعد الأربعة الأشهر التي ضرب لهم أجلاً, إلا أن يعودوا فيها على دينهم فيقبل بعد. ثم قال: ألا تُقاتِلوُنَ قَوْما نَكَثُوا أيمَانَهُمْ وَهَمّوا بإخْرَاجِ الرّسُول... إلى قوله: وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَىَ مَن يَشَآءُ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره: قاتلوا أيها المؤمنون بالله ورسوله هؤلاء المشركين الذين نكثوا أيمانهم ونقضوا عهودهم بينكم وبينهم, وأخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم. يُعَذّبْهُمُ اللّهُ بأيْدِيكُم يقول: يقتلهم الله بأيديكم. ويُخْزِهِمْ يقول: ويذلهم بالأسر والقهر. وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ فيعطيكم الظفر عليهم والغلبة. وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ يقول: ويبرىء داء صدور قوم مؤمنين بالله ورسوله بقتل هؤلاء المشركين بأيديكم وإذلالكم وقهركم إياهم, وذلك الداء هو ما كان في قلوبهم عليهم من الموجدة بما كانوا ينالونهم به من الأذى والمكروه. وقيل: إن الله عنى بقوله: وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ: صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم, وذلك أنّ قريشا نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعونتهم بكرا عليهم. ذكر من قال ذلك:
12920ـ حدثنا محمد بن المثنى وابن وكيع قالا: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, عن مجاهد في هذه الآية: وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ قال: خزاعة.
12921ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو بن محمد العنقزي, عن أسباط, عن السديّ: وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ قال خزاعة يشف صدورهم من بني بكر.
حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, مثله.
12922ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ خزاعة حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الله بن رجاء, عن ابن جريج, عن عبد الله بن كثير, عن مجاهد: وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ قال: حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

يقول الله تعالى ذكره: ويذهب وجد قلوب هؤلاء القوم المؤمنين من خزاعة, على هؤلاء القوم الذين نكثوا أيمانهم من المشركين وغمها وكربها بما فيها من الوجد عليهم, بمعونتهم بكرا. كما:

12923ـ حدثني ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو بن محمد العنقزي, عن أسباط, عن السديّ: وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ حين قتلهم بنو بكر وأعانتهم قريش.

حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, مثله, إلا أنه قال: وأعانهم عليهم قريش.

وأما قوله: وَيَتُوبُ اللّهُ على مَنْ يَشاءُ فإنه خبر مبتدأ, ولذلك رفع وجزم الأحرف الثلاثة قبل ذلك على وجه المجازاة, كأنه قال: قاتلوهم فإنكم إن تقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم, ويخزهم, وينصركم عليهم. ثم ابتدأ فقال: وَيَتُوبُ اللّهُ على مَنْ يَشاءُ لأن القتال غير موجب لهم التوبة من الله, وهو موجب لهم العذاب من الله والخزي وشفاء صدور المؤمنين وذهاب غيظ قلوبهم, فجزم ذلك شرطا وجزاءً على القتال, ولم يكن موجبا القتال التوبة, فابُتِدىء الحكم به ورُفع.

ومعنى الكلام: ويمنّ الله على من يشاء من عباده الكافرين, فيقبل به إلى التوبة بتوفيقه إياه, والله عليم بسرائر عباده ومن هو للتوبة أهل فيتوب عليه, ومن منهم غير أهل لها فيخذله, حكيم في تصريف عباده من حال كفر إلى حال إيمان بتوفيق من وفقه لذلك, ومن حال إيمان إلى كفر بخذلانه من خذل منهم عن طاعته وتوحيده, وغير ذلك من أمرهم.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمّا يَعْلَمِ اللّهُ الّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين الذين أمرهم بقتال هؤلاء المشركين, الذين نقضوا عهدهم الذي بينهم وبينه بقوله: قاتِلُوهُمْ يُعَذّبْهُمُ اللّهُ بأيْدِيكُمْ... الآية, حاضّا على جهادهم: أم حسبتم أيها المؤمنون أن يترككم الله بغير محنة يمتحنكم بها وبغير اختبار يختبركم به, فيعرف الصادق منكم في دينه من الكاذب فيه. وَلمّا يَعْلَمِ اللّهُ الّذِينَ جاهَدُوا يقول: أحسبتم أن تتركوا بغير اختبار يعرف به أهل ولايته المجاهدين منكم في سبيله, من المضيعين أمر الله في ذلك المفرّطين. ولَمْ يَتّخِذُوا مِنْ دُون اللّهِ وَلا رَسُولِهِ يقول: ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم, والذين لم يتخذوا من دون الله ولا من دون رسوله, ولا من دون المؤمنين وَلِيجَةً هو الشيء يدخل في آخر غيره, يقال منه: ولج فلان في كذا يَلِجُهُ فهو وليجة. وإنما عنى بها في هذا الموضع: البطانة من المشركين, نهى الله المؤمنين أن يتخذوا من عدوّهم من المشركين أولياء يفشون إليهم أسرارهم. وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ يقول: والله ذو خبرة بما تعملون من اتخاذكم من دون الله ودون رسوله والمؤمنين به أولياء وبطانة بعد ما قد نهاكم عنه, لا يخفى ذلك عليه ولا غيره من أعمالكم, والله مجازيكم على ذلك إن خيرا فخيرا وإن شرّا فشرّا.

وبنحو الذي قلت في معنى الوليجة قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12924ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَلا المُؤمِنِينَ وَلِيجَةً يتولجها من الولاية للمشركين.
12925ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن أبي جعفر, عن الربيع: وَلِيجَةً قال: دَخَلاً.
12926ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تُتْرَكُواإلى قوله: ولِيَجَةً قال: أبى أن يعدهم دون التمحيص, وقرأ: أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تَدْخُلُوا الجَنّةَ وَلمّا يَعْلَمِ اللّهُ الّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وقرأ: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جهدوا منكم وَلمّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ... الآيات كلها, أخبرهم أن لا يتركهم حتى يمحصهم ويختبرهم, وقرأ: الم أحَسِبَ النّاسُ أنْ يُتْرَكُوا أنْ يَقُولُوا آمَنّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ لا يختبرون وَلَقَدْ فَتَنّا الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنّ اللّهُ الّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنّ الكاذِبِينَ أبى الله إلا أن يمحص.
12927ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الحسن: وَلِيجَةً قال: هو الكفر والنفاق, أو قال أحدهما.
وقيل: أمْ حَسِبْتُمْ ولم يقل: «أحسبتم», لأنه من الاستفهام المعترض في وسط الكلام, فأدخلت فيه «أم» ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ وقد بيّنت نظائر ذلك في غير موضع من الكتاب.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَىَ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النّارِ هُمْ خَالِدُونَ}.
يقول تعالى ذكره: ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر. يقول: إن المساجد إنما تعمر لعبادة الله فيها لا للكفر به, فمن كان بالله كافرا فليس من شأنه أن يعمر مساجد الله.
وأما شهادتهم على أنفسهم بالكفر, فإنها كما:
12928ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: ما كانَ لِلْمُشْرِكِينَ أنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللّهِ شاهِدِينَ على أنْفُسِهِمْ بالكُفْرِ يقول: ما ينبغي لهم أن يعمروها. وأما شَاهِدِينَ على أنْفُسِهِمْ بالكُفْرِ فإن النصرانيّ يسأل: ما أنت؟ فيقول: نصراني, واليهودي, فيقول: يهودي, والصابىء, فيقول: صابىء, والمشرك يقول إذا سألته: ما دينك؟ فيقول: مشرك لم يكن ليقوله أحد إلا العرب.
12929ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو العنقزي, عن أسباط, عن السديّ: ما كانَ لِلْمُشْرِكِينَ أنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللّهِ قال: يقول: ما كان ينبغي لهم أن يعمروها.
12930ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسباط, عن السديّ: شاهِدِينَ على أنْفُسِهِمْ بالكُفْرِ قال: النصراني يقال له: ما أنت؟ فيقول: نصراني, واليهودي يقال له: ما أنت؟ فيقول: يهودي, والصابىء يقال له: ما أنت؟ فيقول: صابىء.
وقوله: أُولَئِكَ حَبِطَتْ أعمالُهُمْ يقول: بطلت وذهبت أجورها, لأنها لم تكن لله, بل كانت للشيطان. وفِي النّارِ هُمْ خالِدُونَ يقول: ماكثون فيها أبدا, لا أحياءً ولا أمواتا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ما كانَ للْمُشْرِكِينَ أنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللّهِ فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة: مَساجِدَ اللّهِ على الجمع. وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين: «مَسْجِدَ اللّهِ» على التوحيد, بمعنى المسجد الحرام. وهم جميعا مجمعون على قراءة قوله: مَساجِدَ اللّهِ على الجمع, لأنه إذا قرىء كذلك احتمل معنى الواحد والجمع, لأن العرب قد تذهب بالواحد إلى الجمع وبالجمع إلى الواحد, كقولهم: عليه ثوب أخلاق.

الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصّلاَةَ وَآتَىَ الزّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاّ اللّهَ فَعَسَىَ أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ }.

يقول تعالى ذكره: إنما يعمر مساجد الله المصدّق بوحدانية الله, المخلص له العبادة واليوم الآخر, يقول: الذي يصدق ببعث الله الموتى أحياء من قبورهم يوم القيامة, وأقام الصلاة المكتوبة بحدودها, وأدّى الزكاة الواجبة عليه في ماله إلى من أوجبها الله له. وَلَمْ يَخْشَ إلاّ اللّهَ يقول: ولم يرهب عقوبة شيء على معصيته إياه سوى الله. فَعَسَى أُولَئِكَ أنْ يَكُونُوا مِنَ المُهْتَدِينَ يقول: فخليق بأولئك الذين هذه صفتهم أن يكونوا عند الله ممن قد هداه الله للحقّ وإصابة الصواب.

12931ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: حدثنا معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إنّمَا يَعْمُرُ مَساجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ باللّهِ واليَوْمِ الآخِرِ يقول: من وحد الله. وآمن باليوم الآخر يقول: أقرّ بما أنزل الله. وأقامَ الصّلاَةَ يعني الصلوات الخمس. ولَمْ يَخْشَ إلاّ اللّهَ يقول: ثم لم يعبد إلا الله, قال: فَعَسَى أُولَئِكَ يقول: إن أولئك هم المفلحون, كقوله لنبيه: عَسَى أنْ يَبْعَثكَ رَبّكَ مَقاما مَحْمُودا يقول: إن ربك سيبعثك مقاما محمودا, وهي الشفاعة, وكل «عسى» في القرآن فهي واجبة.

12932ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثم ذكر قول قريش: إنا أهل الحرم, وسقاة الحاجّ, وعمّار هذا البيت, ولا أحد أفضل منا فقال: إنّمَا يَعْمُرُ مَساجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ باللّهِ واليَوْمِ الآخِرِ: أي إن عمارتكم ليست على ذلك, إنما يعمر مساجد الله: أي من عمرها بحقها, مَنْ آمَنَ بالله واليَوْمِ الآخِرِ وأقامَ الصّلاةَ وآتى الزّكاةَ ولَمْ يَخْشَ إلاّ اللّهَ فأولئك عمارها. فَعَسَى أُولَئِكَ أنْ يَكُونُوا مِنَ المُهْتَدِينَ و«عسى» من الله حق.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ }.

وهذا توبيخ من الله تعالى ذكره لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت, فأعلمهم جلّ ثناؤه أن الفخر في الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيله لا في الذي افتخروا به من السدانة والسقاية. وبذلك جاءت الآثار وتأويل أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12933ـ حدثنا أبو الوليد الدمشقي أحمد بن عبد الرحمن, قال: حدثنا الوليد بن مسلم, قال: ثني معاوية بن سلام, عن جده أبي سلام الأسود, عن النعمان بن بشير الأنصاريّ, قال: كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه, فقال رجل منهم: ما أبالي ألاّ أعمل عملاً بعد

الإسلام, إلا أن أسقي الحاج وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه, وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم, فاستفتيته فيما اختلفتم فيه قال: ففعل, فأنزل الله تبارك وتعالى: أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ... إلى قوله: وَاللّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظّالِمِينَ.

12934ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ وعِمارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ باللّهِ واليَوْمِ الآخِرِ قال العباس بن عبد المطلب حين أُسر يوم بدر: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد, لقد كنا نعمر المسجد الحرام, ونسقي الحاجّ, ونفك العاني قال الله: أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ... إلى قوله: الظّالِمِينَ. يعني أن ذلك كان في الشرك, ولا أَقْبَلُ ما كان في الشرك.

12935ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ... إلى قوله: الظّالِمِينَ وذلك أن المشركين قالوا: عمارة بيت الله وقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعماره. فذكر الله استكبارهم وإعراضهم, فقال لأهل الحرم من المشركين: قَدْ كانَتْ آياتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ على أعْقابِكُمْ تَنْكِصُونَ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سامِرا تَهْجُرُونَ يعني أنهم يستكبرون بالحرم, وقال: «به سامراً» لأنهم كانوا يسمرون ويهجرون القرآن والنبيّ صلى الله عليه وسلم. فخير الإيمان بالله والجهاد مع نبيّ الله صلى الله عليه وسلم على عمران المشركين البيت وقيامهم على السقاية. ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به أن كانوا يعمرون بيته ويخدمونه, قال الله: لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللّهِ وَاللّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظّالِمِينَ يعني: الذين زعموا أنهم أهل العمارة, فسماهم الله «ظالمين» بشركهم فلم تغن عنهم العمارة شيئا.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن يحيى بن أبي كثير, عن النعمان بن بشير, أن رجلاً قال: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاجّ وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صلى الجمعة دخلنا عليه. فنزلت: أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ وعِمارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ... إلى قوله: لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللّهِ.

12936ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن عمرو, عن الحسن, قال: نزلت في عليّ وعباس وعثمان وشيبة, تكلموا في ذلك فقال العباس: ما أراني إلا تارك سقايتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقِيمُوا على سِقايَتِكُمْ فإنّ لَكُمْ فِيها خَيْرا».

12937ـ قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيينة, عن إسماعيل, عن الشعبيّ, قال: نزلت في عليّ والعباس, تكلما في ذلك.

12938ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرت عن أبي صخر, قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: افتخر طلحة بن شيبة من بني عبد الدار, وعباس بن عبد المطلب, وعليّ بن أبي طالب, فقال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه, لو أشاء بتّ فيه وقال عباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها, ولو أشاء بتّ في المسجد وقال عليّ: ما أدري ما تقولان, لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس, وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله: أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ وعِمارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ... الآية كلها.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الحسن, قال: لما نزلت أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ قال العباس: ما أراني إلا تارك سقايتنا, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «أقِيمُوا على سِقايَتِكُمْ فإنّ لَكُمْ فِيها خَيْرا».

12939ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ وعِمارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كمَنْ آمَنَ باللّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَجاهَد فِي سَبِيلِ اللّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْد اللّهِ قال: افتخر عليّ وعباس وشيبة بن عثمان, فقال العباس: أنا أفضلكم, أنا أسقي حجاج بيت الله وقال شيبة: أنا أعمر مسجد الله وقال علي: أنا هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم, وأجاهد معه في سبيل الله فأنزل الله: الّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ... إلى: نَعِيمٌ مُقِيمٌ.

12940ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ... الآية, أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أُسروا يوم بدر يعيرونهم بالشرك, فقال العباس: أما والله لقد كنا نعمر المسجد الحرام, ونفك العاني, ونحجب البيت, ونسقي الحاجّ فأنزل الله: أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ... الآية.

فتأويل الكلام إذن: أجعلتم أيها القوم سقاية الحاجّ, وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله, لا يستوون هؤلاء وأولئك, ولا تعتدل أحوالهما عند الله ومنازلهما لأن الله تعالى لا يقبل بغير الإيمان به وباليوم الآخر عملاً. واللّهُ لا يَهْدِي القَوْم الظّالِمِينَ يقول: والله لا يوفق لصالح الأعمال من كان به كافرا ولتوحيده جاحدا. ووضع الاسم موضع المصدر في قوله: كمَنْ آمَنَ باللّهِ إذ كان معلوما معناه, كما قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ ما الفِتْيانُ أنْ تَنْبُتَ اللّحَىوَلَكِنّما الفِتْيانُ كُلّ فَتىً نَدِي

فجعل خبر الفتيان «أن», وهو كما يقال: إنما السخاء حاتم والشعر زهير.

الآية : 20

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ }.

وهذا قضاء من الله بين فِرَق المفتخرين الذين افتخر أحدهم بالسقاية, والآخر بالسدانة, والآخر بالإيمان بالله والجهاد في سبيله. يقول تعالى ذكره: الذين آمنوا بالله: صدقوا بتوحيده من المشركين, وهاجروا دور قومهم, وجاهدوا المشركين في دين الله بأموالهم وأنفسهم, أعظم درجة عند الله وأرفع منزلة عنده من سقاة الحاجّ وعمار المسجد الحرام وهم بالله

مشركون. وَأُولِئكَ يقول: وهؤلاء الذين وصفنا صفتهم أنهم آمنوا وهاجروا وجاهدوا وهُمُ الفَائِزُونَ بالجنة الناجون من النار.

الآية : 21

القول في تأويل قوله تعالى: {يُبَشّرُهُمْ رَبّهُم بِرَحْمَةٍ مّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنّاتٍ لّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مّقِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: يبشر هؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ربهم برحمة منه لهم أنه قد رحمهم من أن يعذبهم وبرضوان منه لهم, بأنه قد رضي عنهم بطاعتهم إياه وأدائهم ما كلفهم. وجَنّاتٍ يقول: وبساتين لهم فيها نعيم مقيم لا يزول ولا يبيد, ثابت دائم أبدا لهم.

12941ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد الموسوي, قال: حدثنا سفيان, عن محمد بن المنكدر, عن جابر بن عبد الله, قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة, قال الله سبحانه: أعطيكم أفضل من هذا, فيقولون: ربنا أيّ شيء أفضل من هذا؟ قال: رضواني».

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً إِنّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: خالِدِينَ فِيها ماكثين فيها, يعني في الجنات. أبَدا لا نهاية لذلك ولا حدّ. إنّ اللّهَ عِنْدَهُ أجْرٌ عَظِيمٌ يقول: إن الله عنده لهؤلاء المؤمنين الذين نعتهم جلّ ثناؤه النعت الذي ذكر في هذه الآية أجر: ثواب على طاعتهم لربهم وأدائهم ما كلفهم من الأعمال عظيم, وذلك النعيم الذي وعدهم أن يعطيهم في الآخرة.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتّخِذُوَاْ آبَآءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ اسْتَحَبّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلّهُمْ مّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أسراركم وتطلعونهم على عورة الإسلام وأهله, وتؤثرون المكث بين أظهرهم على الهجرة إلى دار الإسلام. إنِ اسْتَحَبّوا الكُفْرَ على الإيمَانِ يقول: إن اختاروا الكفر بالله على التصديق به والإقرار بتوحيده. وَمَنْ يَتَوَلّهُمْ مِنْكُمْ يقول: ومن يتخذهم منكم بطانة من دون المؤمنين, ويؤثر المقام معهم على الهجرة إلى رسول الله ودار الإسلام فَأولَئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ يقول: فالذين يفعلون ذلك منكم هم الذين خالفوا أمر الله, فوضعوا الولاية في غير موضعها وعصوا الله في أمره. وقيل: إن ذلك نزل نهيا من الله المؤمنين عن موالاة أقربائهم الذين لم يهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام. ذكر من قال ذلك:

12942ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: أجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ وعِمارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ قال: أمروا بالهجرة, فقال العباس بن عبد المطلب: أنا أسقي الحاجّ وقال طلحة أخو بني عبد الدار: أنا صاحب الكعبة فلا نهاجر فأنزلت: لا تَتخِذُوا آباءَكُمْ وإخْوَانَكُمْ أوْلِياءَ... إلى قوله: يَأتِيَ اللّهُ بأمره بالفتح, في أمره إياهم بالهجرة, هذا كله قبل فتح مكة.

الآية : 24
القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبّ إِلَيْكُمْ مّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبّصُواْ حَتّىَ يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }.
يقول تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة إلى دار الإسلام المقيمين بدار الشرك: إن كان المقام مع آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم, وكانت أمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا يقول: اكتسبتموها, وتِجارَةٌ تَخْشَوْن كَسادَها بفراقكم بلدكم, وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها فسكنتموها أحَبّ إليكُم من الهجرة إلى الله ورسوله من دار الشرك ومن جهاد في سبيله, يعني في نصرة دين الله الذي ارتضاه. فَتَرَبّصُوا يقول: فتنظّروا, حتى يَأتيَ اللّهُ بأمْرِهِ حتى يأتي الله بفتح مكة. وَاللّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ يقول: والله لا يوفق للخير الخارجين عن طاعته وفي معصيته.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
12943ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: حتى يَأتِيَ اللّهُ بِأمْرِهِ بالفتح.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: فَتَرَبّصُوا حتى يَأتِيَ اللّهُ بِأمْرِهِ فتح مكة.
12944ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: وأمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها يقول: تخشون أن تكسد فتبيعوها. وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها قال: هي القصور والمنازل.
12945ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وأمْوَالٌ اقْتَرَفْتَمُوها يقول: أصبتموها.
الآية : 25
القول في تأويل قوله تعالى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمّ وَلّيْتُم مّدْبِرِينَ }.
يقول تعالى ذكره: لقد نصركم الله أيها المؤمنون في أماكن حرب توطنون فيها أنفسكم على لقاء عدوّكم ومشاهد تلتقون فيها أنتم وهم كثيرة. وَيَوْمَ حُنَيْنٍ يقول: وفي يوم حنين أيضا قد نصركم. وحنين: واد فيما ذكر بين مكة والطائف وأجري لأنه مذكر اسم لمذكر, وقد يترك إجراؤه ويراد به أن يجعل اسما للبلدة التي هو بها, ومنه قول الشاعر:
نَصَرُوا نَبِيّهُمُ وَشَدّوا أزْرَهُبِحُنَيْنَ يَوْمَ تَوَاكُلِ الأبْطالِ
12946ـ حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد, قال: ثني أبي, قال: حدثنا أبان العطار, قال: حدثنا هشام بن عروة, عن عروة,قال: حنين: واد إلى جنب ذي المجاز.
إذْ أعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ وكانوا ذلك اليوم فيما ذكر لنا اثني عشر ألفا. ورُوي أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال ذلكَ اليَوْم: «لَنْ نُغْلَبَ مِنْ قِلّةٍ». وقيل: قال ذلك رجل من المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, وهو قول الله: إذْ أعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْن عَنْكُمْ شَيْئا يقول: فلم تغن

عنكم كثرتكم شيئا. وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأرْضُ بِمَا رَحُبَتْ يقول: وضاقت الأرض بسعتها عليكم. والباء ههنا في معنى «في», ومعناه: وضاقت عليكم الأرض في رحبها وبرحبها, يقال منه: مكان رحيب: أي واسع وإنما سميت الرحاب رحابا لسعتها. ثُمّ وَلّيْتُمْ مُدْبِرِينَ عن عدوّكم منهزمين مدبرين, يقول: وليتموهم الأدبار, وذلك الهزيمة. يخبرهم تبارك وتعالى أن النصر بيده ومن عنده, وأنه ليس بكثرة العدد وشدّة البطش, وأنه ينصر القليل على الكثير إذا شاء ويخلي القليل فيهزم الكثير.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12947ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لَقَدْ نَصَركُمُ اللّهُ في مَواطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ حتى بلغ: وَذلكَ جَزَاءُ الكافِرِينَ قال: وحنين ماء بين مكة والطائف قاتل عليها نبيّ الله هوازن وثقيف, وعلى هوازن مالك بن عوف أخو بني نصر, وعلى ثقيف عبد يا ليل بن عمرو الثقفي. قال: وذكر لنا أنه خرج يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفا, عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار, وألفان من الطلقاء, وذكر لنا أن رجلاً قال يومئذ: لن نغلب اليوم بكثرة قال: وذُكر لنا أن الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس, وجلوا عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عن بغلته الشهباء. وذُكر لنا أن نبيّ الله قال: «أيْ ربّ آتِني ما وعَدْتَنِي» قال: والعباس آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم: «نادِ يا مَعْشَرَ الأنْصارِ ويا مَعْشَر المُهاجِرِينَ» فجعل ينادي الأنصار فخذا فخذا, ثم نادي: يا أصحاب سورة البقرة قال: فجاء الناس عُنُقا واحدا. فالتفت نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, وإذا عصابة من الأنصار, فقال: «هَلْ مَعَكُمْ غيرُكُمْ؟» فقالوا: يا نبيّ الله, والله لو عمدت إلى برك الغماد من ذي يمن لكنا معك ثم أنزل الله نصره, وهزم عدوّهم, وتراجع المسلمون. قال: وأخذ رسول الله كفّا من تراب, أو قبضة من حصباء, فرمى بها وجوه الكفار, وقال: «شاهَتِ الوُجُوهُ» فانهزموا. فلما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم, وأتى الجعرانة, فقسم بها مغانم حنين, وتألف أناسا من الناس فيهم أبو سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو والأقرع بن حابس, فقالت الأنصار: حنّ الرجل إلى قومه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة له من أدم, فقال: «يا مَعْشَرَ الأنْصارِ, ما هَذا الّذِي بَلَغَنِي؟ ألَمْ تَكُونُوا ضُلاّلاً فَهَدَاكُمُ اللّهُ, وكُنْتُمْ أذِلّةً فَأعَزّكُمُ اللّهُ وكُنْتُمْ وكُنْتُمْ» قال: فقال سعد بن عبادة رحمه الله: ائذن لي فأتكلم قال: «تَكَلّمْ» قال: أما قولك: كنتم ضُلاّلاً فهداكم الله, فكنا كذلك, وكنتم أذلة فأعزّكم الله, فقد علمت العرب ما كان حيّ من أحياء العرب أمنع لما وراء ظهورهم منا فقال الرسول: «يا سَعْدُ أتَدْرِي مَنْ تُكَلّمُ؟» فقال: نعم أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ سَلَكَتِ الأنْصارُ وَادِيا والنّاسُ وَادِيا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأنْصَارِ, وَلَوْلا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرأ مِنَ الأنْصَارِ». وذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كَان يقول: «الأنْصَارُ كَرِشِي وعَيْبَتِي, فاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وتَجاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ». ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا مَعْشَرَ الأنْصَارِ أمَا تَرْضَوْنَ أنْ يَنْقَلِبَ النّاسُ بالإبِلِ والشّاءِ, وَتَنْقَلِبُونَ بِرَسُولِ اللّهِ إلى بُيُوتكُمْ؟» فقالت الأنصار: رضينا عن الله ورسوله, والله ما قلنا ذلك إلا

حرصا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُصَدّقانِكُمْ ويَعْذُرَانِكُمْ».
12948ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: ذكر لنا أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته أوظئره من بني سعد بن بكر أتته فسألته سبايا يوم حُنين, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّي لا أمْلِكُهُمْ وإنّمَا لي مِنْهُمْ نَصِيبي, وَلكِنْ ائْتِيني غَدا فَسَلِيني والنّاسُ عِنْدِي, فإنّي إذَا أعْطَيْتُكِ نَصِيبي أعْطاكِ النّاسُ» فجاءت الغد فبسط لها ثوبا, فقعدت عليه, ثم سألته, فأعطاها نصيبه فلما رأى ذلك الناس أعطوها أنصباءهم.
12949ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: لَقَدْ نَصَركُمُ اللّهُ في مَواطِنَ كَثِيرَةٍ... الآية: إن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال: يا رسول الله لن نغلب اليوم من قلة وأعجبته كثرة الناس, وكانوا اثني عشر ألفا. فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم, فوكلوا إلى كلمة الرجل, فانهزموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, غير العباس وأبي سفيان بن الحرث وأيمن ابن أم أيمن, قُتل يومئذ بين يديه. فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيْنَ الأنْصَارُ؟ أيْنَ الّذِينَ بايَعُوا تَحْتَ الشّجَرَةِ؟» فتراجع الناس, فأنزل الله الملائكة بالنصر, فهزموا المشركين يومئذ, وذلك قوله: ثُمّ أنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ على رَسُولِهِ وَعلى المُؤْمِنِينَ وأنْزَلَ جُنُودا لَمْ تَرَوْها... الآية.
12950ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الزهريّ, عن كثير بن عباس بن عبد المطلب, عن أبيه, قال: لما كان يوم حنين التقى المسلمون والمشركون, فولى المسلمون يومئذ. قال: فلقد رأيت النبيّ صلى الله عليه وسلم وما معه أحد إلا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب, آخذا بغَرْز النبيّ صلى الله عليه وسلم, لا يألو ما أسرع نحو المشركين. قال: فأتيت حتى أخذت بلجامه وهو على بغلة له شهباء, فقال: «يا عبّاس نادِ أصحَابَ السّمُرَةِ» وكنتُ رجلاً صَيّتا, فأذنت بصوتي الأعلى: أين أصحاب السمرة؟ فالتفتوا كأنها الإبل إذا حنت إلى أولادها, يقولون: يا لبيك يا لبيك وأقبل المشركون فالتقوا هم والمسلمون, وتنادت الأنصار: يا معشر الأنصار ثم قصرت الدعوة في بني الحرث بن الخزرج, فتنادوا: يا بني الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول إلى قتالهم, فقال: «هَذَا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ». ثم أخذ بيده من الحصباء فرماهم بها, ثم قال: «انْهَزَمُوا وَرَبّ الكَعْبَةِ انْهَزَمُوا وَرَبّ الكَعْبَةِ» قال: فوالله ما زال أمرهم مدبرا وحدهم كليلاً حتى هزمهم الله. قال: فلكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته.
12951ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, عن الزهري, عن سعيد بن المسيب. أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف سبيّ, ثم جاء قومهم مسلمين بعد ذلك, فقالوا: يا رسول الله, أنت خير الناس وأبرّ الناس, وقد أخذت أبناءنا ونساءنا وأموالنا. فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنّ عِنْدِي مَنْ تَرَوْنَ, وإنّ خَيْرَ القَوْلِ أصْدَقُهُ, اخْتارُوا إمّا ذَرَارِيّكُمْ وَنِساءَكُمْ وَإمّا أمْوَالَكُمْ» قالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئا. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: «إنّ هَؤُلاءِ قَدْ جاءُونِي مُسْلِمِينَ,

وإنّا خَيّرْناهُمْ بينَ الذّرَارِي والأمْوَالِ فَلَمْ يَعْدِلُوا بالأحْسابِ شَيْئا, فَمَنْ كانَ بِيَدِهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ فَطابَتْ نَفْسُهُ أنْ يَرُدّهُ فَلْيَفْعَلْ ذلكَ, وَمَنْ لا فَلْيُعْطِنا, وَلْيَكُنْ قَرْضا عَلَيْنا حتى نُصِيبَ شَيْئا فَنُعْطِيَهَ مَكانَهُ» فقالوا: يا نبيّ الله رضينا وسلمنا. فقال: «إنّي لا أدْرِي, لَعَلّ مِنْكُمْ مَنْ لا يَرْضَى, فَمُرُوا عُرَفاءَكُمْ فَلْيَرْفَعُوا ذلكَ إلَيْنا» فرفعت إليه العرفاء أن قد رضوا وسلموا.

12952ـ حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا حماد بن سلمة, قال: حدثنا يعلى بن عطاء, عن أبي همام, عن أبي عبد الرحمن, يعني الفهري, قال: كنت مع النبيّ صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين فلما ركدت الشمس لبست لأمتي وركبت فرسي, حتى أتيت النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو في ظلّ شجرة, فقلت: يا رسول الله قد حان الرواح, فقال: «أجَلْ» فنادى: «يا بِلال يا بلالُ» فقام بلال من تحت سمرة, فأقبل كأن ظله ظل طير, فقال: لبيك وسعديك, ونفسي فداؤك يا رسول الله فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم: «أسْرِجْ فَرَسِي» فأخرج سرجا دفتاه حشوهما ليف, ليس فيهما أشر ولا بطر. قال: فركب النبيّ صلى الله عليه وسلم, فصافيناهم يومنا وليلتنا فلما التقى الخيلان ولى المسلمون مدبرين, كما قال الله, فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عِبادَ اللّهِ, يا مَعْشَرَ المُهاجِرِينَ» قال: ومال النبيّ صلى الله عليه وسلم عن فرسه, فأخذ حفنة من تراب فرمى بها وجوههم, فولوا مدبرين. قال يعلى بن عطاء: فحدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا: ما بقي منا أحد إلا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب.

12953ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, قال: سمعت البراء, وسأله رجل من قيس: فررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين؟ فقال البراء: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفرّ, وكانت هوازن يومئذ رماة, وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام, ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان بن الحرث آخذ بلجامها, وهو يقول:

أنا النّبِيُ لا كَذِبْأنا ابْنُ عَبْدِ المُطّلِبْ

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن البراء, قال: سأله رجل: يا أبا عمارة, وليتم يوم حنين؟ فقال البراء وأنا أسمع: أشهد أن رسول الله لم يولّ يومئذ دبره, وأبو سفيان يقود بغلته, فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول:

أنا النّبِيّ لا كَذْبْأنا ابنُ عَبْدِ المُطّلِبْ

فما رؤي يومئذ أحد من الناس كان أشدّ منه.

12954ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني جعفر بن سليمان, عن عوف الأعرابي, عن عبد الرحمن مولى أم برثن, قال: ثني رجل كان من المشركين يوم حنين, قال: لما التقينا نحن وأصحاب محمد عليه الصلاة والسلام, لم يقفوا لنا حَلَبَ شاة أن كشفناهم. فبينا نحن نسوقهم, إذا انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء, فتلقانا رجال بيض حسان الوجوه, فقالوا لنا: شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا, وركَبنا القوم فكانت إياها.

12955ـ حدثنا ابن حيمد, قال: حدثنا جرير, عن يعقوب, عن جعفر, عن سعيد, قال: أمدّ الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم حنين بخمسة آلاف من

الملائكة مسوّمين. قال: ويومئذ سمى الله الأنصار مؤمنين. قال: فَأَنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعَلى المُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودا لَمْ تَرَوْهَا.

12956ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئا قال: كانوا اثني عشر ألفا.

12957ـ حدثنا محمد بن يزيد الاَدمي, قال: حدثنا معن بن عيسى, عن سعيد بن السائب الطائفي, عن أبيه, عن يزيد بن عامر, قال: لما كانت انكشافة المسلمين حين انكشفوا يوم حنين, ضرب النبيّ صلى الله عليه وسلم يده إلى الأرض, فأخذ منها قبضة من تراب, فأقبل بها على المشركين وهم يتبعون المسلمين, فحثاها في وجوههم وقال: «ارْجِعُوا شاهَتِ الوُجُوهُ» قال: فانصرفنا ما يلقي أحد أحدا إلا وهو يمسح القذى عن عينيه.

12958ـ وبه عن يزيد بن عامر السوائي, قال: قيل له: يا أبا حاجز, الرعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين ماذا وجدتم؟ قال: وكان أبو حاجز مع المشركين يوم حنين, فكان يأخذ الحصاة فيرمي بها في الطست فيطنّ, ثم يقول: كان في أجوافنا مثل هذا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسن بن عرفة, قال: ثني المعتمر بن سليمان, عن عوف, قال: سمعت عبد الرحمن مولى أم برثن أو أم مريم, قال: ثني رجل كان في المشركين يوم حنين, قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين, لم يقوموا لنا حَلَبَ شاة, قال: فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم في أدبارهم, حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء, فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فتلقانا عنده رجال بيض حسان الوجوه, فقالوا لنا: شاهت الوجوه ارجعوا قال: فانهزمنا وركبوا أكتافنا, فكانت إياها.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ أَنزلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىَ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لّمْ تَرَوْهَا وَعذّبَ الّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَآءُ الْكَافِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ثم من بعد ما ضاقت عليكم الأرض بما رَحُبت وتَوْلّيتكم الأعداء أداركم, كشف الله نازل البلاء عنكم, بإنزاله السكينة وهي الأمنة والطمأنينة عليكم. وقد بيّنا أنها فعيلة من السكون فيما مضى من كتابنا هذا قبل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وأنْزَلَ جُنُودا لَمْ تَرَوْها وهي الملائكة التي ذُكِرت في الأخبار التي قد مضى ذكرها. وَعَذّبَ الّذِينَ كَفَرُوا يقول: وعذّب الله الذين جحدوا وحدانيته ورسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالقتل وسبي الأهلين والذراري وسلب الأموال والذلة. وذلكَ جزاءُ الكافرينَ يقول: هذا الذي فعلنا بهم من القتل والسبي جزاء الكافرين, يقول: هو ثواب أهل جحود وحدانيته ورسالة رسوله.

12959ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَعَذّبَ الّذِينَ كَفَرُوا يقول: قتلهم بالسيف.

12960ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو داود الحَفْريّ, عن يعقوب, عن جعفر, عن سعيد: وَعَذّبَ الّذِينَ كَفَرُوا قال: بالهزيمة والقتل.

12961ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَعَذّبَ الّذِينَ كَفَرُوا وَذلكَ جَزَاءُ الكافِرِينَ قال: من بقي منهم.

الآية : 27
القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ يَتُوبُ اللّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىَ مَن يَشَآءُ وَاللّهُ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره: ثم يتفضل الله بتوفيقه للتوبة والإنابة إليه من بعد عذابه الذي به عذّب من هلك منهم قتلاً بالسيف على من يشاء أي يتوب الله على من يشاء من الأحياء يقبل به إلى طاعته والله غَفُورٌ لذنوب من أناب وتاب إليه منهم ومن غيرهم منها, رَحِيمٌ بهم فلا يعذبهم بعد توبتهم, ولا يؤاخذهم بها بعد إنابتهم.
الآية : 28
القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُوَاْ إِنّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَآءَ إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله وأقرّوا بوحدانيته: ما المشركون إلا نجس.
واختلف أهل التأويل في معنى النجَس وما السبب الذي من أجله سماهم بذلك, فقال بعضهم: سماهم بذلك لأنهم يُجْنِبون فلا يغتسلون, فقال: هم نجس, ولا يقربوا المسجد الحرام, لأن الجنب لا ينبغي له أن يدخل المسجد.
ذكر من قال ذلك:
12962ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, في قوله: إنّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ: لا أعلم قتادة إلا قال: النجَس: الجنابة.
12963ـ وبه عن معمر, قال: وبلغني أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لقي حذيفة, وأخذ النبيّ صلى الله عليه وسلم بيده, فقال حذيفة: يا رسول الله إني جُنُب فقال: «إنّ المُؤْمِنَ لا يَنْجُس».
12964ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ: أي أجناب.
وقال آخرون: معنى ذلك: ما المشركون إلا رجس خنزير أو كلب. وهذ قول رُوي عن ابن عباس من وجه غير حميد, فكرهنا ذكره.
وقوله: فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا يقول للمؤمنين: فلا تدعوهم أن يقربوا المسجد الحرام بدخولهم الحرَم. وإنما عني بذلك منعهم من دخول الحرَم, لأنهم إذا دخلوا الحرَم فقد قربوا المسجد الحرام.
وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم فيه نحو الذي قلناه.
ذكر من قال ذلك:
12965ـ حدثنا بشر وابن المثنى, قالا: حدثنا أبو عاصم, قال: أخبرنا ابن جريج, قال: قال عطاء: الحرَم كله قبلة ومسجد, قال: فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ لم يعن المسجد وحده, إنما عنى مكة والحرَم. قال ذلك غير مرة.
وذُكر عن عمر بن عبد العزيز في ذلك ما:
12966ـ حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير, قال: ثني الوليد بن مسلم, قال: حدثنا أبو عمرو: أن عمر بن عبد العزيز كتب: أن امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين وأتبع في نهيه قول الله: إنّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ.
12967ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن فضيل, عن أشعث, عن الحسن: إنّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ قال: لا تصافحوهم, فمن صافحهم فليتوضأ.

وأما قوله: بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا فإنه يعني: بعد العام الذي نادى فيه عليّ رحمة الله عليه ببراءة, وذلك عامَ حجّ بالناس أبو بكر, وهي سنة تسع من الهجرة. كما:

12968ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامِ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا وهو العام الذي حجّ فيه أبو بكر, ونادى عليّ رحمة الله عليهما بالأذان وذلك لتسع سنين مضين من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وحجّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل حِجة الوداع لم يحجّ قبلها ولا بعدها.

وقوله: وَإنْ خِفْتُمْ عَيلَةً يقول للمؤمنين: وإن خفتم فاقة وفقرا, بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام. فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ إنْ شَاءَ يقال منه: عال يَعِيل عَيْلَةً وعُيُولاً, ومنه قول الشاعر:

وَما يَدْرِي الفَقِيرُ مَتَى غناهُوَما يَدْرِي الغَنيّ مَتَى يَعِيلُ

وقد حُكي عن بعضهم أن من العرب من يقول في الفاقة: عال يَعُول بالواو. وذكر عن عمر بن فائد أنه كان تأوّل قوله: وَإنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً بمعنى: وإذ خفتم, ويقول: كان القوم قد خافوا, وذلك نحو قول القائل لأبيه: إن كنت أبي فأكرمني, بمعنى: إذ كنت أبي. وإنما قيل ذلك لهم, لأن المؤمنين خافوا بانقطاع المشركين عن دخول الحرم انقطاع تجاراتهم ودخول ضرر عليهم بانقطاع ذلك, وأمّنهم الله من العَيْلة وعوّضهم مما كانوا يكرهون انقطاعه عنهم ما هو خير لهم منه, وهو الجزية, فقال لهم: قاتِلُوا الّذِينَ لا يُؤْمنُونَ باللّهِ وَلا باليَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرّمُونَ ما حَرّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ... إلى: صَاغِرُونَ.

وقال قوم بإدرار المطر عليهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12969ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامِ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا قال: لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام ألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن, قال: من أين تأكلون وقد نُفي المشركون وانقطعت عنكم العير؟ فقال الله: وَإنْ خِفْتُمْ عَيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ إنْ شاءَ فأمرهم بقتال أهل الكتاب, وأغناهم من فضله.

حدثنا هناد بن السريّ, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن عكرمة, في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامِ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا قال: كان المشركون يجيئون إلى البيت, ويجيئون معهم بالطعام ويَتّجرون فيه فلما نهُوُا أن يأتوا البيت قال المسلمون: من أين لنا طعام؟ فأنزل الله: وَإنْ خِفْتُمْ عَيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ إنْ شَاءَ فأنزل عليهم المطر, وكثر خيرهم حين ذهب عنهم المشركون.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حميد بن عبد الرحمن, عن عليّ بن صالح, عن سماك, عن عكرمة: إنّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ... الآية, ثم ذكر نحو حديث هناد, عن أبي الأحوص,

12970ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن واقد, عن سعيد بن جبير, قال: لما نزلت: إنّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامِ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا شقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى

الله عليه وسلم, وقالوا: من يأتينا بطعامنا, ومن يأتينا بالمتاع؟ فنزلت: وَإِنْ خِفْتُمْ عَيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ.
12971ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن واقد مولى زيد بن خلدة, عن سعيد بن جبير, قال: كان المشركون يقدمون عليهم بالتجارة, فنزلت هذه الآية: إِنّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ... إلى قوله: عَيلَةً قال: الفقر. فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ.
12972ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن إدريس, عن أبيه, عن عطية العوفيّ, قال: قال المسلمون: قد كنا نصيب من تجارتهم وبياعاتهم, فنزلت: إِنّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ... إلى قوله: مِنْ فَضْلِهِ.
12973ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت أبي, أحسبه قال: أنبأنا أبو جعفر, عن عطية, قال: لما قيل: ولا يحجّ بعد العام مشرك قالوا: قد كنا نصيب من بياعاتهم في الموسم. قال: فنزلت: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إِنّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامِ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ يعني: بما فاتهم من بياعاتهم.
12974ـ حدثنا أبو كريب وابن وكيع, قالا: حدثنا ابن يمان, عن أبي سنان, عن ثابت, عن الضحاك: وَإِنْ خِفْتُمْ عَيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ قال: بالجزية.
12975ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن يمان وأبو معاوية, عن أبي سنان, عن ثابت, عن الضحاك, قال: أخرج المشركون من مكة, فشقّ ذلك على المسلمين, وقالوا: كنا نصيب منهم التجارة والمِيرة. فأنزل الله: قاتِلُوا الّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ باللّهِ وَلا باليَوْمِ الآخِرِ.
12976ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَإِنْ خِفْتُمْ عَيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ كان ناس من المسلمين يتألفون العير فلما نزلت براءة بقتال المشركين حيثما ثُقفوا, وأن يقعدوا لهم كل مرصد, قذف الشيطان في قلوب المؤمنين. فمن أين تعيشون وقد أمرتم بقتال أهل العِير؟ فعلم الله من ذلك ما علم, فقال: أطيعوني, وامضوا لأمري, وأطيعوا رسولي, فإني سوف أغنيكم من فضلي فتوكل لهم الله بذلك.
12977ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: إِنّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ... إلى قوله: فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شاءَ قال: قال المؤمنون: كنا نصيب من متاجر المشركين. فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله عوضا لهم بأن لا يقربوهم المسجد الحرام. فهذه الآية من أوّل براءة في القراءة, ومن آخرها في التأويل: قاتِلُوا الّذِينَ لا يؤمِنُونَ باللّهِ وَلا باليَوْمِ الآخِرِ... إلى قوله: عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, بنحوه.
12978ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام, شقّ ذلك على المسلمين, وكانوا يأتون ببياعات ينتفع بذلك المسلمون, فأنزل الله تعالى ذكره: وَإِنْ خِفْتُمْ عَيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ فأغناهم بهذا الخراج الجزية الجارية عليهم, يأخذونها شهرا شهرا, عاما عاما. فليس لأحد من

المشركين أن يقرَب المسجد الحرام بعد عامهم بحال إلا صاحب الجزية, أو عبد رجل من المسلمين.
12979ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن جريج, قال: أخبرنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في قوله: إنّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامِ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا إلا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الذمة.
12980ـ قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامِ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا قال: إلا صاحب جزية, أو عبدا لرجل من المسلمين.
حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا حجاج, عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج, قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في هذه الآية: إنّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامِ إلا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الجزية.
12981ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: وَإنْ خِفْتُمْ عَيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ قال: أغناهم الله بالجزية الجارية شهرا فشهرا وعاما فعاما.
12982ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا عباد بن العوّام, عن الحجاج, عن أبي الزبير, عن جابر: إنّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامِ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا قال: لا يقرب المسجد الحرام بعد عامه هذا مشرك ولا ذميّ.

12983ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: إنّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامِ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا وَإنْ خِفْتُمْ عَيلَةً وذلك أن الناس قالوا: لَتُقَطَعنّ عنا الأسواق ولَتهلِكنّ التجارة وليذهبنّ ما كنا نصيب فيها من المرافق فنزل: وَإنْ خِفْتُمْ عَيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ من وجه غير ذلك إنْ شاءَ... إلى قوله: وَهُمْ صَاغِرُونَ, ففي هذا عوض مما تخوّفتم من قطع تلك الأسواق. فعوّضهم الله بما قطع عنهم من أمر الشرك ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية.
وأما قوله: إنّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ فإن معناه: إن الله عليم بما حدثْتكم به أنفسكم أيها المؤمنون من خوف العيلة عليها بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام, وغير ذلك من مصالح عباده, حكيم في تدبيره إياهم وتدبير جميع خلقه.

الآية : 29

القول في تأويل قوله تعالى: {قَاتِلُواْ الّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الاَخِرِ وَلاَ يُحَرّمُونَ مَا حَرّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقّ مِنَ الّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتّىَ يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ }.
يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم: قاتِلُوا أيها المؤمنون القوم الّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ باللّهِ وَلا بالْيَوْمِ الآخِرِ يقول: ولا يصدّقون بجنة ولا نار, وَلا يُحَرّمُونَ ما حَرّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينونَ دِينَ الحَقّ يقول: ولا يطيعون الله طاعة الحقّ, يعني: أنهم لا يطيعون طاعة أهل الإسلام مِنَ الّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ وهم اليهود والنصارى, وكل مطيع ملكا أو ذا

سلطان, فهو دائن له, يقال منه: دان فلان لفلان فهو يدين له دينا, قال زهير:

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوَ فِي بَنِي أَسَدٍفِي دِينَ عَمْرٍو وَحالَتْ بيْنَنا فَدَكُ

وقوله: مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ يعني: الذين أعطوا كتاب الله, وهم أهل التوراة والإنجيل. حتى يُعْطُوا الجِزْيَةَ والجزية: الفعلة من جَزَى فلان فلانا ما عليه: إذا قضاه, يجزيه. والجزية مثل القِعْدة والجِلْسة.

ومعنى الكلام: حتى يعطوا الخراج عن رقابهم الذي يبذلونه للمسلمين دفعا عنها.

وأما قوله: عَنْ يَدٍ فإنه يعني: من يده إلى يد من يدفعه إليه, وكذلك تقول العرب لكل معطٍ قاهرا له شيئا طائعا له أو كارها: أعطاه عن يده وعن يد وذلك نظير قولهم: كلمته فما لفم ولقيته كفة لكفة, وكذلك أعطيته عن يد ليد.

وأما قوله: وَهُمْ صَاغِرُونَ فإن معناه: وهم أذلاء مقهورون, يقال للذليل الحقير: صاغر. وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره بحرب الروم, فغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها غزوة تبوك. ذكر من قال ذلك:

12984ـ حدثني محمد بن عروة, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ باللّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرّمُونَ ما حَرّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينونَ دِينَ الحَقّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ حتى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, نحوه.

واختلف أهل التأويل في معنى الصغار الذي عناه الله في هذا الموضع, فقال بعضهم: أن يعطيها وهو قائم والآخذ جالس. ذكر من قال ذلك:

12985ـ حدثني عبد الرحمن بن بشر النيسابوري, قال: حدثنا سفيان, عن ابن سعد, عن عكرمة: حتى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ قال: أي تأخذها وأنت جالس وهو قائم.

وقال آخرون: معنى قوله: حتى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ عن أنفسهم بأيديهم يمشون بها وهم كارهون, وذلك قول رُوي عن ابن عباس من وجه فيه نظر.

وقال آخرون: إعطاؤهم إياها هو الصغار.

الآية : 30

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنّىَ يُؤْفَكُونَ }.

اختلف أهل التأويل في القائل: عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ فقال بعضهم: كان ذلك رجلاً واحدا, هو فنحاص. ذكر من قال ذلك:

12986ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير, قوله: وَقالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ, قال: قالها رجل واحد, قالوا: إن اسمه فنحاص, وقالوا: هو الذي قال: إنّ اللّهَ فَقِيرٌ ونَحنُ أغْنِياءُ.

وقال آخرون: بل كان ذلك قول جماعة منهم. ذكر من قال ذلك:
12987ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا يونس بن بكير, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت, قال: ثني سعيد بن جبير أو عكرمة, عن ابن عباس, قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلامُ بن مشكم, ونعمان بن أوفى, وشاس بن قيس, ومالك بن الصيف, فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا, وأنت لا تزعم أن عزيرا ابن الله؟ فأنزل في ذلك من قولهم: وَقالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقالَتِ النّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللّهِ... إلى: أنّى يُؤْفَكُونَ.
12988ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَقالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وإنما قالوا: هو ابن الله من أجل أن عزيرا كان في أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم يعملون بها ما شاء الله أن يعملوا, ثم أضاعوها وعملوا بغير الحقّ. وكان التابوت فيهم فلما رأى الله أنهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالأهواء, رفع الله عنهم التابوت, وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم, وأرسل الله عليهم مرضا, فاستطلقت بطونهم, حتى جعل الرجل يمشي كَبِدُه, حتى نسوا التوراة, ونسخت من صدورهم, وفيهم عزير. فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم, وكان عزير قبل من علمائهم, فدعا عزير الله وابتهل إليه أن يردّ إليه الذي نسخ من صدره من التوراة. فبينما هو يصلي مبتهلاً إلى الله, نزل نور من الله فدخل جوفه, فعاد إليه الذي كان ذهب من جوفه من التوراة, فأذن في قومه فقال: يا قوم قد آتاني الله التوراة, وردّها إليّ فعلق يعلمهم, فمكثوا ما شاء الله وهو يعلمهم. ثم إن التابوت نزل بعد ذلك, وبعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان عزير يعلمهم, فوجدوه مثله, فقالوا: والله ما أوتي عزير هذا إلا أنه ابن الله.
12989ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَقالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ إنما قالت ذلك, لأنهم ظهرت عليهم العمالقة فقتلوهم, وأخذوا التوراة, وذهب علماؤهم الذين بقوا فدفنوا كتب التوراة في الجبال. وكان عزير غلاما يتعبد في رءوس الجبال لا ينزل إلا يوم عيد, فجعل الغلام يبكي ويقول: ربّ تركت بني إسرائيل بغير عالم فلم يزل يبكي حتى سقطت أشفار عينيه. فنزل مرّة إلى العيد فلما رجع إذا هو بامرأة قد مثلت له عند قبر من تلك القبور تبكي وتقول: يا مطعماه, ويا كاسياه فقال لها: ويحك, من كان يطعمك ويكسوك ويسقيك وينفعك قبل هذا الرجل؟ قالت: الله. قال: فإن الله حيّ لم يمت. قالت: يا عزير, فمن كان يعلم العلماء قبل بني إسرائيل؟ قال: الله. قالت: فلم تبكي عليهم؟ فلما عرف أنه قد خُصِم ولى مدبرا, فدعته فقالت: يا عزير إذا أصبحت غدا فأت نهر كذا وكذا فاغتسل فيه, ثم اخرج فصلّ ركعتين, فإنه يأتيك شيخ فما أعطاك فخذه فلما أصبح, انطلق عزير إلى ذلك النهر, فاغتسل فيه, ثم خرج فصلى ركعتين, فجاءه الشيخ فقال: افتح فمك ففتح فمه, فألقى فيه شيئا كهيئة الجمرة العظيمة مجتمعا كهيئة القوارير ثلاث مرار. فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة, فقال: يا بني إسرائيل, إني قد جئتكم بالتوراة. فقالوا يا عزير ما كنت كذّابا. فعمد فربط على كلّ أصبع له قلما, وكتب بأصابعه كلها, فكتب التوراة كلها. فلما رجع

العلماء أخبروا بشأن عزير, فاستخرج أولئك العلماء كتبهم التي كانوا دفنوها من التوراة في الجبال, وكانت في خوابٍ مدفونة, فعارضوها بتوراة عزير فوجدوها مثلها, فقالوا: ما أعطاك الله هذا إلا أنك ابنه.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين: «وَقالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ» لا ينوّنون «عزيرا». وقرأه بعض المكيين والكوفيين: عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ بتنوين «عزير». قال: هو اسم مجرى وإن كان أعجميا لخفته, وهو مع ذلك غير منسوب إلى الله, فيكون بمنزلة قول القائل: زيد بن عبد الله, وأوقع الابن موقع الخبر, ولو كان منسوبا إلى الله لكان الوجه فيه إذا كان الابن خبرا: الإجراء والتنوين, فكيف وهو منسوب إلى غير أبيه. وأما من ترك تنوين «عزير», فإنه لما كانت الباء من ابن ساكنة مع التنوين الساكن والتقى ساكنان فحذف الأوّل منهما استثقالاً لتحريكه, قال الراجز:

لَتَجِدَنّي بالأَمِيرِ بَرّاوبالقَناةِ مِدْعَسا مِكَراإذا غَطَيْفُ السّلَمِيّ فَرّا

فحذف النون للساكن الذي استقبلها.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ بتنوين «عزير» لأن العرب لا تنوّن الأسماء إذا كان الابن نعتا للاسم, كقولهم: هذا زيد بن عبد الله, فأرادوا الخبر عن عُزير بأنه ابن الله, ولم يريدوا أن يجعلوا الابن له نعتا. والابن في هذا الموضع خبر لعزير, لأن الذين ذكر الله عنهم أنهم قالوا ذلك, إنما أخبروا عن عزير أنه كذلك, وإن كانوا بقيلهم ذلك كانوا كاذبين على الله مفترين. وَقالَتِ النّصَارَى المسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذلكَ قَوْلُهُمْ بأفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ يعني قول اليهود: عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ. يقول: نسبة قول هؤلاء في الكذب على الله والفرية عليه ونسبتهم المسيح إلى أنه لله ابن ككذب اليهود وفريتهم على الله في نسبتهم عزير إلى أنه لله ابن, ولا ينبغي أن يكون لله ولد سبحانه, بل له ما في السموات والأرض, كلّ له قانتون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12990ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قوله: يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ يقول: يشبهون.

12991ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم.

12992ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ النصارى يضاهئون قول اليهود في عزير.

12993ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج: يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ يقول: النصارى يضاهئون قول اليهود.

12994ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ يقول: قالوا مثل ما قال أهل الأوثان.

وقد قيل: إن معنى ذلك: يحكون بقولهم قول أهل الأديان الذين قالوا: اللات والعُزّى ومناة الثالثة الأخرى.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق: «يُضَاهُونَ» بغير همز. وقرأه عاصم: يُضَاهِئُونَ بالهمز, وهي لغة لثقيف. وهما لغتان, يقال: ضاهيته على كذا أضاهيه مضاهاة وضاهأته عليه مضاهأة, إذا مالأته عليه وأعنته.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك ترك الهمز, لأنها القراءة المستفيضة في قرأة الأمصار واللغة الفصحى.

وأما قوله: قاتَلَهُمُ اللّهُ فإن معناه فيما ذكر عن ابن عباس, ما:

12995ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: قاتَلَهُمُ اللّهُ يقول: لعنهم الله, وكلّ شيء في القرآن «قتل» فهو لعن.

وقال ابن جريج في ذلك, ما:

12996ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: قاتَلَهُمُ اللّهُ يعني النصارى, كلمةٌ من كلام العرب.

فأما أهل المعرفة بكلام العرب فإنهم يقولون معناه: قتلهم الله, والعرب تقول: قاتعك الله, وقاتعها الله بمعنى: قاتلك الله, قالوا: وقاتعك الله أهون من قاتله الله. وقد ذكروا أنهم يقولون: شاقاه الله ما باقاه, يريدون: أشقاه الله ما أبقاه. قالوا: ومعنى قوله: قاتَلَهُمُ اللّهُ كقوله: قُتِلَ الخَرّاصُونَ وقُتِلَ أصَحابُ الأُخْدُودِ واحد, وهو بمعنى التعجب. فإن كان الذي قالوا كما قالوا, فهو من نادر الكلام الذي جاء على غير القياس, لأن فاعلت لا تكاد أن تجيء فعلاً إلا من اثنين, كقولهم: خاصمت فلانا وقاتلته, وما أشبه ذلك. وقد زعموا أن قولهم: عافاك الله منه, وأن معناه: أعفاك الله, بمعنى الدعاء لمن دعا له بأن يعفيه من السوء.

وقوله: أنّى يُؤْفَكُونَ يقول: أيّ وجه يذهب بهم ويحيدون, كيف يصدّون عن الحقّ, وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل.

الآية : 31

القول في تأويل قوله تعالى: {اتّخَذُوَاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوَاْ إِلاّ لِيَعْبُدُوَاْ إِلَـهاً وَاحِداً لاّ إِلَـهَ إِلاّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمّا يُشْرِكُونَ }.

يقول جلّ ثناؤه: اتخذ اليهود أحبارهم, وهم العلماء. وقد بينت تأويل ذلك بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا. قيل واحدهم حِبْر وحَبْر بكسر الحاء منه وفتحها. وكان يونس الجرميّ فيما ذكر عنه يزعم أنه لم يسمع ذلك إلا «حِبر» بكسر الحاء, ويحتجّ بقول الناس: هذا مداد حِبْر, يراد به: مداد عالم. وذكر الفراء أنه سمعه حِبرا وحَبرا بكسر الحاء وفتحها. والنصارى رهبانهم, وهم أصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد في دينهم منهم. كما:

12997ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سلمة, عن الضحاك: اتّخَذُوا أحبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ قال: قرّاءهم وعلماءهم.

أرْبابا مِنْ دُونِ اللّهِ يعني: سادة لهم من دون الله يطيعونهم في معاصي الله, فيحلون ما أحلوه لهم مما قد حرّمه الله عليهم ويحرّمون ما يحرّمونه عليهم مما قد أحله الله لهم. كما:

12998ـ حدثني الحسن بن يزيد الطحان, قال: حدثنا عبد السلام بن حرب الملائي, عن غطيف بن أعين, عن مصعب بن سعد, عن عديّ بن حاتم, قال: انتهيت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ في سورة براءة:

اتّخَذُوا أحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أرْبابا مِنْ دُونِ اللّهِ فقال: «أَما إنّهُمْ لم يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ, ولَكِنْ كَانُوا يُحِلّونَ لهم فَيُحِلّونَ».

حدثنا أبو كريب وابن وكيع, قالا: حدثنا مالك بن إسماعيل, وحدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد جميعا عن عبد السلام بن حرب, قال: حدثنا غطيف بن أعين, عن مصعب بن سعد, عن عديّ بن حاتم, قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب, فقال: «يا عَدِيّ اطْرَحْ هذا الوَثَنَ مِنْ عُنُقِكَ» قال: فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة, فقرأ هذه الآية: اتّخَذُوا أحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أرْبابا مِنْ دُونِ اللّهِ قال: قلت: يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم فقال: «أليس يَحرّمونَ ما أحَلّ اللّهُ فَتُحَرّمُونَهُ, ويُحِلّونَ ما حَرّمَ اللّهُ فَتُحِلّونَهُ؟» قال: قلت: بلى. قال: «فَتِلكَ عِبادَتُهُمْ» واللفظ لحديث أبي كريب.

حدثني سعيد بن عمرو السكوني, قال: حدثنا بقية عن قيس بن الربيع, عن عبد السلام بن حرب النهدي, عن غطيف, عن مصعب بن سعد, عن عديّ بن حاتم, قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة براءة فلما قرأ: اتّخَذُوا أحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أرْبابا مِنْ دُونِ اللّهِ قلت: يا رسول الله, أما إنهم لم يكونوا يصلون لهم؟ قال: «صَدَقْتَ, ولَكِنْ كانُوا يُحِلّونَ لَهُمْ ما حَرّمَ اللّهُ فَيَسْتَحِلّونَهُ, ويُحَرّمُونَ ما أحَلّ اللّهُ لَهُمْ فَيُحَرّمُونَهُ».

12999ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي, قال: حدثنا سفيان, عن حبيب بن أبي ثابت, عن أبي البختري, عن حذيفة, أنه سئل عن قوله: اتّخَذُوا أحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أرْبابا مِنْ دُونِ اللّهِ كانوا يعبدونهم؟ قال: لا, كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه, وإذا حرّموا عليهم شيئا حرّموه.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن حبيب, عن أبي البختريّ, قال: قيل لأبي حذيفة فذكر نحوه, غير أنه قال: ولكن كانوا يحلون لهم الحرام فيستحلونه, ويحرّمون عليهم الحلال فيحرّمونه.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يزيد بن هارون, عن العوّام بن حوشب, عن حبيب, عن أبي البختري قال: قيل لحذيفة: أرأيت قول الله: اتّخَذُوا أحْبارَهُمْ؟ قال: أما إنهم لم يكونوا يصومون لهم, ولا يصلون لهم, ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه, وإذا حرّموا عليهم شيئا أحله الله لهم حرّموه, فتلك كانت ربوبيتهم.

13000ـ قال: حدثنا جرير وابن فضيل, عن عطاء, عن أبي البختري: اتّخَذُوا أحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أرْبابا مِنْ دُونِ اللّهِ قال: انطلقوا إلى حلال الله فجعلوه حراما, وانطلقوا إلى حرام الله فجعلوه حلالاً, فأطاعوهم في ذلك, فجعل الله طاعتهم عبادتهم, ولو قالوا لهم اعبدونا لم يفعلوا.

حدثني الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوري, عن حبيب بن أبي ثابت, عن أبي البختري, قال: سأل رجل حذيفة, فقال: يا أبا عبد الله أرأيت قوله: اتّخَذُوا أحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أرْبابا مِنْ دُونِ اللّهِ أكانوا يعبدونهم؟ قال: لا, كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه, وإذا حرّموا عليهم شيئا حرّموه.

13001ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن أشعث, عن الحسن: اتّخَذُوا أحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أرْبابا قال: في الطاعة.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: اتّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْبابا مِنْ دُونِ اللّهِ يقول: وزينوا لهم طاعتهم.

13002ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: اتّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْبابا مِنْ دُونِ اللّهِ قال عبد الله بن عباس: لم يأمروهم أن يسجدوا لهم, ولكن أمروهم بمعصية الله, فأطاعوهم, فسماهم الله بذلك أربابا.

13003ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن أبي جعفر الرازي, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية: اتّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْبابا قال: قلت لأبي العالية: كيف كانت الربوبية التي كانت في بني إسرائيل؟ قال قالوا: ما أمرونا به ائتمرنا, وما نهونا عنا انتهينا لقولهم: وهم يجدون في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه, فاستنصحوا الرجال, ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم.

13004ـ حدثني بشر بن سويد, قال: حدثنا سفيان, عن عطاء بن السائب, عن أبي البختري, عن حذيفة: اتّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْبابا مِنْ دُونِ اللّهِ قال: لم يعبدوهم, ولكنهم أطاعوهم في المعاصي.

وأما قوله: والمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فإن معناه: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا من دون الله.

وأما قوله: وَما أُمِرُوا إلاّ لِيَعْبُدُوا إلَها وَاحِدا فإنه يعني به: وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا الأحبار والرهبان والمسيح أربابا إلا أن يعبدوا معبودا واحدا, وأن يطيعوا إلا ربّا واحدا دون أرباب شتى وهو الله الذي له عبادة كلّ شيء وطاعة كلّ خلق, المستحقّ على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية, لا إله إلا هو. يقول تعالى ذكره: لا تنبغي الألوهة إلا لواحد الذي أمر الخلق بعبادته, ولزمت جميع العباد طاعته. سُبْحانَهُ عَمّا يُشْرِكُونَ يقول: تنزيها وتطهيرا لله عما يشرك في طاعته وربوبيته القائلون عزير ابن الله, والقائلون المسيح ابن الله, المتخذون أحبارهم أربابا من دون الله.

الآية : 32

القول في تأويل قوله تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَىَ اللّهُ إِلاّ أَن يُتِمّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: يريد هؤلاء المتخذون أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا أنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللّهِ بأفْوَاهِهِمْ يعني: أنهم يحاولون بتكذيبهم بدين الله الذي ابتعث به رسوله وصدّهم الناس عنه بألسنتهم أن يبطلوه, وهو النور الذي جعله الله لخلقه ضياء. وَيَأبَى اللّهُ إلاّ أنْ يُتِمّ نُورَهُ يعلو دينه وتظهر كلمته, ويتمّ الحقّ الذي بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم, ولو كره إتمام الله إياه الكافرون, يعني: جاحديه المكذّبين به.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13005ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: يُرِيدُونَ أنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللّهِ بأفْوَاهِهِمْ يقول: يريدون: أن يطفئوا الإسلام بكلامهم.

الآية : 33

القول في تأويل قوله تعالى: {هُوَ الّذِيَ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىَ وَدِينِ الْحَقّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ }.

يقول تعالى ذكره: الله الذي يأبى إلا إتمام دينه ولو كره ذلك جاحدوه ومنكروه, الذي أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى, يعني: ببيان فرائض الله على خلقه, وجميع اللازم لهم, وبدين الحقّ وهو الإسلام, لِيُظْهِرَهُ على الدّينِ كُلِّهِ يقول: ليعلى الإسلام على الملل كلها, ولو كَرِهَ المُشْرِكُونَ بالله ظهوره عليها.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله: لِيُظْهِرَهُ على الدّينِ كُلِّهِ فقال بعضهم: ذلك عند خروج عيسى حين تصير الملل كلها واحدة. ذكر من قال ذلك:

13006ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان, قال: حدثنا شقيق, قال: ثني ثابت الحداد أبو المقدام, عن شيخ, عن أبي هريرة في قوله: لِيُظْهِرَهُ على الدّينِ كُلِّهِ قال: حين خروج عيسىَ ابن مريم.

13007ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حميد بن عبد الرحمن, عن فضيل بن مرزوق, قال: ثني من سمع أبا جعفر: لِيُظْهِرَهُ على الدّينِ كُلِّهِ قال: إذا خرج عيسى عليه السلام اتبعه أهل كل دين.

وقال آخرون: معنى ذلك: ليعلمه شرائع الدين كلها فيطلعه عليها. ذكر من قال ذلك:

13008ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: لِيُظْهِرَهُ على الدّينِ كُلِّهِ قال: ليظهر الله نبيه على أمر الدين كله, فيعطيه إياه كله, ولا يخفى عليه منه شيء. وكان المشركون واليهود يكرهون ذلك.

الآية : 34

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ إِنّ كَثِيراً مّنَ الأَحْبَارِ وَالرّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالّذِينَ يَكْنِزُونَ الذّهَبَ وَالْفِضّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وأقرّوا بوحدانية ربهم, إن كثيرا من العلماء والقرّاء من بني إسرائيل من اليهود والنصارى لَيَأْكُلُونَ أمْوَالَ النّاسِ بالباطِلِ يقول: يأخذون الرشا في أحكامهم, ويحرّفون كتاب الله, ويكتبون بأيديهم كتبا ثم يقولون: هذه من عند الله, ويأخذون بها ثمنا قليلاً من سفلتهم. وَيَصُدّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ يقول: ويمنعون من أراد الدخول في الإسلام الدخول فيه بينهم إياهم عنه.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13009ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنّ كَثِيرا مِنَ الأحْبارِ وَالرّهْبانِ لَيَأْكُلُونَ أمْوَالَ النّاسِ بالباطِلِ أما الأحبار, فمن اليهود وأما الرهبان: فمن النصارى وأما سبيل الله: فمحمد صلى الله عليه وسلم.

القول في تأويل قوله تعالى: وَالّذِينَ يَكْنِزُونَ الذّهَبَ وَالفِضّةَ وَلا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.

يقول تعالى ذكره: إنّ كَثِيرا مِنَ الأحْبارِ وَالرّهْبانِ لَيَأْكُلُونَ أمْوَالَ النّاسِ بالباطِلِ ويأكلها أيضا معهم وَالّذِينَ يَكْنِزُونَ الذّهَبَ وَالفِضّةَ وَلا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يقول: بشر الكثير من الأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل, والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله, بعذاب أليم لهم يوم القيامة موجع من الله.

واختلف أهل العلم في معنى الكنز, فقال بعضهم: هو كلّ مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤدّ زكاته. قالوا: وعنى بقوله: ولاَ يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللّهِ ولا يؤدون زكاتها. ذكر من قال ذلك:

13010ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا أيوب, عن نافع, عن ابن عمر, قال: كلّ مال أدّيت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا, وكلّ مال لم تؤدّ زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن يُكْوَى به صاحبه وإن لم يكن مدفونا.

حدثنا الحسين بن الجنيد, قال: حدثنا سعيد بن مسلمة, قال: حدثنا إسماعيل بن أمية, عن نافع, عن ابن عمر, أنه قال: كلّ مال أدّيت منه الزكاة فليس بكنز وإن كان مدفونا, وكلّ مال لم تؤدّ منه الزكاة وإن لم يكن مدفونا فهو كنز.

حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن فضيل, عن يحيى بن سعيد, عن نافع, عن ابن عمر, قال: أيما مال أدّيت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا في الأرض, وأيما مال لم تؤدّ زكاته فهو بكنز يكوى به صاحبه, وإن كان على وجه الأرض.

13011ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي وجرير, عن الأعمش, عن عطية, عن ابن عمر, قال: ما أدّيت زكاته فليس بكنز.

قال: حدثنا أبي, عن العمري, عن نافع, عن ابن عمر, قال: ما أدّيت زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين, وما لم تؤدّ زكاته فهو كنز وإن كان ظاهرا.

13012ـ قال: حدثنا جرير, عن الشيباني, عن عكرمة, قال: ما أدّيت زكاته فليس بكنز.

13013ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: أما الذين يكنزون الذهب والفضة فهؤلاء أهل القبلة. والكنز: ما لم تؤدّ زكاته وإن كان على ظهر الأرض وإن قلّ وإن كان كثيرا قد أدّيت زكاته, فليس بكنز.

13014ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل. عن جابر, قال: قلت لعامر: مالٌ على رفّ بين السماء والأرض لا تؤدّى زكاته, أكنز هو؟ قال: يكوى به يوم القيامة.

وقال آخرون: كل مال زاد على أربعة آلاف درهم, فهو كنز, أدّيت منه الزكاة أو لم تؤدّ. ذكر من قال ذلك:

13015ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, عن أبي حصين, عن أبي الضحى, عن جعدة بن هبيرة, عن عليّ رحمه الله عليه قال: أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة, فما كان أكثر من ذلك فهو كنز.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن أبي حصين, عن أبي الضحى, عن جعدة بن هبيرة, عن عليّ, مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الشعبيّ, قال: أخبرني أبو حصين, عن أبي الضحى, عن جعدة بن هبيرة, عن عليّ رحمة الله عليه, في قوله: وَالّذِينَ يُكْنِزُونَ الذّهَبَ والفضّةَ قال: أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة, وما فوقها كنز.

وقال آخرون: الكنز كلّ ما فضل من المال عن حاجة صاحبه إليه. ذكر من قال ذلك:

13016ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن معاذ, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا شعبة, عن أنس, عن عبد الواحد أنه سمع أبا مجيب قال: كان نعل سيف أبي هريرة من فضة, فنهاه عنها أبو ذرّ, وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ تَرَكَ صَفْرَاءَ أَوْ بَيْضَاءَ كُوِيَ بِهَا».
13017ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن الأعمش وعمرو بن مرّة, عن سالم بن أبي الجعد, قال: لما نزلت: وَالَّذِينَ يُكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفضّةَ ولاَ يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللّهِ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تَبّا للذَّهَبِ تَبَا للفِضّةِ» يقولها ثلاثا. قال: فشقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, قالوا: فأيّ مال نتخذه؟ فقال عمر: أنا أعلم لكم ذلك. فقال: يا رسول الله إن أصحابك قد شقّ عليهم وقالوا: فأيّ المال نتخذ, فقال: «لسانا ذَاكِرا, وَقَلْبا شَاكِرا, وَزَوْجَةً تُعِينُ أَحَدَكُمْ على دِينِهِ».
13018ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا إسرائيل, عن منصور, عن سالم بن أبي الجعد, عن ثوبان, بمثله.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن منصور, عن عمرو بن مرّة, عن سالم بن أبي الجعد, قال: لما نزلت هذه الآية: وَالَّذِينَ يُكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفضّةَ ولاَ يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللّهِ قال المهاجرون: وأيّ المال نتخذ؟ فقال عمر: أسأل النبيّ صلى الله عليه وسلم عنه. قال: فأدركته على بعير, فقلت: يا رسول الله إن المهاجرين قالوا: فأيّ المال نتخذه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لِسانا ذَاكِرا, وقَلْبا شَاكِرا, وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُ أَحَدَكُمْ على دِينِهِ».
13019ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, عن شهر بن حوشب, عن أبي أمامة, قال: توفي رجل من أهل الصّفّة, فوجد في مئزره دينار, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَيّةٌ» ثم توفي آخر, فوجد في مئزره ديناران, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «كَيّتانِ».
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن شهر بن حوشب, عن صدى بن عجلان أبي أمامة, قال: مات رجل من أهل الصفة, فوجد في مئزره دينار, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَيّةٌ» ثم توفي آخر, فوجد في مئزره ديناران فقال نبيّ الله: «كَيّتانِ».

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن سالم, عن ثوبان, قال: كنا في سفر ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال المهاجرون: لوددنا أنا علمنا أيّ المال خير فنتخذه إذ نزل في الذهب والفضة ما نزل, فقال عمر: إن شئتم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك. فقالوا: أجل. فانطلق فتبعته أوضع على بعيري, فقال: يا رسول الله إن المهاجرين لما أنزل الله في الذهب والفضة ما أنزل قالوا: وددنا أنا علمنا أيّ المال خير فنتخذه, قال: «نَعَمْ, فَيَتّخِذُ أَحَدُكُمْ لِسانا ذَاكِرا, وَقَلْبا شَاكِرا, وَزَوْجَةً تُعِينُ أَحَدَكُمْ على إيمَانِهِ».
قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة: القول الذي ذُكِر عن ابن عمر من أن كلّ مال أديت زكاته فليس بكنز يحرم على صاحبه اكتنازه وإن كثر, وأن كلّ ما لم تؤدّ زكاته فصاحبه معاقب مستحقّ وعيد الله إلا أن يتفضل الله عليه بعفوه وإن قل إذا كان مما يجب فيه الزكاة. وذلك أن الله

أوجب في خمس أواق من الوَرِق على لسان رسوله ربع عشرها, وفي عشرين مثقالاً من الذهب مثل ذلك ربع عشرها. فإذ كان ذلك فرض الله في الذهب والفضة على لسان رسوله, فمعلوم أن الكثير من المال وإن بلغ في الكثرة ألوف ألوف لو كان, وإن أدّيت زكاته من الكنوز التي أوعد الله أهلها عليها العقاب, لم يكن فيه الزكاة التي ذكرنا من ربع العشر, لأن ما كان فرضا إخراج جميعه من المال وحرام اتخاذه فزكاته الخروج من جميعه إلى أهله لا ربع عشره, وذلك مثل المال المغصوب الذي هو حرام على الغاصب إمساكه وفرض عليه إخراجه من يده إلى يده, فالتطهر منه ردّه إلى صاحبه. فلو كان ما زاد من المال على أربعة آلاف درهم, أو ما فضل عن حاجة ربه التي لا بد منها مما يستحق صاحبه باقتنائه إذا أدّى إلى أهل السهمان حقوقهم منها من الصدقة وعيد الله لم يكن اللازم ربه فيه ربع عشره, بل كان اللازم له الخروج من جميعه إلى أهله وصرفه فيما يجب عليه صرفه, كالذي ذكرنا من أن الواجب على غاصب رجل ماله ردّه على ربه. وبعد, فإن فيما:

13020ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, قال: قال معمر: أخبرني سهيل بن أبي صالح, عن أبيه, عن أبي هريرة, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: «ما مِنْ رَجُلٍ لا يُؤَدّي زَكَاةَ مالِهِ إلاّ جُعِلَ يَوْمَ القِيَامَةِ صفَائِحَ مِنْ نارٍ يُكْوَى بها جَنْبُهُ وجَبْهَتُهُ وظَهْرُهُ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حتى يُقْضَى بينَ النّاسِ ثُمّ يَرَى سَبِيلَه وَإنْ كانَتْ إبِلاً إلاّ بُطِحَ لَهَا بِقاعٍ قَرْقَرٍ تَطَؤُهُ بأخْفَافِها» حسبته قال: «وَتَعَضّهُ بأفْوَاهِها, يَرِدُ أُولاها على أُخْرَاها, حتى يُقْضَى بينَ النّاسِ ثُمّ يَرَى سَبِيلَهُ. وَإنْ كانَتْ غَنَما فَمِثْلُ ذلكَ, إلا أنّها تَنْطَحُهُ بقُرُونِها, وَتَطَؤُهُ بأظْلاَفِها».

وفي ذلك نظائر من الأخبار التي كرهنا الإطالة بذكرها الدلالة الواضحة على أن الوعيد إنما هو من الله على الأموال التي لم تؤدّ الوظائف المفروضة فيها لأهلها من الصدقة, لا على اقتنائها واكتنازها.

وفيما بينا من ذلك البيان الواضح على أن الآية لخاصّ كما قال ابن عباس, وذلك ما:

13021ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَالّذِينَ يُكْنِزُونَ الذّهَبَ والفضّةَ ولاَ يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يقول: هم أهل الكتاب, وقال: هي خاصة وعامة.

يعني بقوله: هي خاصة وعامة هي خاصة من المسلمين فيمن لم يؤدّ زكاة ماله منهم, وعامة في أهل الكتاب لأنهم كفار لا تقبل منهم نفقاتهم إن أنفقوا.

يدلّ على صحة ما قلنا في تأويل قول ابن عباس هذا ما:

13022ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وَالّذِينَ يُكْنِزُونَ الذّهَبَ والفضّةَ ولاَ يُنْفِقُونَها... إلى قوله: هَذَا ما كَنَزْتُمْ لأنْفُسِكُمْ فَذَوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ قال: هم الذين لا يؤدّون زكاة أموالهم. قال: وكلّ مال لا تؤدّى زكاته كان على ظهر الأرض أو في بطنها فهو كنز, وكل مال تؤدّى زكاته فليس بكنز كان على ظهر الأرض أو في بطنها.

13023ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَالَّذِينَ يُكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفضّةَ قال: الكنز: ما كنز عن طاعة الله وفريضته, وذلك الكنز. وقال: افترضت الزكاة والصلاة جميعا لم يفرق بينهما.

وإنما قلنا ذلك على الخصوص, لأن الكنز في كلام العرب: كلّ شيء مجموع بعضه على بعض في بطن الأرض كان أو على ظهرها, يدلّ على ذلك قول الشاعر:

لا دَرّ دَرّى إنْ أطْعَمْتُ نازِلَهُمقِرْفَ الحَتِيّ وعنْدي البُرّ مَكْنُوزُ

يعني بذلك: وعند البرّ مجموع بعضه على بعض, وكذلك تقول العرب للبدن المجتمع: مكتنز لانضمام بعضه إلى بعض. وإذا كان ذلك معنى الكنز عندهم, وكان قوله: وَالَّذِينَ يُكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفضّةَ معناه: والذين يجمعون الذهب والفضة بعضها إلى بعض, ولاَ يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللّهِ وهو عامّ في التلاوة, لم يكن في الآية بيان كم ذلك القدر من الذهب والفضة الذي إذا جمع بعضه إلى بعض استحقّ الوعيد كان معلوما أن خصوص ذلك إنما أدرك بوقف الرسول عليه, وذلك كما بينا من أنه المال الذي لم يؤدّ حقّ الله منه من الزكاة دون غيره لما قد أوضحنا من الدلالة على صحته.

وقد كان بعض الصحابة يقول: هي عامة في كلّ كنز, غير أنها خاصة في أهل الكتاب وإياهم عنى الله بها. ذكر من قال ذلك:

13024ـ حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس, قال: حدثنا هشيم, قال: حدثنا حصين عن زيد بن وهب, قال: مررت بالربذة, فلقيت أبا ذرّ, فقلت: يا أبا ذرّ, ما أنزلك هذه البلاد؟ قال: كنت بالشأم, فقرأت هذه الآية: وَالّذِينَ يُكْنِزُونَ الذّهَبَ والفضّةَ... الآية, فقال معاوية: ليست هذه الآية فينا, إنما هذه الآية في أهل الكتاب. قال: فقلت إنها لفينا وفيهم. قال: فارتفع في ذلك بيني وبينه القول, فكتب إلى عثمان يشكوني, فكتب إليّ عثمان: أن أقبل إليّ قال: فأقبلت فلما قدمت المدينة ركبني الناس كأنهم لم يروني قبل يومئذ, فشكوت ذلك إلى عثمان, فقال لي: تنحّ قريبا قلت: والله لن أدع ما كنت أقول.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب وابن وكيع, قالوا: حدثنا ابن إدريس, قال حدثنا حصين, عن زيد بن وهب, قال: مررنا بالربذة, ثم ذكر عن أبي ذرّ نحوه.

13025ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن أشعث, وهشام, عن أبي بشر, قال: قال أبو ذرّ: خرجت إلى الشام فقرأت هذه الآية: وَالّذِينَ يُكْنِزُونَ الذّهَبَ والفضّةَ ولاَ يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللّهِ فقال معاوية: إنما هي في أهل الكتاب, قال: فقلت: إنها لفينا وفيهم.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن زيد بن وهب, قال: مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذرّ, قال: قلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام, فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية: وَالّذِينَ يُكْنِزُونَ الذّهَبَ والفضّةَ ولاَ يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللّهِ قال: فقال: نزلت في أهل الكتاب. فقلت: نزلت فينا وفيهم. ثم ذكر نحو حديث هشيم عن حصين.

فإن قال قائل: فكيف قيل: ولاَ يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللّهِ فأخرجت الهاء والألف مخرج الكناية عن أحد النوعين؟ قيل: يحتمل ذلك وجهين: أحدهما أن يكون الذهب والفضة مرادا بها الكنوز, كأنه قيل: وَالّذِينَ يُكْنِزُونَ

الكنوزولاَ يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللّهِ لأن الذهب والفضة هي الكنوز في هذا الموضع. والآخر أن يكون استغنى بالخبر عن إحداهما في عائد ذكرهما من الخبر عن الأخرى, لدلالة الكلام على الخبر عن الأخرى مثل الخبر عنها. وذلك كثير موجود في كلام العرب وأشعارها, ومنه قول الشاعر:
نَحْنُ بِمَا عِنْدَنا وأَنْتَ بِمَاعِنْدَكَ رَاضٍ والرأيُ مُخْتَلِفُ
فقال: راض, ولم يقل: رضوان. وقال الآخر:
()إنّ شَرْحَ الشّبابِ والشّعَرَ الأسْ
وَدَ مَا لَمْ يُعاصَ كَانَ جُنُونَا()
فقال: يعاص, ولم يقل: «يعاصيا» في أشياء كثيرة. ومنه قول الله: وإذَا رأَوْا تِجَارَةً أوْ لَهْوا انْفَضّوا إلَيْها ولم يقل: «إليهما»

الآية : 35

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَ يُحْمَىَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنّمَ فَتُكْوَىَ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأنْفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ}.
يقول تعالى ذكره: فبشر هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة, ولا يخرجون حقوق الله منها يا محمد بعذاب أليم يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا في نارِ جَهَنّم فاليوم من صلة العذاب الأليم, كأنه قيل: يبشرهم بعذاب أليم يعذّبهم الله به في يوم يحمى عليها. ويعني بقوله: يُحْمَى عَلَيْهَا تدخل النار فيوقد عليها أي على الذهب والفضة التي كنزوها في نار جهنم, فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم, وكل شيء أدخل النار فقد أحمي إحماء, يقال منه: أحميت الحديدة في النار أحميها إحماء. وقوله: فَتُكْوَى بها جِبَاهُهُمْ يعني بالذهب والفضة المكنوزة. يحمى عليها في نار جهنم يكوي الله بها, يقول: يحرق الله جباه كانزيها وجنوبهم وظهورهم. هَذَا ما كَنَزْتُمْ ومعناه: ويقال لهم: هذا ما كنزتم في الدنيا أيها الكافرون الذين منعوا كنوزهم من فرائض الله الواجبة فيها لأنفسكم فَذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ يقول: فيقال لهم: فأطعموا عذاب الله بما كنتم تمنعون من أموالكم حقوق الله وتكنزونها مكاثرة ومباهاة. وحذف من قوله «هذا ما كنزتم» و «يقال لهم» لدلالة الكلام عليه.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
13026ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا أيوب, عن حميد بن هلال, قال: كان أبو ذرّ يقول: بشر الكنازين بكي في الجباه وكيّ في الجنوب وكيّ في الظهور, حتى يلتقي الحرّ في أجوافهم.
13027ـ قال: حدثنا ابن علية, عن الجريري, عن أبي العلاء بن الشخير, عن الأحنف بن قيس, قال: قدمت المدينة, فبينا أنا في حلقة فيها ملأ من قريش إذ جاء رجل خشن الثياب, خشن الجسد, خشن الوجه, فقام عليهم, فقال: بشر الكنازين برَضْفٍ يُحْمَى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نُغْضِ كتفه, ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل قال: فوضع القوم رءوسهم, فما رأيت أحدا منهم رجع إليه شيئا. قال: وأدبر فاتبعته, حتى جلس إلى سارية, فقلت: ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت فقال: إن هؤلاء لا يعقلون شيئا.

13028ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم, قال: ثني عمرو بن قيس, عن عمرو بن مرة الجملي, عن أبي نصر عن الأحنف بن قيس, قال: رأيت

في مسجد المدينة رجلاً غليظ الثياب رثّ الهيئة, يطوف في الحلق وهو يقول: بشر أصحاب الكنوز بكيّ في جنوبهم, وكيّ في جباههم, وكيّ في ظهورهم ثم انطلق وهو يتذمر يقول: ما عسى تصنع بي قريش؟.

13029ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: قال أبو ذرّ: بشر أصحاب الكنوز بكيّ في الجباه, وكيّ في الجنوب, وكيّ في الظهور.

13030ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن قابوس, عن أبيه, عن ابن عباس: يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا في نارِ جَهَنّم قال: حية تنطوي على جبينه وجبهته, تقول: أنا مالك الذي بخلت به.

13031ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن سالم بن أبي الجعد, عن معدان بن أبي طلحة, عن ثوبان, أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «مَنْ تَرَكَ بَعْدَهُ كَنْزا مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعا أقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتانِ, يَتْبَعُهُ يَقُولُ: وَيْلَكَ ما أنْتَ؟ فَيَقُولُ: أنا كِنْزُكَ الّذِي تَرَكْتُهُ بَعْدَكَ فَلا يَزَالُ يَتْبَعُهُ حتى يُلْقِمَهُ يَدَهُ فَيَقْضِمَها ثُمّ يَتْبَعَهُ سائِرُ جَسَدِهِ».

13032ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن طاوس, عن أبيه: قال: بلغني أن الكنوز تتحوّل يوم القيامة شجاعا يتبع صاحبه, وهو يفرّ منه ويقول: أنا كنزك لا يدرك منه شيئا إلا أخذه.

13033ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن الأعمش, عن عبد الله بن مرّة, عن مسروق, عن عبد الله قال: والذي لا إله إلا غيره, لا يكوى عبد بكنز فيمسّ دينار دينارا ولا درهم درهما, ولكن يوسع جلده فيوضع كلّ دينار ودرهم على حدته.

قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن الأعمش, عن عبد الله بن مرّة, عن مسروق, عن عبد الله, قال: ما مِنْ رجل يكوى بكنز فيوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم, ولكن يوسع جلده.

الآية : 36

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدّيِنُ الْقَيّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفّةً وَاعْلَمُوَاْ أَنّ اللّهَ مَعَ الْمُتّقِينَ }.

يقول تعالى ذكره: إنّ عِدّةَ الشّهُورِ اثْنا عَشَرَ شَهْرا فِي كِتَابِ اللّهِ الذي كتب فيه كلّ ما هو كائن في قضائه الذي قضى, يَوْمَ خَلَقَ السّمَوَاتِ والأرْضِ مِنْها أرْبَعَةٌ حُرُمٌ يقول: هذه الشهور الاثنا عشر, منها أربعة أشهر حرم كانت الجاهلية تعظمهن وتحرّمهن وتحرّم القتال فيهنّ, حتى لو لقي الرجل منهم فيهنّ قاتل أبيه لم يهجه. وهن: رجب مضر وثلاثة متواليات: ذو القعدة, وذو الحجة, والمحرّم. وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

13034ـ حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي, قال: حدثنا زيد بن الحباب, قال: حدثنا موسى بن عبيدة الربذي قال: ثني صدقة بن يسار, عن ابن عمر, قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى في أوسط أيام التشريق, فقال: «يا أيّها النّاسُ, إنّ الزّمانَ قَدِ اسْتَدَارَ

كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللّهُ السّمَوَاتِ والأرْضَ, وإنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِنْدَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرا, مِنْهَا أرْبَعَةٌ حُرُمٌ, أوّلَهُنّ رَجَبُ مُضْرَ بينَ جُمادَى وشَعْبَانَ وَذُو القَعْدَةِ وَذُو الحِجّةِ وَالمُحَرّمُ».

13035ـ حدثنا محمد بن معمر, قال: حدثنا روح, قال: حدثنا أشعث, عن محمد بن سيرين, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ الزّمانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللّهُ السّمَوَاتِ والأرْضَ, وإنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِنْدَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرا في كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَق السّمَوَاتِ والأرْضَ, مِنْهَا أرْبَعَةٌ حُرُمٌ, ثَلاَثَةٌ مُتَوَالِياتٌ وَرَجَبُ مُضْرَ بينَ جُمادَى وشَعْبَانَ».

13036ـ حدثنا يعقوب, قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم, قال: حدثنا أيوب, عن محمد بن سيرين, عن أبي بكرة: أن النبيّ صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع, فقال: «ألاَ إنّ الزّمانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللّهُ السّمَوَاتِ والأرْضَ, السّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرا, مِنْهَا أرْبَعَةٌ حُرُمٌ, ثَلاَثَةٌ مُتَوَالِياتٌ: ذُو القَعْدَةِ, وَذُو الحِجّةِ, وَالمُحَرّمُ, وَرَجَبُ مُضْرَ الّذِي بينَ جُمادَى وشَعْبَانَ».

13037ـ حدثنا مجاهد بن موسى, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سليمان التيمي, قال: ثني رجل بالبحرين, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع: «ألاَ إنّ الزّمانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللّهُ السّمَوَاتِ والأرْضَ, وإنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِنْدَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرا, مِنْهَا ثَلاثَةٌ مُتَوَالِياتٌ: ذُو القَعْدَةِ, وَذُو الحِجّةِ, وَالمُحَرّمُ, وَرَجَبُ الّذِي بينَ جُمادَى وشَعْبَانَ».

13038ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن ابن أبي نجيح, قوله: إنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِنْدَ اللّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْرا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السّمَوَاتِ والأرْضِ مِنْها أرْبَعَةٌ حُرُمٌ إن النبي صلى الله عليه وسلم, قال: «ثَلاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ, وَذُو الحِجّةِ, والمُحَرّمُ, وَرَجَبُ الّذِي بينَ جُمادى وَشَعْبَانَ».

13039ـ حدثنا قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم منى: «ألاَ إنّ الزّمانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللّهُ السّمَوَاتِ والأرْضَ, وإنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِنْدَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرا, مِنْهَا أرْبَعَةٌ حُرُمٌ, ثَلاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو القَعْدَةِ, وَذُو الحِجّةِ, وَالمُحَرّمُ, وَرَجَبُ مُضْرَ الّذِي بينَ جُمادَى وشَعْبَانَ».

وهو قول عامة أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13040ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: إنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِنْدَ اللّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْرا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السّمَوَاتِ والأرْضِ مِنْهَا أرْبَعَةٌ حُرُمٌ أما أربعة حرم: فذو القعدة, وذو الحجة, والمحرّم, ورجب. وأما كتاب الله: فالذي عنده.

13041ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: إنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِنْدَ اللّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْرا قال: يعرف بها شأن النسيء ما نقص من السنة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد في قول الله: إنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِنْدَ اللّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْرا فِي كِتَابِ اللّهِ قال: يذكر بها شأن النسيء.

وأما قوله: ذَلِكَ الدّينُ القَيّمُ. فإن معناه: هذا الذي أخبرتكم به, من أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله, وأن منها أربعة حرما: هو الدين المستقيم, كما:

13042ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: ذَلِكَ الدّينُ القَيّمُ يقول: المستقيم.

13043ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال ابن زيد في قوله: ذَلِكَ الدّينُ القَيّمُ قال: الأمر القيم يقول: قال تعالى: واعلموا أيها الناس أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله الذي كتب فيه كل ما هو كائن, وأن من هذه الاثني عشر شهرا أربعة أشهر حرما ذلك دين الله المستقيم, لا ما يفعله النسيء من تحليله ما يحلل من شهور السنة وتحريمه ما يحرمه منها.

وأما قوله: فَلا تَظْلِمُوا فِيهنّ أنفُسَكُمْ فإن معناه: فلا تعصوا الله فيها, ولا تحلوا فيهنّ ما حرّم الله عليكم, فتكسبوا أنفسكم ما لا قبل لها به من سخط الله وعقابه. كما:

13044ـ حدثني يونس, قال: قال أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنّ أنْفُسَكُمْ قال: الظلم: العمل بمعاصي الله والترك لطاعته.

ثم اختلف أهل التأويل في الذي عادت عليه الهاء والنون في قوله: فيهنّ, فقال بعضهم: عاد ذلك على الاثني عشر شهرا, وقال: معناه: فلا تظلموا في الأشهر كلها أنفسكم. ذكر من قال ذلك:

13045ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِنْدَ اللّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْرا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السّمَوَاتِ والأرْضِ مِنْها أرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلكَ الدّينُ القَيّمُ فلاَ تَظْلِمُوا فِيهنّ أنْفُسَكُمْ في كلهنّ. ثم خص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حرما وعظم حرماتهن وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والأجر أعظم.

13046ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا سويد بن عمرو, عن حماد بن سلمة, عن عليّ بن زيد, عن يوسف بن مهران, عن ابن عباس: فلاَ تَظْلِمُوا فِيهنّ أنْفُسَكُمْ قال: في الشهور كلها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فلا تظلموا في الأربعة الأشهر الحرم أنفسكم, والهاء والنون عائدة على الأشهر الأربعة. ذكر من قال ذلك:

13047ـ حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, أما قوله: فلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنّ أنْفُسَكُمْ فإن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها, وإن كان الظلم على كل حال عظيما ولكن الله يعظم من أمره ما شاء وقال: إن الله اصطفى صفايا من خلقه اصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس رسلاً, واصطفى من الكلام ذكره, واصطفى من الأرض المساجد, واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم, واصطفى من الأيام يوم الجمعة, واصطفى من الليالي ليلة القدر, فعظموا ما عظم الله, فإنما تعظم الأمور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فلا تظلموا في تصييركم حرام الأشهر الأربعة حلالاً وحلاها حراما أنفسكم. ذكر من قال ذلك:

13048ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: إنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِنْدَ اللّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْرا... إلى قوله: فلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنّ أنْفُسَكُمْ: أي لا تجعلوا حرامها حلالاً, ولا حلالها حراما, كما فعل أهل الشرك فإنما النسيء الذي كانوا يصنعون من ذلك زيادة في الكفر يضلّ به الذين كفروا... الآية.

13049ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن قيس بن مسلم, عن الحسن: فلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنّ أنْفُسَكُمْ قال: ظلم أنفسكم: أن لا تحرّموهن كحرمتهن.

حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز. قال: حدثنا سفيان, عن قيس بن مسلم, عن الحسن بن محمد بن عليّ: فلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنّ أنْفُسَكُمْ قال: ظلم أنفسكم أن لا تحرّموهن كحرمتهن.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن قيس بن مسلم, عن الحسن بن محمد, بنحوه.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب, قول من قال: فلا تظلموا في الأشهر الأربعة أنفسكم باستحلال حرامها, فإن الله عظمها وعظّم حرمتها.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في تأويله لقوله: فلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنّ فأخرج الكناية عنه مخرج الكناية عن جمع ما بين الثلاثة إلى العشرة, وذلك أن العرب تقول فيما بين الثلاثة إلى العشرة إذا كَنَتْ عنه: فعلنا ذلك لثلاث ليال خلون, ولأربعة أيام بقين, وإذا أخبرت عما فوق العشرة إلى العشرين, قالت: فعلنا ذلك لثلاث عشرة خلت, ولأربع عشرة مضت. فكان في قوله جلّ ثناؤه: فلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنّ أنْفُسَكُمْ وإخراجه كناية عدد الشهور التي نهى المؤمنين عن ظلم أنفسهم فِيهن مخرج عدد الجمع القليل من الثلاثة إلى العشرة الدليل الواضح على أن الهاء والنون من ذكر الأشهر الأربعة دون الاثني العشر لأن ذلك لو كان كناية عن الاثني عشر شهرا لكان: فلا تظلموا فيها أنفسكم.

فإن قال قائل: فما أنكرت أن يكون ذلك كناية عن الاثني عشر, وإن كان الذي ذكرت هو المعروف في كلام العرب, فقد علمت أن المعروف من كلامها إخراج كناية ما بين الثلاث إلى العشر بالهاء دون النون, وقد قال الشاعر:

أصْبَحْنَ فِي قُرْحَ وفي دَارَاتِهاسَبْعَ لَيالٍ غَيْرَ مَعْلُوفاتِها

ولم يقل: معلوفاتهن, وذلك كناية عن السبع؟ قيل: إن ذلك وإن كان جائزا فليس الأصح الأعرف في كلامها, وتوجيه كلام الله إلى الأفصح الأعرف أولى من توجيهه إلى الأنكر.

فإن قال قائل: فإن كان الأمر على ما وصفت, فقد يجب أن يكون مباحا لنا ظلم أنفسنا في غيرهنّ من سائر شهور السنة؟ قيل: ليس ذلك كذلك, بل ذلك حرام علينا في كل وقت وزمان, ولكن الله عظم حرمة هؤلاء الأشهر وشرفهن على سائر شهور السنة, فخصّ الذنب فيهنّ بالتعظيم كما خصهنّ بالتشريف, وذلك نظير قوله: حافِظُوا على الصّلَوَاتِ والصّلاةِ الوُسْطَى ولا شكّ أن الله قد أمرنا بالمحافظة على الصلوات المفروضات كلها بقوله: حافِظُوا على الصّلَوَاتِ ولم يبح ترك المحافظة عليهن بأمره بالمحافظة على الصلاة الوسطى, ولكنه تعالى ذكره زادها تعظيما وعلى المحافظة

عليها توكيدا وفي تضييعها تشديدا, فكذلك ذلك في قوله: مِنْها أرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلكَ الدّينُ القَيّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنّ أنْفُسَكُمْ.
وأما قوله: وَقاتِلُوا المُشْرِكينَ كافّةً كمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كافّةً فإنه يقول جلّ ثناؤه: وقاتلوا المشركين بالله أيها المؤمنون جميعا غير مختلفين, مؤتلفين غير مفترقين, كما يقاتلكم المشركون جميعا مجتمعين غير متفرقين. كما:
13050ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: وقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كافّةً كمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كافّةً أما كافة فجميع وأمركم مجتمع.
13051ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وقَاتِلُوا المُشْرِكينَ كافّةً يقول: جميعا.
13052ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كافّةً: أي جميعا.
والكافّة في كلّ حال على صورة واحدة لا تذكر ولا تجمع, لأنها وإن كانت بلفظ فاعلة فإنها في معنى المصدر كالعافية والعاقبة, ولا تدخل العرب فيها الألف واللام لكونها آخر الكلام مع الذي فيها من معنى المصدر, كما لم يدخلوها إذا قالوا: قاموا معا وقاموا جميعا.
وأما قوله: واعْلَمُوا أنّ اللّهَ مَعَ المُتّقِينَ فإن معناه: واعلموا أيها المؤمنون بالله أنكم إن قاتلتم المشركين كافّة, واتقيتم الله فأطعتموه فيما أمركم ونهاكم ولم تخالفوا أمره فتعصوه, كان الله معكم على عدوّكم وعدُوه من المشركين ومن كان الله معه لم يغلبه شيء, لأن الله مع من اتقاه فخافه وأطاعه فيما كلفه من أمره ونهيه.

الآية : 37

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّمَا النّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلّ بِهِ الّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلّونَهُ عَاماً وَيُحَرّمُونَهُ عَاماً لّيُوَاطِئُواْ عِدّةَ مَا حَرّمَ اللّهُ فَيُحِلّواْ مَا حَرّمَ اللّهُ زُيّنَ لَهُمْ سُوَءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }.
يقول تعالى ذكره: ما النسيء إلا زيادة في الكفر, والنسيء مصدر من قول القائل: نسأت في أيامك ونسأ الله في أجلك: أي زاد الله في أيام عمرك ومدة حياتك حتى تبقى فيها حيّا. وكل زيادة حدثت في شيء, فالشيء الحادث فيه تلك الزيادة بسبب ما حدث فيه نسيء ولذلك قيل للبن إذا كثر بالماء نسيء, وقيل للمرأة الحبلى نسوء, ونُسئت المرأة, لزيادة الولد فيها وقيل: نسأت الناقة وأنسأتها: إذا زجرتها ليزداد سيرها. وقد يحتمل أن النسيء فعيل صرف إليه من مفعول, كما قيل: لعين وقتيل, بمعنى: ملعون ومقتول, ويكون معناه: إنما الشهر المؤخر زيادة في الكفر. وكأنّ القول الأول أشبه بمعنى الكلام, وهو أن يكون معناه: إنما التأخير الذي يؤخره أهل الشرك بالله من شهور الحرم الأربعة وتصييرهم الحرام منهن حلالاً والحلال منهنّ حراما, زيادة في كفرهم وجحودهم أحكام الله وآياته. وقد كان بعض القرّاء يقرأ ذلك: «إنّمَا النّسي» بترك الهمز وترك مده: يُضَلّ بِهِ الّذِينَ كَفَرُوا.
واختلف القراء في قراءة ذلك, فقرأته عامة الكوفيين: يُضِلّ بِهِ الّذِينَ كَفَرُوا بمعنى: يضل الله بالنسيء الذي ابتدعوه وأحدثوه الذين كفروا. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: يَضَلّ بِهِ الّذِينَ كَفَرُوا بمعنى: يزول عن حجة الله التي جعلها لعباده طريقا يسلكونه إلى مرضاته

الذين كفروا. وقد حُكي عن الحسن البصري: يُضِلّ بِهِ الّذِينَ كَفَرُوا بمعنى: يضلّ بالنسيء الذي سنة الذين كفروا, الناس.
قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: هما قراءتان مشهورتان, قد قرأت بكلّ واحدة القرّاء أهل العلم بالقرآن والمعرفة به, وهما متقاربتا المعنى, لأن من أضله الله فهو ضالّ ومن ضلّ فبإضلال الله إياه وخذلانه له ضلّ, فبأيتهما قرأ القارىء فهو للصواب في ذلك مصيب. وأما الصواب من القراء في النسيء, فالهمز, وقراءته على تقدير فعيل, لأنها القراءة المستفيضة في قرأة الأمصار التي لا يجوز خلافها فيما أجمعت عليه.
وأما قوله: يُحِلّونَهُ عاما فإن معناه: يحلّ الذين كفروا النسيء, والهاء في قوله: يُحِلّونَهُ عائدة عليه.
ومعنى الكلام: يحلون الذين أخروا تحريمه من الأشهر الأربعة الحرم عاما ويحرّمونه عاما, لِيُوَاطِئُوا عِدّةَ ما حَرّمَ اللّهُ يقول: ليوافقوا بتحليلهم ما حللوا من الشهور وتحريمهم ما حرّموا منها, عدّة ما حرّم الله فَيُحِلّوا ما حَرّمَ اللّهُ زُيّنَ لَهُمْ سُوءُ أعمالِهِمُ يقول: حسن لهم وحبّب إليهم سيىء أعمالهم وقبيحها وما خولف به أمر الله وطاعته. وَاللّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الكافِرِينِ يقول: والله لا يوفّق لمحاسن الأفعال وحلها وما لله فيه رضا, القوم الجاحدين توحيده والمنكرين نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم, ولكنه يخذلهم عن الهدى كما خذل هؤلاء الناس عن الأشهر الحرم.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
13053ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إنّمَا النّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ قال: النسيء: هو أن جنادة بن عوف بن أمية الكناني كان يوافي الموسم في كل عام, وكان يكنى أبا ثمامة, فينادي: ألا إن أبا ثمامة لا يُحَابُ ولا يعاب, ألا وإن صفر العام الأوّل حلال فيحلّه الناس, فيحرّم صفر عاما, ويحرّم المحرّم عاما, فذلك قوله تعالى: إنّمَا النّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ... إلى قوله: الكَافِرِينَ. وقوله: إنّمَا النّسِىءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ يقول: يتركون المحرّم عاما, وعاما يحرّمُونه.
قال أبو جعفر: وهذا التأويل من تأويل ابن عباس يدلّ على صحة قراءة من قرأ «النسي» بترك الهمزة وترك المدّ, وتوجيهه معنى الكلام إلى أنه فعل من قول القائل: نسيت الشيء أنساه, ومن قول الله: نَسُوا اللّهَ فَنَسِيَهُمْ بمعنى: تركوا الله فتركهم.
13054ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: إنّمَا النّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ قال: فهو المحرّم كان يحرّم عاما وصفر عاما, وزيد صفر آخر في الأشهر الحرم, وكانوا يحرّمون صفرا مرّة ويحلونه مرّة, فعاب الله ذلك, وكانت هوزان وغطفان وبنو سليم تفعله.
13055ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن أبي وائل: إنّمَا النّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ قال: كان النسيء رجلاً من بني كنانة, وكان ذا رأي فيهم, وكان يجعل سنة المحرّم صفرا, فيغزون فيه فيغتنمون فيه ويصيبون, ويحرّمه سنة.

قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن منصور, عن أبي وائل: إنّمَا النّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ... الآية, وكان رجل من بني كنانة يسمى النسيء, فكان يجعل المحرّم صفر ويستحل فيه الغنائم, فنزلت هذه الآية.

13056ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا إدريس, قال: سمعت ليثا, عن مجاهد, قال: كان رجل من بني كنانة يأتي كل عام في الموسم على حمار له, فيقول: أيها الناس إني لا أُعاب ولا أُحاب, ولا مردّ لما أقول إنا قد حرّمنا المحرّم, وأخرنا صفر ثم يجيء العام المقبل بعده, فيقول مثل مقالته, ويقول: إنا قد حرمنا صفر, وأخرنا المحرّم فهو قوله: لِيُوَاطِئُوا عِدّةَ ما حَرّمَ اللّهُ قال: يعني الأربعة, فيحلوا ما حرّم الله لتأخير هذا الشهر الحرام.

13057ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: إنّمَا النّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ النسيء: المحرّم, وكان يحرّم المحرّم عاما ويحرّم صفرا عاما, فالزيادة صفر, وكانوا يؤخرون الشهور حتى يجعلون صفر المحرّم, فيحلوا ما حرّم الله, وكانت هوزان وغطفان وبنو سليم يعظمونه, هم الذين كانوا يفعلون ذلك في الجاهلية.

13058ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: إنّمَا النّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ... إلى قوله: الكافِرِينَ عمد أناس من أهل الضلالة, فزادوا صفرا في الأشهر الحرم, فكان يقوم قائمهم في الموسم, فيقول: ألا إن آلهتكم قد حرمت العام المحرّم فيحرّمونه ذلك العام. ثم يقول في العام المقبل فيقول: ألا إن آلهتكم قد حرّمت صفر فيحرّمونه ذلك العام. وكان يقال لهما: الصفران. قال: فكان أوّل من نسأ النسيء بنو مالك بن كنانة, وكانوا ثلاثة: أبو ثمامة صفوان بن أمية أحد بني فقيم بن الحرث, ثم أحد بني كنانة.

13059ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: إنّمَا النّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ قال: فرض الله الحجّ في ذي الحجة. قال: وكان المشركون يسمون الأشهر: ذو الحجة, والمحرّم, وصفر, وربيع, وربيع, وجمادى, وجمادى, ورجب, وشعبان, ورمضان, وشوّال, وذو القعدة, وذو الحجة, يحجون فيه مرّة ثم يسكتون عن المحرّم فلا يذكرونه, ثم يعودون فيسمون صفر صفر, ثم يسمون رجب جمادى الآخرة, ثم يسمون شعبان ورمضان, ثم يسمون رمضان شوالاً, ثم يسمون ذا القعدة شوّالاً, ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة, ثم يسمون المحرّم ذا الحجة فيحجون فيه, واسمه عندهم ذو الحجة. ثم عادوا بمثل هذه القصة, فكانوا يحجون في كل شهر عامين, حتى وافق حجة أبي بكر رضي الله عنه الآخر من العامين في ذي القعدة. ثم حجّ النبي صلى الله عليه وسلم حجته التي حجّ, فوافق ذا الحجة, فذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته: إنّ الزّمانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللّهُ السّمَوَاتِ والأرْضَ».

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إنّمَا النّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ قال: حجوا في ذي الحجة عامين, ثم حجوا في المحرّم عامين, ثم حجوا في صفر عامين, فكانوا يحجون في كل سنة في كل شهر عامين, حتى وافقت حجة أبي بكر الآخر من العامين في ذي القعدة قبل حجة النبي صلى الله عليه وسلم

بسنة. ثم حجّ النبي صلى الله عليه وسلم من قابل في ذي الحجة. فذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته: إنّ الزّمانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللّهُ السّمَوَاتِ والأرْضَ».

13060ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمران بن عيينة, عن حصين, عن أبي مالك: إنّمَا النّسِىءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ قال: كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشرا شهرا, فيجعلون المحرّم صفرا, فيستحلون فيه الحرمات. فأنزل الله: إنّمَا النّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ.

13061ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّمَا النّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ يُضَلّ بِهِ الّذِينَ كَفَرُوا... الآية. قال: هذا رجل من بني كنانة يقال له القَلَمّس, كان في الجاهلية, وكانوا في الجاهلية لا يغير بعضهم على بعض في الشهر الحرام, يلقى الرجل قاتل أبيه فلا يمدّ إليه يده. فلما كان هو, قال: اخرجوا بنا قالوا له: هذا المحرم. فقال: ننسئه العام, هما العام صفران, فإذا كان عام قابل قضينا فجعلناهما محرمين قال: ففعل ذلك. فلما كان عام قابل, قال: لا تغزوا في صفر حرّموه مع المحرّم, هما محرّمان المحرم أنسأناه عاما أوّل ونقضيه ذلك الإنساء. وقال شاعرهم:

(وَمِنّا مُنْسِيءُ الشّهْرِ القَلَمّسْ

وأنزل الله: إنّمَا النّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ... إلى آخر الآية.

وأما قوله: زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ فإن معناه: زيادة كفر بالنسيء إلى كفرهم بالله. وقيل ابتداعهم النسيء كما:

13062ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: إنّمَا النّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ يقول: ازدادوا به كفرا إلى كفرهم.

وأما قوله: لِيُوَاطِئُوا فإنه من قول القائل: واطأت فلانا على كذا أواطئه مواطأة: إذا وافقته عليه, معينا له, غير مخالف عليه.

ورُوي عن ابن عباس في ذلك ما:

13063ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: لِيُوَاطِئُوا عِدّةَ ما حَرّمَ اللّهُ يقول: يشبهون.

وذلك قريب المعنى مما بيّنا, وذلك أن ما شابه الشيء فقد وافقه من الوجه الذي شابهه.

وإنما معنى الكلام: أنهم يوافقون بعدة الشهور التي يحرّمونها عدة الأشهر الأربعة التي حرّمها الله, لا يزيدون عليها ولا ينقصون منها, وإن قدّموا وأخّروا فذلك مواطأة عدتهم عدّة ما حرّم الله.

الآية : 38

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدّنْيَا مِنَ الاَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدّنْيَا فِي الاَخِرَةِ إِلاّ قَلِيلٌ }.

وهذه الآية حثّ من الله جلّ ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم, وذلك غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك. يقول جلّ ثناؤه: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ما لَكُمْ أيّ شيء أمركم, إذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلَ اللّهِ يقول: إذا قال لكم رسول الله محمد: انفروا أي اخرجوا من منازلكم إلى مغزاكم. وأصل النفر: مفارقة مكان إلى مكان

لأمر هاجه على ذلك, ومنه نفور الدابة غير أنه يقال من النفر إلى الغزو: نفر فلان إلى ثغر كذا يَنْفِرُ نَفْرا ونَفِيرا, وأحسب أن هذا من الفروق التي يفرقون بها بين اختلاف المخبر عنه وإن اتفقت معاني الخبر فمعنى الكلام: ما لكم أيها المؤمنون إذ قيل لكم: اخرجوا غزاه في سبيل الله أي في جهاد أعداء اللّه, اثّاقَلْتُمْ إلى الأرْض يقول تثاقلتم إلى لزوم أرضكم ومساكنكم والجلوس فيها. وقيل: «اثّاقلتَم» لأنه أدغم التاء في الثاء. فأحدث لها ألف ليتوصل إلى الكلام بها. لأن التاء مدغمة في الثاء, ولو أسقطت الألف وابتدىء بها لم تكن إلا متحركة, فأحدثت الألف لتقع الحركة بها, كما قال جلّ ثناؤه: حتى إذَا ادّارَكُوا فِيهَا جَمِيعا وكما قال الشاعر:

تُولي الضجيجَ إذا ما اسْتافَها خَصِراعَذْبَ المَذاقِ إذَا ما اثّابَعَ القُبَلُ

فهو بني الفعل افتعلتم من التثاقل.

وقوله: أرَضِيتُمْ بالحَياةِ الدّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ يقول جلّ ثناؤه, أرضيتم بحظّ الدنيا والدعة فيها عوضا من نعيم الآخرة وما عند الله للمتقين في جنانه؟ فَمَا مِتَاعُ الحَياةِ الدّنْيَا فِي الآخِرةِ يقول: فما الذي يستمتع به المتمتعون في الدنيا من عيشها ولذّاتها في نعيم الآخرة والكرامة التي أعدّها الله لأوليائه وأهل طاعته إلاّ قَلِيلٌ يسير. يقول لهم: فاطلبوا أيها المؤمنون نعيم الآخرة وترف الكرامة التي عند الله لأوليائه بطاعته, والمسارعة إلى الإجابة إلى أمره في النفير لجهاد عدوّه.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13064ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد ما لَكُمْ إذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلَ اللّهِ اثّاقَلْتُمْ إلى الأرض أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وبعد الطائف, وبعد حنين. أمروا بالنفير في الصيف حين خُرِفَت النخل, وطابت الثمار, واشتهوا الظلال, وشقّ عليهم المخرج.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: يا أيّهَا الّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلَ اللّهِ اثّاقَلْتُمْ إلى الأرض... الآية, قال: هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحنين, وبعد الطائف أمرهم بالنفير في الصيف, حين اخْتُرِفَت النخل, وطابت الثمار, واشتهُوا الظلال, وشقّ عليهم المخرج. قالَ: فقالوا: منا الثقيل, وذو الحجة, والضيّعة, والشغل, والمنتشر به أمره في ذلك. فأنزل الله: انْفِرُوا خفافا وثَقالاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

{إِلاّ تَنفِرُواْ يُعَذّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله, متوعدهم على ترك النفر إلى عدوّهم من الروم: إن لم تنفروا أيها المؤمنون إلى من استنفركم رسول الله, يعذّبكم الله عاجلاً في الدنيا بترككم النفر إليهم عذابا موجعا. وَيَسْتَبْدِلْ قَوْما غيرَكُمْ يقول: يستبدل الله بكم نبيه قوما غيركم, ينفرون إذا استنفروا, ويجيبونه إذا دعوا, ويطيعون الله ورسوله. وَلا تَضُرّوه شَيْئا يقول: ولا تضرّوا الله بترككم النفير ومعصيتكم إياه شيئا, لأنه لا حاجة به إليكم, بل أنتم أهل الحاجة إليه, وهو الغنيّ عنكم وأنتم الفقراء واللّهُ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يقول جلّ ثناؤه: والله على إهلاككم واستبدال قوم غيركم بكم وعلى

كل ما يشاء من الأشياء قدير. وقد ذكر أن العذاب الأليم في هذا الموضع كان احتباس القطر عنهم. ذكر من قال ذلك:

13065ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا زيد بن الحباب, قال: ثني عبد المؤمن بن خالد الحنفي, قال: ثني نجدة الخراساني, قال: سمعت ابن عباس, سئل عن قوله: إلاّ تَنْفِرُوا يُعَذّبْكُمْ عَذَابا أَلِيما قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر حيّا من أحيار العرب, فتثاقلوا عنه, فأمسك عنهم المطر, فكان ذلك عذابهم, فذلك قوله: إلاّ تَنْفِرُوا يُعَذّبْكُمْ عَذَابا أَلِيما.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبد المؤمن, عن نجدة, قال: سألت ابن عباس, فذكر نحوه, إلا أنه قال: فكان عذابهم أن أمسك عنهم المطر.

13066ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: إلاّ تَنْفِرُوا يُعَذّبْكُمْ عَذَابا أَلِيما استنفر الله المؤمنين في لهبان الحرّ في غزوة تبوك قبل الشأم على ما يعلم الله من الجهد.

وقد زعم بعضهم أن هذه الآية منسوخة. ذكر من قال ذلك:

13067ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, عن الحسين, عن يزيد, عن عكرمة والحسن البصريّ, قالا: قال: إلاّ تَنْفِرُوا يُعَذّبْكُمْ عَذَابا أَلِيما وقال: ما كانَ لأهْلِ المَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأعْرَابِ أنْ يَتَخَلّفُوا عَنْ رَسُولِ اللّهِ وَلا يَرْغَبُوا بأنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ... إلى قوله: لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ فنسختها الآية التي تلتها: ومَا كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافّةً... إلى قوله: لَعَلّهُمْ يَحْذَرُونَ.

قال أبو جعفر: ولا خبر بالذي قال عكرمة والحسن من نسخ حكم هذه الآية التي ذكروا يجب التسليم له, ولا حجة تأتي بصحة ذلك, وقد رأى ثبوت الحكم بذلك عدد من الصحابة والتابعين سنذكرهم بعد. وجائز أن يكون قوله: إلاّ تَنْفِرُوا يُعَذّبْكُمْ عَذَابا أَلِيما لخاصّ من الناس, ويكون المراد به من استنفره رسول الله صلى الله عليه وسلم, فلم ينفر على ما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس. وإذا كان ذلك كذلك, كان قوله: ومَا كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافّةً نهيا من الله المؤمنين عن إخلاء بلاد الإسلام بغير مؤمن مقيم فيها, وإعلاما من الله لهم أن الواجب النفر على بعضهم دون بعض, وذلك على من استنفر منهم دون من لم يستنفر. وإذا كان ذلك كذلك لم يكن في إحدى الآيتين نسخ للأخرى, وكان حكم كل واحدة منهما ماضيا فيما عُنِيَتْ به.

الآية : 39

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثّاقَلْتُمْ إِلَى الأرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاّ قَلِيلٌ }.

وهذه الآية حثّ من الله جلّ ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم, وذلك غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك. يقول جلّ ثناؤه: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ما لَكُمْ أيّ شيء أمركم, إذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلَ اللّهِ يقول: إذا قال لكم رسول الله محمد: انفروا أي اخرجوا من منازلكم إلى مغزاكم. وأصل النفر: مفارقة مكان إلى مكان لأمر هاجه على ذلك, ومنه نفور الدابة غير أنه يقال من النفر إلى الغزو: نفر فلان إلى ثغر كذا يَنْفِرُ نَفْرا ونَفِيرا, وأحسب أن هذا من الفروق التي

يفرقون بها بين اختلاف المخبر عنه وإن اتفقت معاني الخبر فمعنى الكلام: ما لكم أيها المؤمنون إذ قيل لكم: اخرجوا غزاه في سبيل الله أي في جهاد أعداء اللّه, اثّاقَلْتُمْ إلى الأرْضِ يقول تثاقلتم إلى لزوم أرضكم ومساكنكم والجلوس فيها. وقيل: «اثّاقلتَم» لأنه أدغم التاء في الثاء. فأحدث لها ألف ليتوصل إلى الكلام بها. لأن التاء مدغمة في الثاء, ولو أسقطت الألف وابتدىء بها لم تكن إلا متحركة, فأحدثت الألف لتقع الحركة بها, كما قال جلّ ثناؤه: حتى إذَا ادّاركُوا فِيهَا جَمِيعا وكما قال الشاعر:

تُولي الضجيجَ إذا ما اسْتافَها خَصِراعَذْبَ المَذاقِ إذَا ما اثّابَعَ القُبَلُ

فهو بني الفعل افتعلتم من التثاقل.

وقوله: أرَضِيتُمْ بالحَياةِ الدّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ يقول جلّ ثناؤه, أرضيتم بحظّ الدنيا والدعة فيها عوضا من نعيم الآخرة وما عند الله للمتقين في جنانه؟ فَمَا مِتَاعُ الحَياةِ الدّنْيَا فِي الآخِرةِ يقول: فما الذي يستمتع به المتمتعون في الدنيا من عيشها ولذّاتها في نعيم الآخرة والكرامة التي أعدّها الله لأوليائه وأهل طاعته إلاّ قَلِيلٌ يسير. يقول لهم: فاطلبوا أيها المؤمنون نعيم الآخرة وترف الكرامة التي عند الله لأوليائه بطاعته, والمسارعة إلى الإجابة إلى أمره في النفير لجهاد عدوّه.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13064ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد ما لَكُمْ إذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلَ اللّهِ اثّاقَلْتُمْ إلى الأرضِ أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وبعد الطائف, وبعد حنين. أمروا بالنفير في الصيف حين خُرِفَت النخل, وطابت الثمار, واشتهوا الظلال, وشقّ عليهم المخرج.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: يا أيّهَا الّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلَ اللّهِ اثّاقَلْتُمْ إلى الأرض... الآية, قال: هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحنين, وبعد الطائف أمرهم بالنفير في الصيف, حين اخْتُرِفَت النخل, وطابت الثمار, واشتهُوا الظلال, وشقّ عليهم المخرج. قال: فقالوا: منا الثقيل, وذو الحجة, والضيّعة, والشغل, والمنتشر به أمره في ذلك. فأنزل الله: انْفِرُوا خفافا وثَقالاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

{إلاّ تَنفِرُواْ يُعَذّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله, متوعدهم على ترك النفر إلى عدوّهم من الروم: إن لم تنفروا أيها المؤمنون إلى من استنفركم رسول الله, يعذّبكم الله عاجلاً في الدنيا بترككم النفر إليهم عذابا موجعا. وَيَسْتَبْدِلْ قَوْما غيرَكُمْ يقول: يستبدل الله بكم نبيه قوما غيركم, ينفرون إذا استنفروا, ويجيبونه إذا دعوا, ويطيعون الله ورسوله. وَلا تَضُرّوه شَيْئا يقول: ولا تضرّوا الله بترككم النفير ومعصيتكم إياه شيئا, لأنه لا حاجة به إليكم, بل أنتم أهل الحاجة إليه, وهو الغنيّ عنكم وأنتم الفقراء واللّهُ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يقول جلّ ثناؤه: والله على إهلاككم واستبدال قوم غيركم بكم وعلى كل ما يشاء من الأشياء قدير. وقد ذكر أن العذاب الأليم في هذا الموضع كان احتباس القطر عنهم. ذكر من قال ذلك:

13065ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا زيد بن الحباب, قال: ثني عبد المؤمن بن خالد الحنفي, قال: ثني نجدة الخراساني, قال: سمعت ابن عباس, سئل عن قوله: إلاّ تَنْفِرُوا يُعَذّبْكُمْ عَذَابا أَلِيما قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر حيّا من أحيار العرب, فتثاقلوا عنه, فأمسك عنهم المطر, فكان ذلك عذابهم, فذلك قوله: إلاّ تَنْفِرُوا يُعَذّبْكُمْ عَذَابا أَلِيما.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبد المؤمن, عن نجدة, قال: سألت ابن عباس, فذكر نحوه, إلا أنه قال: فكان عذابهم أن أمسك عنهم المطر.

13066ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: إلاّ تَنْفِرُوا يُعَذّبْكُمْ عَذَابا أَلِيما استنفر الله المؤمنين في لهبان الحرّ في غزوة تبوك قبل الشأم على ما يعلم الله من الجهد.

وقد زعم بعضهم أن هذه الآية منسوخة. ذكر من قال ذلك:

13067ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, عن الحسين, عن يزيد, عن عكرمة والحسن البصريّ, قالا: قال: إلاّ تَنْفِرُوا يُعَذّبْكُمْ عَذَابا أَلِيما وقال: ما كانَ لأَهْلِ المَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأعْرَابِ أَنْ يَتَخَلّفُوا عَنْ رَسُولِ اللّهِ وَلا يَرْغَبُوا بأنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ... إلى قوله: لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ ما كَانُوا يَعْمَلُونَ فنسختها الآية التي تلتها: ومَا كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافّةً... إلى قوله: لَعَلّهُمْ يَحْذَرُونَ.

قال أبو جعفر: ولا خبر بالذي قال عكرمة والحسن من نسخ حكم هذه الآية التي ذكروا يجب التسليم له, ولا حجة تأتي بصحة ذلك, وقد رأى ثبوت الحكم بذلك عدد من الصحابة والتابعين سنذكرهم بعد. وجائز أن يكون قوله: إلاّ تَنْفِرُوا يُعَذّبْكُمْ عَذَابا أَلِيما لخاصّ من الناس, ويكون المراد به من استنفره رسول الله صلى الله عليه وسلم, فلم ينفر على ما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس. وإذا كان ذلك كذلك, كان قوله: ومَا كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافّةً نهيا من الله المؤمنين عن إخلاء بلاد الإسلام بغير مؤمن مقيم فيها, وإعلاما من الله لهم أن الواجب النفر على بعضهم دون بعض, وذلك على من استنفر منهم دون من لم يستنفر. وإذا كان ذلك كذلك لم يكن في إحدى الآيتين نسخ للأخرى, وكان حكم كل واحدة منهما ماضيا فيما عُنِيَتْ به.

الآية : 40

القول في تأويل قوله تعالى: {إِلاّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيّدَهُ بِجُنُودٍ لّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الّذِينَ كَفَرُواْ السّفْلَىَ وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }.

وهذا إعلام من الله أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم أنه المتوكل بنصر رسوله على أعداء دينه وإظهاره عليهم دونهم, أعانوه أو لم يعينوه, وتذكير منه لهم فعل ذلك به, وهو من العدد في قلة والعدوّ في كثرة, فكيف به وهو من العدد في كثرة والعدوّ في قلّة؟ يقول لهم جلّ ثناؤه: إلا تنفروا أيها المؤمنون مع رسولي إذا استنفركم فتنصروه, فالله ناصره ومعينه على عدوّه ومغنيه عنكم وعن معونتكم ونصرتكم كما نصره إذ أخرجه الذين كفروا بالله من قريش من وطنه وداره ثانِيَ اثْنَيْنِ يقول: أخرجوه وهو أحد الاثنين: أي واحد من الاثنين, وكذلك تقول العرب: «هُوَ ثانِيَ اثْنَيْنِ» يعني

أحد الاثنين, وثالث ثلاثة, ورابع أربعة, يعني: أحد ثلاثة, وأحد الأربعة, وذلك خلاف قولهم: هو أخو ستة وغلام سبعة, لأن الأخ والغلام غير الستة والسبعة, وثالث الثلاثة: أحد الثلاثة. وإنما عنى جلّ ثناؤه بقوله: ثانِيَ اثْنَيْنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر, رضي الله عنه, لأنهما كانا اللذين خرجا هاربين من قريش, إذ همّوا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واختفيا في الغار. وقوله: إذْ هُما فِي الغارِ يقول إذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رحمة الله عليه في الغار والغار: النقب العظيم يكون في الجبل. إذ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ يقول: إذ يقول رسول الله لصاحبه أبي بكر: لا تَحْزَنْ وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما, فجزع من ذلك, فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لاَ تَحْزَنْ لأنّ اللّهَ مَعَنا, واللّهُ ناصِرُنا, فَلَنِ يَعْلَمَ المُشْرِكُونَ بِنا, وَلَنْ يَصِلُوا إلَيْنَا يقول جلّ ثناؤه: فقد نصره الله على عدوّه وهو بهذه الحال من الخوف وقلة العدد, فكيف يخذله ويحوجه إليكم وقد كثر الله أنصاره وعدد جنوده؟.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13068ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إلاّ تَنْصُرُوهُ ذكر ما كان في أوّل شأنه حين بعثه يقول الله: فأنا فاعل ذلك به وناصره كما نصرته إذ ذاك وهو ثاني اثنين.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: إلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ قال: ذكر ما كان في أوّل شأنه حين بعث, فالله فاعل به كذلك ناصره كما نصره إذا ذاك ثانِيَ اثْنَيْنِ إذْ هُمَا فِي الغارِ.

13069ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ... الآية, قال: فكان صاحبه أبو بكر. وأما الغار: فجبل بمكة يقال له ثور.

13070ـ حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد, قال: ثني أبي, قال: حدثنا أبان العطار, قال: حدثنا هشام بن عروة, عن عروة, قال: لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه, وكان لأبي بكر منيحة من غنم تروح على أهله, فأرسل أبو بكر عامر بن فُهيرة في الغنم إلى ثور, وكان عامر بن فهيرة يروح بتلك الغنم على النبي صلى الله عليه وسلم بالغار في قور, وهو الغار الذي سماه الله في القرآن.

13071ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم بن جبير الواسطي, قال: حدثنا عفان وحبان, قالا: حدثنا همام, عن ثابت عن أنس, أن أبا بكر رضي الله عنه حدثهم, قال: بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار, وأقدام المشركين فوق رُءُوسِنَا, فقلت: يا رسول الله, لو أن أحدهم رفع قدمه أبصرنا فقال: «يا أبا بَكْرٍ ما ظَنّكَ باثْنَيْنِ اللّهُ ثَالِثَهُما».

13072ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن شريك, عن إبراهيم بن مهاجر, عن مجاهد, قال: مكث أبو بكر مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثا.

13073ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الزهري: إذْ هُما فِي الغارِ قال: في الجبل الذي يسمى ثورا, مكث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ثلاث ليال.

13074ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عمرو بن الحارث, عن أبيه: أن أبا بكر الصديق رحمة الله تعالى عليه حين خطب قال: أيكم يقرأ سورة التوبة؟ قال رجل: أنا, قال: اقرأ فلما بلغ: إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ بكى أبو بكر وقال: أنا والله صاحبه.

القول في تأويل قوله تعالى: فأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وأيّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها وَجَعَلَ كَلِمَةَ الّذِينَ كَفَرُوا السّفْلَى وكلمةُ اللّهِ هِيَ العُلْيا واللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

يقول تعالى ذكره: فأنزل الله طمأنينته وسكونه على رسوله وقد قيل: على أبي بكر وأيّدهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا يقول: وقوّاه بجنود من عنده من الملائكة لم تروها أنتم. وَجَعَلَ كَلِمَةَ الّذِينَ كَفَرُوا وهي كلمة الشرك السّفْلَى لأنها قُهرت وأذّلت وأبطلها الله تعالى ومحق أهلها, وكلّ مقهور ومغلوب فهو أسفل من الغالب والغالب هو الأعلى. وكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ العُلْيَا يقول: ودين الله وتوحيده وقول لا إله إلا الله, وهي كلمته العليا على الشرك وأهله, الغاليةُ. كما:

13075ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَجَعَلَ كَلِمَةَ الّذِينَ كَفَرُوا السّفْلَى وهي: الشرك بالله. وكَلِمَةُ اللّهُ هِيَ العُلْيا وهي لا إله إلا الله.

وقوله: وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ العُليا خبر مبتدأ غير مردود على قوله: وَجَعَلَ كَلِمَةَ الّذِينَ كَفَرُوا السّفْلَى لأن ذلك لو كان معطوفا على الكلمة الأولى لكان نصبا.

وأما قوله: واللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فإنه يعني: والله عزيز في انتقامه من أهل الكفر به, لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب ولا ينصره من عاقبه ناصر, حكيم في تدبيره خلقه وتصريفه إياهم في مشيئته.

الآية : 41

القول في تأويل قوله تعالى: {انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }.

واختلف أهل التأويل في معنى الخفة والثّقل اللذين أمر الله من كان به أحدهما بالنّفر معه, فقال بعضهم: معنى الخفة التي عناها الله في هذا الموضع: الشباب, ومعنى الثقل: الشيخوخة. ذكر من قال ذلك:

13076ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن رجل, عن الحسن, في قوله: انْفِرُوا خِفافا وَثِقالاً قال: شيبا وشُبانا.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حفص, عن عمرو, عن الحسن, قال: شيوخا وشبانا.

13077ـ قال: حدثنا ابن عيينة, عن عليّ بن زيد, عن أنس, عن أبي طلحة: انْفِرُوا خِفافا وَثِقالاً قال: كهولاً وشبانا, ما أسمع الله عذرَ أحدا فخرج إلى الشام فجاهد حتى مات.

13078ـ حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن المغيرة بن النعمان, قال: كان رجل من النخع وكان شيخا بادِنا, فأراد الغزو فمنعه سعد بن أبي وقاص, فقال: إن الله يقول: انْفِرُوا خِفافا وَثِقالاً فأذن له سعد, فقتل الشيخ, فسأل عنه بعد عُمر, فقال: ما فعل الشيخ الذي كان من بني هاشم؟ فقالوا قُتِلَ يا أمير المؤمنين.

13079ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يزيد بن هارون, عن إسماعيل, عن أبي صالح, قال: الشاب والشيخ.

13080ـ قال: حدثنا أبو أسامة, عن مالك بن مغول, عن إسماعيل, عن عكرمة, قال: الشاب والشيخ.
13081ـ قال: حدثنا المحاربيّ, عن جويبر, عن الضحاك: كهولاً وشبانا.
13082ـ قال: حدثنا حَيْوة أبو يزيد, عن يعقوب القُمّي, عن جعفر بن حميد, عن بشر بن عطية: كهولاً وشبانا.
13083ـ حدثنا الوليد, قال: حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا الوليد بن مسلم, عن بكير بن معروف, عن مقاتل بن حيان, في قوله: انْفِرُوا خِفافا وَثِقالاً قال: شبانا وكهولاً.
13084ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: انْفِرُوا خِفافا وَثِقالاً قال: شبابا وشيوخا, وأغنياء ومساكين.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: قال الحسن: شيوخا وشبانا.
13085ـ حدثني سعيد بن عمرو, قال: حدثنا بقية, قال: حدثنا جرير, قال: ثني حبان بن زيد الشرعبي, قال: نفرنا مع صفوان بن عمرو وكان واليا على حمص قِبَلَ الأفسوس إلى الجراجمة, فلقيت شيخا كبيرا هِمّا, قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته فيمن أغار, فأقبلت عليه فقلت: يا عمّ لقد أعذرَ الله إليك قال: فرفع حاجبيه فقال: يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالاً, من يحبه الله يبتليه ثم يعيده فيبقيه, وإنما يبتلي الله من عباده من شكر وصبر وذكر ولم يعبد إلا الله.
حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسماعيل, عن أبي صالح: انْفِرُوا خِفافا وَثِقالاً قال: كل شيخ وشاب.
وقال آخرون: معنى ذلك مشاغيل وغير مشاغيل. ذكر من قال ذلك:
13086ـ حدثنا ابن بشار وابن وكيع, قالا: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن الحكم, في قوله: انْفِرُوا خِفافا وَثِقالاً قال: مشاغيل وغير مشاغيل.
وقال آخرون: معناه: انفروا أغنياء وفقراء. ذكر من قال ذلك:
13087ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عمن ذكره, عن أبي صالح: انْفِرُوا خِفافا وَثِقالاً قال: أغنياء وفقراء.
وقال آخرون: معناه: نِشَاطا وغير نِشاط. ذكر من قال ذلك:
13088ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: انْفِرُوا خِفافا وَثِقالاً يقول: انفروا نِشَاطا وغير نِشَاط.
13089ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: خِفافا وَثِقالاً قال: نِشَاطا وغير نِشاط.
وقال آخرون: معناه: ركبانا ومشاة. ذكر من قال ذلك:
13090ـ حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا الوليد, قال: قال أبو عمرو: إذا كان النفر إلى دروب الشأم نفر الناس إليها خفافا ركبانا, وإذا كان النفر إلى هذه السواحل ونفروا إليها خفافا وثقالاٍ ركبانا ومشاة.
وقال آخرون: معنى ذلك: ذَا ضَيْعة, وغير ذي ضيعة. ذكر من قال ذلك:
13091ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: انْفِرُوا خِفافا وَثِقالاً قال: الثقيل الذي له الضيعة, فهو ثقيل يكره أن

يضيع ضيعته ويخرج, والخفيف الذي لا ضيعة له فقال الله: انْفِرُوا خِفافا وَثِقالاً.
13092ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, عن أبيه, قال: زعم حضرميّ أنه ذكر له أن ناسا كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلاً أو كبيرا, فيقول: إني أحسبه قال: أنا لا آثم فأنزل الله: انْفِرُوا خِفافا وَثِقالاً.
13093ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا أيوب, عن محمد, قال: شهد أبو أيوب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا, ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين إلا وهو في أخرى إلا عاما واحدا وكان أبو أيوب يقول: انْفِرُوا خِفافا وَثِقالاً فلا أجدني إلا خفيفا أو ثقيلاً.
13094ـ حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا الوليد بن مسلم, قال: حدثنا جرير, عن عثمان, عن راشد بن سعد, عمن رأى المقداد بن الأسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم على تابوت من توابيت الصيارفة بمحص, وقد فضل عنه من عظمه, فقلت له: لقد أعذر الله إليك فقال: أتت علينا سورة البحوث انْفِرُوا خِفافا وَثِقالاً.
حدثنا سعيد بن عمرو السّكونيّ, قال: حدثنا بقية بن الوليد, قال: حدثنا جرير, قال: ثني عبد الرحمن بن ميسرة, قال: ثني أبو رائد الحبرانيّ, قال: وافيت المقداد بن الأسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص, قد فضل عنه من عظمه, يريد الغزو, فقلت له: لقد أعذر الله إليك فقال: أتت علينا سورة البحوث: انْفِرُوا خِفافا وَثِقالاً.
قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بالنفر لجهاد أعدائه في سبيله خفافا وثقالاً وقد يدخل في الخفاف كلّ من كان سهلاً عليه النفر لقوّة بدنه على ذلك وصحة جسمه وشبابه, ومن كان ذا تيسر بمال وفراغ من الاشتغال وقادرا على الظهر والركاب. ويدخل في الثقال كلّ من كان بخلاف ذلك من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه, ومن معمر من المال ومشتغل بضيغة ومعاش, ومن كان لا ظهر له ولا ركاب, والشيخ وذو السنّ والعيال. فإذ كان قد يدخل في الخفاف والثقال من وصفنا من أهل الصفات التي ذكرنا ولم يكن الله جلّ ثناؤه خصّ من ذلك صنفا دون صنف في الكتاب, ولا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم, ولا نصب على خصوصه دليلاً, وجب أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالنفر للجهاد في سبيله خفافا وثقالاً مع رسوله صلى الله عليه وسلم على كلّ حال من أحوال الخفة والثقل.
13095ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن سعيد بن مسروق, عن مسلم بن صبيح قال: أوّل ما نزل من براءة: انْفِرُوا خِفافا وَثِقالاً.
13096ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن أبيه, عن أبي الضحى, مثله.
13097ـ حدثنا الحرث, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جرير, عن مجاهد, قال: إن أوّل ما نزل من براءة: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرةٍ قال: يعرّفهم نصره, وبوطنهم لغزوة تبوك.

القول في تأويل قوله تعالى: وجَاهَدُوا بأمْوَالِكمْ وأنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لّكُمْ إنْ كُنْتُمْ تعْلَمُونَ.
يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: جاهدوا أيها المؤمنون الكفار بأموالكم, فأنفقوها في مجاهدتهم على دين الله الذي شرعه لكم, حتى ينقادوا لكم فيدخلوا فيه طوعا أو كرها, أو يعطوكم الجزية عن يد صغارا إن كانوا أهل كتاب, أو تقتلوهم وأنْفُسِكُمْ يقول: وبأنفسكم فقاتلوهم بأيديكم يخزهم الله وينصركم عليهم. ذلكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ يقول: هذا الذي آمركم به من النفر في سبيل الله تعالى خفافا وثقالاً وجهاد أعدائه بأموالكم وأنفسكم خير لكم من التثاقل إلى الأرض إذا استنفرتم والخلود إليها والرضا بالقليل من متاع الحياة الدنيا عوضا من الآخرة, إن كنتم من أهل العلم بحقيقة ما بين لكم من فضل الجهاد في سبيل الله على القعود عنه.

الآية : 42

القول في تأويل قوله تعالى: {لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لاّتّبَعُوكَ وَلَـكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشّقّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنّهُمْ لَكَاذِبُونَ }.
يقول جلّ ثناؤه للنبي صلى الله عليه وسلم, وكانت جماعة من أصحابه قد استأذنوه في التخلف عنه حين خرج إلى تبوك فأذن لهم: لو كان ما تدعو إليه المتخلفين عنك والمستأذنيك في ترك الخروج معك إلى مغزاك الذي استنفرتهم إليه, عَرَضا قَرِيبا يقول: غنيمة حاضرة, وسَفَرا قاصِدا, يقول: وموضعا قريبا سهلاً, لاتّبعوكَ ونفروا معك إليهما ولكنك استنفرتهم إلى موضع بعيد, وكلفتهم سفرا شاقّا عليهم, لأنك استنهضتهم في وقت الحرّ وزمان القيظ وحين الحاجة إلى الكنّ. وسَيَحْلِفُونَ باللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يقول تعالى ذكره: وسيحلف لك يا محمد هؤلاء المستأذنوك في ترك الخروج معك اعتذارا منهم إليك بالباطل, لتقبل منهم عذرهم, وتأذن لهم في التخلف عنك بالله كاذبين: لو استطعنا لخرجنا معكم يقول: لو أطقنا الخروج معكم بوجود السعة والمراكب والظهور وما لا بدّ للمسافر والغازي منه, وصحة البدن والقوى, لخرجنا معكم إلى عدوّكم. يُهْلِكُونَ أنْفُسَهُمْ يقول: يوجبون لأنفسهم بحلفهم بالله كاذبين الهلاك والعطب, لأنهم يورثونها سخط الله ويكسبونها أليم عقابه. وَاللّهُ يَعْلَمُ إنّهُمْ لَكَاذِبُونَ في حلفهم باللّهِ لو استطعنا لخرجنا معكم لأنهم كانوا للخروج مطيقين بوجود السبيل إلى ذلك بالذي كان عندهم من الأموال مما يحتاج إليه الغازي في غزوه والمسافر في سفره وصحة الأبدان وقوى الأجسام.
وبنحو الذي قلنا ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
13098ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لَوْ كَانَ عَرَضا قَرِيبا إلى قوله لَكَاذِبُونَ إنهم يستطيعون الخروج, ولكن كان تبطئة من عند أنفسهم والشيطان وزهادة في الخير.
13099ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَلَوْ كَانَ عَرَضا قَرِيبا قال: هي غزوة تبوك.
13100ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وَاللّهُ يَعْلَمُ إنّهُمْ لَكَاذِبُونَ إي أنهم يستطيعون. ذكر من قال ذلك

الآية : 43

{عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتّىَ يَتَبَيّنَ لَكَ الّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ }.
وهذا عتاب من الله تعالى ذكره عاتب به نبيه صلى الله عليه وسلم في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه حين شخص إلى تبوك لغزو الروم من المنافقين. يقول جلّ ثناؤه: عَفَا اللّهُ عَنْكَ يا محمد ما كان منك في إذنك لهؤلاء المنافقين الذي استأذنوك في ترك الخروج معك, وفي التخلف عنك من قبل أن تعلم صدقه من كذبه. لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ لأيّ شيء أذنت لهم, حتّى يَتَبَيّنَ لَكَ الّذِينَ صَدَقُوا وتَعْلَمَ الكاذِبِينَ يقول: ما كان ينبغي لك أن تأذن لهم في التخلف عنك, إذ قالوا لك: استطعنا لخرجنا معك, حتى تعرف من له العذر منهم في تخلفه ومن لا عذر له منهم, فيكون إذنك لمن أذنت له منهم على علم منك بعذره, وتعلم من الكاذب منهم المتخلف نفاقا وشكّا في دين الله.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
13101ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: عَفَا اللّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ قال: ناس قالوا: استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم, فإن أذن لكم فاقعدوا وإن لم يأذن لكم فاقعدوا.
13102ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: عَفَا اللّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حتّى يَتَبَيّنَ لَكَ الّذِينَ صَدَقُوا... الآية, عاتبه كما تسمعون, ثم أنزل الله التي في سورة النور, فرخص له في أن يأذن لهم إن شاء, فقال: فإذَا اسْتَأذَنُوكَ لبَعْضِ شأنِهِمْ فأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ فجعله الله رخصة في ذلك من ذلك.
13103ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان بن عيينة, عن عمرو بن دينار, عن عمرو بن ميمون الأودي, قال: اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء: إذنه للمنافقين, وأخذه من الأسارى, فأنزل الله: عَفَا اللّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ... الآية.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: قرأت على سعيد بن أبي عروبة, قال: هكذا سمعته من قتادة, قوله: عَفَا اللّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ... الآية, ثم أنزل الله بعد ذلك في سورة النور: فإذَا اسْتَأذَنُوكَ لبَعْضِ شأنِهِمْ فأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ... الآية.
13104ـ حدثنا صالح بن مسمار, قال: حدثنا النضر بن شميل, قال: أخبرنا موسى بن مروان, قال: سألت مورّقا, عن قوله: عَفَا اللّهُ عَنْكَ قال: عاتبه ربه.

الآية : 44

القول في تأويل قوله تعالى: {لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتّقِينَ }.
وهذا إعلام من الله نبيه صلى الله عليه وسلم سِيما المنافقين أن من علاماتهم التي يعرفون بها تخلفهم عن الجهاد في سبيل الله باستئذانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تركهم الخروج معه إذا استنفروا بالمعاذير الكاذبة. يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد لا تأذنّ في التخلف عنك إذا خرجت لغزو عدوّك لمن استأذنك في التخلف من غير عذر, فإنه لا يستأذنك في ذلك إلا منافق لا يؤمن بالله واليوم الآخر, فأما الذي يصدّق بالله وبقرّ بوحدانيته وبالبعث والدار الآخرة

والثواب والعقاب, فإنه لا يستأذنك في ترك الغزو وجهاد أعداء الله بماله ونفسه. وَاللّهُ عَلِيمٌ بالمُتّقِينَ يقول: والله ذو علم بمن خافه فاتقاه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه والمسارعة إلى طاعته في غزو عدوّه وجهادهم بماله ونفسه, وغير ذلك من أمره ونهيه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13105ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: لا يَسْتأذِنُكَ الّذِينَ يُؤْمِنُونَ باللّهِ فهذا تعيير للمنافقين حين استأذنوا في القعود عن الجهاد من غير عذر, وعذر الله المؤمنين, فقال: لم يَذْهَبُوا حَتّى يَسْتَأذِنُوهُ.

الآية : 45

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الاَخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدّدُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: إنما يستأذنك يا محمد في التخلف خلافك, وترك الجهاد معك من غير عذر بين الذين لا يصدّقون بالله, ولا يقرّون بتوحيده. وَارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ يقول: وشكت قلوبهم في حقيقة وحدانية الله, وفي ثواب أهل طاعته, وعقابه أهل معاصيه. فَهُمْ فِي رَيْبِهِمِ يَتردّدوَن يقول: في شكهم متحيرون, وفي ظلمة الحيرة مترددون, لا يعرفون حقّا من باطل, فيعملون على بصيرة. وهذه صفة المنافقين.

وكان جماعة من أهل العلم يرون أن هاتين الآيتين منسوختان بالآية التي ذكرت في سورة النور. ذكر من قال ذلك:

13106ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, عن الحسين, عن يزيد, عن عكرمة والحسن البصري, قالا: قوله: لا يَسْتأذِنُكَ الّذِينَ يُؤمِنُونَ باللّهِ... إلى قوله: فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدّدُونَ نسختهما الآية التي في النور: إنّمَا المُؤمِنُونَ الّذِينَ آمَنُوا باللّهِ... إلى: إنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

وقد بيّنا الناسخ والمنسوخ بما أغنى عن إعادته ههنا.

الآية : 46

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأعَدّواْ لَهُ عُدّةً وَلَـكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ولو أراد هؤلاء المستأذنوك يا محمد في ترك الخروج معك لجهاد عدوّك الخروج معك. لاَعَدّوا لَهُ عُدّةً يقول: لأعدّوا للخروج عدّة, ولتأهبوا للسفر والعدوّ أهبتهما. وَلكِنْ كَرِهَ اللّهُ انْبِعاثَهُمْ يعني: خروجهم لذلك. فَثَبّطَهُمْ يقول: فثقل عليهم الخروج حتى استخفوا القعود في منازلهم خلافك, واستثقلوا السفر والخروج معك, فتركوا لذلك الخروج. وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ القاعِدِينَ يعني: اقعدوا مع المرضى والضعفاء الذين لا يجدون ما ينفقون ومع النساء والصبيان, واتركوا الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجاهدين في سبيل الله. وكان تثبيط الله إياهم عن الخروج مع رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به, لعلمه بنفاقهم, وغشهم للإسلام وأهله, وأنهم لو خرجوا معهم ضرّوهم ولم ينفعوا. وذكر أن الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود كانوا عبد الله بن أبيّ ابن سلول, والجد بن قيس, ومن كانا على مثل الذي كانا عليه. كذلك:

13107ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: كان الذين استأذنوه فيما بلغني من ذوي الشرف منهم عبد الله بن أبيّ ابن

سلول, والجد بن قيس, وكانوا أشرافا في قومهم, فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معهم فيفسدوا عليه جنده.

الآية : 47

القول في تأويل قوله تعالى: {لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مّا زَادُوكُمْ إِلاّ خَبَالاً ولأوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ}.

يقول تعالى ذكره: لو خرج أيها المؤمنون فيكم هؤلاء المنافقون, ما زَادُوكُمْ إلاّ خَبالاً يقول: لم يزيدوكم بخروجهم فيكم إلا فسادا وضرّا ولذلك ثبطتهم عن الخروج معكم. وقد بيّنا معنى الخبال بشواهده فيما مضى قبل. وَلأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ يقول: ولأسرعوا بركائبهم السير بينكم. وأصله من إيضاع الخيل والركاب, وهو الإسراع بها في السير, يقال للناقة إذا أسرعت السير: وضعت الناقة تضع وضعا ومَوْضُوعا, وأوضعها صاحبها: إذا جدّ بها وأسرع يُوضِعُها إيضاعا ومنه قول الراجز:

يا لَيْتَنِي فِيها جَذَعْأخُبّ فيها وأضَعْ

وأما أصل الخلال: فهو من الخلل: وهي الفرج تكون بين القوم في الصفوف وغيرها ومنه قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «تَرَاصّوا فِي الصّفُوفِ لا يَتَخَلّلُكُمْ أوْلادُ الحَذَفِ».

وأما قوله: يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ فإن معنى يبغونكم الفتنة: يطلبون لكم ما تفتنون به عن مخرجكم في مغزاكم, بتثبيطهم إياكم عنه, يقال منه: بغيته الشرّ, وبغيته الخير أبغيه بغاءً: إذا التمسته له, بمعنى: بغيت له, وكذلك عكمتك وحلبتك, بمعنى: حلبت لك وعكمت لك, وإذا أرادوا أعنتك على التماسه وطلبه, قالوا: أبغيتك كذا وأحلبتك وأعكمتك: أي أعنتك عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13108ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: ولأَوْضَعُوا خِلاَلَكُم بينكم يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ بذلك.

13109ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ولأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ يقول: ولأوضعوا أسلحتهم خلالكم بالفتنة.

13110ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: ولأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ يبطئونكم. قال: رفاعة بن التابوت, وعبد الله بن أبيّ ابن سلول, وأوس بن قيظي.

13111ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: ولأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ قال: لأسرعوا الأزقة خلالكم. يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ يبطئونكم, عبد الله بن نبتل, ورفاعة بن تابوت, وعبد الله بن أبيّ ابن سلول.

قال: حدثنا الحسن, قال: ثني أبو سفيان, عن معمر, عن قتادة: ولأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ قال: لأسرعوا خلالكم يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ بذلك.

13112ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زَادُوكُمْ إلاّ خَبالاً قال: هؤلاء المنافقون في غزوة تبوك, يُسّليّ الله عنهم نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين, فقال: وما يُحْزِنكم. ولأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ الكفر.

وأما قوله: وَفِيكُمْ سَمّاعُونَ لَهُمْ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله, فقال بعضهم: معنى ذلك: وفيكم سماعون لحديثكم لهم يؤدونه إليهم عيون لهم عليكم. ذكر من قال ذلك:

13113ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَفِيكُمْ سَمّاعُونَ لَهُمْ يحدّثون بأحاديثكم, عيونٌ غير منافقين.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: وَفِيكُمْ سَمّاعُونَ لَهُمْ قال: محدّثون عيون غير منافقين.

13114ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَفِيكُمْ سَمّاعُونَ لَهُمْ يسمعون ما يؤدونه لعدوّكم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وفيكم من يسمع كلامهم ويطيع لهم. ذكر من قال ذلك:

13115ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَفِيكُمْ سَمّاعُونَ لَهُمْ وفيكم من يسمع كلامهم.

13116ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: كان الذين استأذنوا فيما بلغني من ذوي الشرف منهم: عبد الله بن أبيّ ابن سلولَ والجدّ بن قيس, وكانوا أشرافا في قومهم, فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معهم فيفسدوا عليه جنده, وكان في جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم إليه لشرفهم فيهم, فقال: وَفِيكُمْ سَمّاعُونَ لَهُمْ فعلى هذا التأويل: وفيكم أهل سمع وطاعة منكم لو صحبوكم أفسدوهم عليكم بتثبيطهم إياهم عن السير معكم.

وأما على التأويل الأوّل, فإن معناه: وفيكم منهم سماعون يسمعون حديثكم لهم, فيبلغونهم ويؤدونه إليهم عيون لهم عليكم.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين عندي في ذلك بالصواب تأويل من قال: معناه: وفيكم سماعون لحديثكم لهم يبلغونه عنكم عيون لهم, لأن الأغلب من كلام العرب في قولهم: سماع, وصف من وصف به أنه سماع للكلام, كما قال الله جلّ ثناؤه في غير موضع من كتابه: سمّاعُونَ لِلْكَذِبِ واصفا بذلك قوما بسماع الكذب من الحديث. وأما إذا وصفوا الرجل بسماع كلام الرجل وأمره ونهيه وقبوله منه, وانتهائه إليه فإنما تصفه بأنه له سامع ومطيع, ولا تكاد تقول: هو له سماع مطيع.

وأما قوله: وَاللّهُ عَلِيمٌ بالظّالِمِينَ فإن معناه: والله ذو علم بمن يوجه أفعاله إلى غير وجوهها ويضعها في غير مواضعها, ومن يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعذر ومن يستأذنه شكّا في الإسلام ونفاقا, ومن يسمع حديث المؤمنين ليخبر به المنافقين ومن يسمعه ليسرّ بما سرّ المؤمنين ويساء بما ساءهم, لا يخفى عليه شيء من سرائر خلقه وعلانيتهم. وقد بيّنا معنى الظلم في غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

الآية : 48

القول في تأويل قوله تعالى: {لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتّىَ جَآءَ الْحَقّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ }.

يقول تعالى ذكره: لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنة لأصحابك يا محمد, التمسوا صدّهم عن دينهم, وحرصوا على ردّهم إلى الكفر بالتخذيل عنه,

كفعل عبد الله بن أبيّ بك وبأصحابك يوم أُحد حين انصرف عنك بمن تبعه من قومه, وذلك كان ابتغاءهم ما كانوا ابتغوا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتنة من قبل. ويعني بقوله: مِنْ قَبْلُ: من قبل هذا. وَقَلّبُوا لَكَ الأُمُورَ يقول: وأجالوا فيك وفي إبطال الدين الذي بعثك به الله الرأي بالتخذيل عنك, وإنكار ما تأتيهم به, وردّه عليك. حَتّى جاءَ الحَقّ يقول: حتى جاء نصر الله, وَظَهَرَ أمْرُ اللّهِ يقول: وظهر دين الله الذي أمر به وافترضه على خلقه وهو الإسلام. وَهُمْ كارِهُونَ يقول: والمنافقون لظهور أمر الله ونصره إياك كارهون, وكذلك الآن يظهرك الله ويظهر دينه على الذين كفروا من الروم وغيرهم من أهل الكفر به وهم كارهون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13117ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وَقَلّبُوا لَكَ الأُمُورَ: أي ليخذلوا عنك أصحابك, ويردّوا عليك أمرك. حتى جاءَ الحَقّ وظَهَرَ أمْرُ اللّه.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في نفر مُسَمّيْن بأعيانهم.

13118ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن عمرو, عن الحسن, قوله: وَقَلّبُوا لَكَ الأُمُورَ قال: منهم عبد الله بن أبيّ ابن سلول, وعبد الله بن نبتل أخو بني عمرو بن عوف, ورفاعة بن رافع, وزيد بن التابوت القينقاعي.

وكان تخذيل عبد الله بن أبيّ أصحابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة, كالذي:

13119ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن الزهريّ, ويزيد بن رومان, وعبد الله بن أبي بكر, وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم, كلّ قد حدّث في غزوة تبوك ما بلغه عنها, وبعض القوم يحدّث ما لم يحدّث بعض, وكلّ قد اجتمع حديثه في هذا الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم, وذلك في زمان عسرة من الناس وشدّة من الحرّ وجدب من البلاد, وحين طاب الثمار وأحِبّت الظلال, والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم, ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة إلا كني عنها وأخبر أنه يريد غير الذي يصمد له, إلا ما كان من غزوة تبوك, فإنه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدوّ الذي صمد له ليتأهب الناس لذلك أهبته. فأم الناس بالجهاد, وأخبرهم أنه يريد الروم, فتجهز الناس على ما في أنفسهم من الكره لذلك الوجه لما فيه, مع ما عظموا من ذكر الروم وغزوهم. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جدّ في سفره, فأمر الناس بالجهاز والانكماش, وحضّ أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله. فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع, وضرب عبد الله بن أبيّ ابن سلول عسكره على ذي حدة أسفل منه نحو ذباب جبلّ بالجبانة أسفل من ثنية الوداع وكان فيما يزعمون ليس بأقلّ العسكرين فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبيّ فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب, وكان عبد الله بن أبيّ أخا بني عوف بن الخزرج, عبد الله بن نبتل أخا بني عمرو بن عوف, ورفاعة بن زيد بن التابوت أخا بني قينقاع, وكانوا من عظماء المنافقين, وكانوا ممن يكيد للإسلام وأهله. قال: وفيهم

كما حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, عن عمرو بن عبيد, عن الحسن البصريّ أنزل الله: لَقَدِ ابْتَغَوُا الفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ... الآية.

الآية : 49

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مّن يَقُولُ ائْذَن لّي وَلاَ تَفْتِنّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنّ جَهَنّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ }.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في الجدّ بن قيس. ويعني جلّ ثناؤه بقوله: وَمِنْهُمْ ومن المنافقين, مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لي أُقِمْ فلا أشخص معك, وَلا تَفْتِنّي يقول: ولا تبتلني برؤية نساء بني الأصفر وبناتهم, فإني بالنساء مغرم, فأخرج وآثم بذلك.

وبذلك من التأويل تظاهرت الأخبار عن أهل التأويل. ذكر الرواية بذلك عمن قاله:

13120ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: ائْذَنْ لي وَلا تَفْتِنّي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اغْزُوا تُبُوكَ تَغْنَمُوا بَناتِ الأصْفَرِ وَنِساءَ الرّومِ» فقال الجدّ: ائذن لنا, ولا تفتنا بالنساء.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اغْزُوا تَغْنَمُوا بَناتِ الأصْفَرِ» يعني: نساء الروم, ثم ذكر مثله.

13121ـ قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس, قوله: ائْذَنْ لي وَلا تَفْتِنّي قال: هو الجدّ بن قيس, قال: قد علمت الأنصار أني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن, ولكن أعينك بمالي

13122ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, عن الزهري, ويزيد بن رومان, وعبد الله بن أبي بكر, وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه للجدّ بن قيس أخي بني سلمة: «هَلْ لَكَ يا جَدّ العامَ فِي جِلادِ بَنِي الأصْفَرِ؟» فقال: يا رسول الله, أو تأذن لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشدّ عجبا بالنساء مني, وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهنّ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقال: «أذِنْتُ لَكَ», ففي الجدّ بن قيس نزلت هذه الآية وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لي وَلا تَفْتِنّي... الآية, أي إن كان إنما يخشى الفتنة من نساء بني الأصفر, وليس ذلك به, فما سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم.

13123ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لي وَلا تَفْتِنّي قال: هو رجل من المنافقين يقال له: جدّ بن قيس, فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم العام «نَغْزُو بني الأصفر ونتخذ منهم سرارى ووصفانا». فقال: أي رسول الله, ائذن لي ولا تفتني, إن لم تأذن لي افتتنت ووقعت فغضب, فقال الله: ألاَ فِي الفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإنّ جَهَنمَ لَمُحِيطَةٌ بالكافِرِينَ وكان من بني سلمة, فقال لهم النبيّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَيّدُكُم يا بَنِي سَلَمَةَ؟» فقالوا: جدّ بن قيس, غير أنه بخيل جبان. فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «وأيّ دَاءٍ أدْوَى مِنَ البُخْلِ, وَلكِنْ سَيّدُكُمُ الفَتى الأبْيَضُ الجَعْدُ الشّعْرِ البَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ».

13124ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ومِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لي وَلا تَفْتِنّي يقول: ائذن لي ولا تحرجني. ألاَ في الفِتْنَةِ سَقَطُوا يعني: في الحرج سقطوا.
13125ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لي وَلا تَفْتِنّي ولا تؤثمني ألا فِي الإثْمِ سَقَطُوا.
وقوله: وَإنّ جَهَنّمَ لَمُحِيطَةٌ بالكافِرِينَ يقول: وإن النار لمطيفة بمن كفر بالله وجحد آياته وكذّب رسله, محدقة بهم جامعة لهم جميعا يوم القيامة.
يقول: فكفي للجدّ بن قيس وأشكاله من المنافقين بصليّها خزيا.

الآية : 50

القول في تأويل قوله تعالى: {إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد إن يصبك سرور بفتح الله عليك أرض الروم في غزاتك هذه يسؤ الجدّ بن قيس ونظراءه وأشياعه من المنافقين, وإن تصبك مصيبة بفلول جيشك فيها يقول الجدّ ونظراؤه: قَدْ أخَذَنا أمْرَنَا مِنْ قبلُ أي قد أخذنا حذرنا بتخلفنا عن محمد وترك اتباعه إلى عدوّه, مِنْ قَبْلُ يقول: من قبل أن تصيبه هذه المصيبة.
وَيَتَوَلّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ يقول: ويرتدوا عن محمد, وهم فرحون بما أصاب محمدا وأصحابه من المصيبة بفلول أصحابه وانهزامهم عنه وقَتْل من قُتِل منهم.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
13126ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: إنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ يقول: إن تصبك في سفرك هذا لغزوة تبوك حسنة, تسؤهم. قال: الجدّ وأصحابه.
13127ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: قَدْ أخَذْنا أمْرَنا مِنْ قَبْلُ حذرنا.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: قَدْ أخَذْنا أمْرَنا مِنْ قَبْلُ قال: حذرنا.
13128ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ إن كان فتح للمسلمين كبر ذلك عليهم وساءهم.

الآية : 51

القول في تأويل قوله تعالى: {قُل لّن يُصِيبَنَآ إِلاّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكّلِ الْمُؤْمِنُونَ }.
يقول تعالى ذكره مؤدّبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عنك: لَنْ يُصِيبَنا أيها المرتابون في دينهم إلاّ ما كَتَبَ اللّهُ لَنا في اللوح المحفوظ وقضاه علينا. هُوَ مَوْلانا يقول: هو ناصرنا على أعدائه. وَعلى اللّهِ فَلْيَتَوَكّلِ المُؤْمِنُونَ يقول: وعلى الله فليتوكل المؤمنون, فإنهم إن يتوكلوا عليه ولم يرجوا النصر من عند غيره ولم يخافوا شيئا غيره, يكفهم أمورهم وينصرهم على من بغاهم وكادهم.

الآية : 52

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ هَلْ تَرَبّصُونَ بِنَآ إِلاّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبّصُوَاْ إِنّا مَعَكُمْ مّتَرَبّصُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم وبيّنت لك أمرهم: هل تنتظرون بنا إلا إحدى الخلتين اللتين هما أحسن من غيرهما, إما ظفرا بالعدوّ وفتحا لنا بغلبتناهم, ففيها الأجر والغنيمة والسلامة, وإما قتلاً من عدوّنا لنا, ففيه الشهادة والفوز بالجنة والنجاة من النار, وكلتاهما مما يحبّ, ولا يكره, ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده. يقول: ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعقوبة من عنده عاجلة تهلككم أو بأيدينا فنقتلكم. فَتَرَبّصُوا إنّا مَعَكُمْ مُتَرَبّصُونَ يقول: فانتظروا إنا معكم منتظرون ما الله فاعل بنا, وما إليه صائر أمر كلّ فريق منا ومنكم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13129ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: هَلْ تَرَبّصُونَ بِنا إلاّ إحْدَى الحُسْنَيَيْنِ يقول: فتح أو شهادة. وقال مرّة أخرى: يقول القتل, فهي الشهادة والحياة والرزق. وإما يخزيكم بأيدينا.

13130ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: هَلْ تَرَبّصُونَ بِنا إلاّ إحْدَى الحُسْنَيَيْنِ يقول: قتل فيه الحياة والرزق, وإما أن يغلب فيؤتيه الله أجرا عظيما وهو مثل قوله: وَمَنْ يُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ... إلى: فَيُقْتَلْ أوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤتِيهِ أجْرا عَظِيما.

13131ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إلاّ إحْدَى الحُسْنَيَيْنِ قال: القتل في سبيل الله والظهور على أعدائه.

قال: حدثنا بن بكر, عن ابن جريج, قال: بلغني عن مجاهد, قال: القتل في سبيل الله, والظهور.

حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إحْدَى الحُسْنَيَيْنِ القتل في سبيل الله والظهور على أعداء الله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, بنحوه.

قال ابن جريج: قال ابن عباس: بعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ بالموت أو بأيدينا, قال القتل.

13132ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: هَلْ تَرَبّصُونَ بِنا إلاّ إحْدَى الحُسْنَيَيْنِ إلا فتحا أو قتلاً في سبيل الله. ونَحْنُ نَتَرَبّصُ بِكُمْ أنْ يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أوْ بأيْدِينا: أي قتل.

الآية : 53

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لّن يُتَقَبّلَ مِنكُمْ إِنّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين: أنفقوا كيف شئتم أموالكم في سفركم هذا وغيره, وعلى أيّ

حال شئتم من حال الطوع والكره, فإنكم إن تنفقوها لَن يَتَقَبّل الله مِنْكُم نفقاتكم, وأنتم في شكّ من دينكم وجهل منكم بنبوة نبيكم وسوء معرفة منكم بثواب الله وعقابه. إنّكُمْ كُنْتُمْ قَوْما فاسِقِينَ يقول: خارجين عن الإيمان بربكم. وخرج قوله: أنْفِقُوا طَوْعا أوْ كَرْها مخرج الأمر ومعناه الخبر, والعرب تفعل ذلك في الأماكن التي يحسن فيها «إن» التي تأتي بمعنى الجزاء, كما قال جلّ ثناؤه: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ فهو في لفظ الأمر ومعناه الخبر, ومنه قول الشاعر:

أسِيئِي بِنا أوْ أحْسِنِي لا مَلُومَةلَدَيْنا وَلا مَقْلِيّةً إنْ تَقَلّتِ

فكذلك قوله: أنْفِقُوا طَوْعا أوْ كَرْها إنما معناه: إن تنفقوا طوعا أو كرها, لَنْ يُتَقَبّلَ مِنْكُمْ. وقيل: إن هذه الآية نزلت في الجدّ بن قيس حين قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه النبيّ صلى الله عليه وسلم الخروج معه لغزو الروم: هذا مالي أعينك به.

13133ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: قال الجدّ بن قيس: إني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتّن, ولكن أعينك بمالي قال: ففيه نزلت أنْفِقُوا طَوْعا أوْ كَرْها لَنْ يُتَقَبّلَ مِنْكُمْ قال: لقوله: أعينك بمالي.

الآية : 54

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاّ أَنّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصّلاَةَ إِلاّ وَهُمْ كُسَالَىَ وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاّ وَهُمْ كَارِهُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وما منع هؤلاء المنافقين يا محمد أن تقبل منهم نفقاتهم التي ينفقونها في سفرهم معك وفي غير ذلك من السبل إلا أنّهُمْ كَفَرُوا باللّهِ وَبِرَسُولِهِ ف«أن» الأولى في موضع نصب, والثانية في موضع رفع, لأن معنى الكلام: ما منع قبول نفقاتهم إلا كفرهم بالله. وَلا يَأْتُونَ الصّلاةَ إلاّ وَهُمْ كُسَالَى يقول: لا يأتونها إلا متثاقلين بها, لأنهم لا يرجون بأدائها ثوابا ولا يخافون بتركها عقابا, وإنما يقيمونها مخافة على أنفسهم بتركها من المؤمنين فإذا أمنوهم لم يقيموها. وَلاَ يُنْفِقُونَ يقول: ولا ينفقون من أموالهم شيئا, إلاّ وَهُمْ كارِهُونَ أن ينفقونه في الوجه الذي ينفقونه فيه مما فيه تقوية للإسلام وأهله.

الآية : 55

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ }.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه: فلا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم في الحياة الدنيا, إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة. وقال: معنى ذلك: التقديم وهو مؤخر. ذكر من قال ذلك:

13134ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَلا تُعْجِبْكَ أمْوَالُهُمْ وَلا أوْلادُهُمْ قال: هذه من تقاديم الكلام, يقول: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا, إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة.

13135ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذّبَهُمْ بِها فِي الآخِرَةِ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا, بما ألزمهم فيها من فرائضه. ذكر من قال ذلك:
13136ـ حُدثت عن المسيب بن شريك, عن سلمان الأقصري, عن الحسن: إنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذّبَهُمْ بِها فِي الحَياةِ الدّنْيا قال: بأخذ الزكاة والنفقة في سبيل الله تعالى.
13137ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذّبَهُمْ بِها فِي الحَياةِ الدّنْيا بالمصائب فيها, هي لهم عذاب وهي للمؤمنين أجر.
قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بالصواب في ذلك عندنا, التأويل الذي ذكرنا عن الحسن, لأن ذلك هو الظاهر من التنزيل, فصرف تأويله إلى ما دلّ عليه ظاهره أولى من صرفه إلى باطن لا دلالة على صحته, وإنما وجه من وجه ذلك إلى التقديم وهو مؤخر, لأنه لم يعرف لتعذيب الله المنافقين بأموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا وجها يوجهه إليه, وقال: كيف يعذّبهم بذلك في الدنيا, وهي لهم فيها سرور, وذهب عنه توجيهه إلى أنه من عظيم العذاب عليه إلزامه ما أوجب الله عليه فيها من حقوقه وفرائضه, إذ كان يلزمه ويؤخذ منه وهو غير طيب النفس. ولا راج من الله جزاء ولا من الآخذ منه حمدا ولا شكرا على ضجر منه وكره.
وأما قوله: وَتَزْهَقَ أنْفُسُهُمْ وَهُمْ كافِرُونَ فإنه يعني: وتخرج أنفسهم, فيموتوا على كفرهم بالله وجحودهم نبوّة نبيّ الله محمد صلى الله عليه وسلم, يقال منه: زَهَقَتْ نفس فلان, وزَهِقَتْ, فمن قال: زَهَقَت, قال: تَزْهَقُ, ومن قال: زَهِقَتْ, قال: تَزْهِقُ زُهُوقا ومنه قيل: زَهَق فلان بين أيدي القوم يَزْهَقُ زُهُوقا: إذا سبقهم فتقدمهم, ويقال: زَهَقَ الباطل: إذا ذهب ودرس.

الآية : 56

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مّنكُمْ وَلَـكِنّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ }.
يقول تعالى ذكره: ويحلف بالله لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون كذبا وباطلاً خوفا منكم, إنهم لمنكم في الدين والملة. يقول الله تعالى مكذّبا لهم: وَما هُمْ مِنْكُمْ أي ليسوا من أهل دينكم وملتكم, بل هم أهل شكّ ونفاق. وَلَكِنّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ يقول: ولكنهم قوم يخافونكم, فهم خوفا منكم يقولون بألسنتهم: إنا منكم, ليأمنوا فيكم فلا يقتلوا.

الآية : 57

القول في تأويل قوله تعالى: {لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئاً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدّخَلاً لّوَلّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ }.
يقول تعالى ذكره: لو يجد هؤلاء المنافقون ملجأ, يقول: عَصَرا يعتصرون به من حصن, ومعقلاً يعتقلون فيه منكم, أو مَغَارَاتٍ وهي الغيران في الجبال, واحدتها: مغارة, وهي مفعلة من غار الرجل في الشيء يغور فيه إذا دخل, ومنه قيل: غارت العين: إذا دخلت في الحدقة. أو مُدّخَلاً يقول: سَرَبا في الأرض يدخلون فيه, وقال: «أو مُدّخلاً»... الآية, لأنه من ادّخل يدخل. وقوله: لَوَلّوْا إِلَيْهِ يقول: لأدبروا إليه هربا منكم. وَهُمْ يَجْمَحُونَ يقول: وهم يسرعون في مشيهم. وقيل: إن الجماح مشى بين المشيين ومنه قول مهلهل:

لَقَدْ جَمَحْتُ جِماحا فِي دِمائهِمُحتى رأيْتُ ذَوِي أحْسابِهِمْ خَمَدوا
وإنما وصفهم الله بما وصفهم به من هذه الصفة, لأنهم إنما أقاموا بين أظهر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كفرهم ونفاقهم وعداوتهم لهم, ولما هم عليه من الإيمان بالله وبرسوله لأنهم كانوا في قومهم وعشيرتهم وفي دورهم وأموالهم, فلم يقدروا على ترك ذلك وفراقه, فصانعوا القوم بالنفاق ودافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأولادهم بالكفر ودعوى الإيمان, وفي أنفسهم ما فيها من البغض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان به والعداوة لهم, فقال الله واصفهم بما في ضمائرهم: لَوْ يَجِدُونَ مَلْجأً أوْ مَغارَاتٍ... الآية.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
13138ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: لَوْ يَجدُونَ مَلْجأً الملجأ: الحرز في الجبال, والمغارات: الغيران في الجبال. وقوله: أوْ مُدّخَلاً والمدّخل: السرب.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: لَوْ يَجدُونَ مَلْجأً أوْ مَغارَاتٍ أوْ مُدّخَلاً لَوَلّوْا إلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ملجأ, يقول: حرزا, أو مَغَارَاتٍ يعني الغيران. أو مُدّخلاً يقول: ذهابا في الأرض, وهو النفق في الأرض, وهو السرب.
13139ـ وحدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: لَوْ يَجدُونَ مَلْجأً أوْ مَغارَاتٍ أوْ مُدّخَلاً قال: حرزا لهم يفرّون إليه منكم.
13140ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: لَوْ يَجدُونَ مَلْجأً أوْ مَغارَاتٍ أوْ مُدّخَلاً قال: محرزا لهم, لفرّوا إليه منكم. وقال ابن عباس قوله: لَوْ يَجدُونَ مَلْجأً حرزا أو مغارات, قال: الغيران. أوْ مُدّخَلاً قال: ففقا في الأرض.
13141ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, عن سعيد, عن قتادة: لَوْ يَجدُونَ مَلْجأً أوْ مَغارَاتٍ أوْ مُدّخَلاً يقول: لو يجدون ملجأ: حصونا, أو مَغَارَاتٍ غيرانا. أو مدّخلاً أسرابا. لَوَلّوْا إلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ.

الآية : 58

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مّن يَلْمِزُكَ فِي الصّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ }.
يقول تعالى ذكره: ومن المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم في هذه الآيات مَنْ يَلْمِزُك فِي الصّدَقاتِ يقول: يعيبك في أمرها ويطعن عليك فيها, يقال منه: لمز فلانا يَلْمِزُه, ويَلْمُزُه: إذا عابه وقرصه, وكذلك همزه. ومنه قيل: فلان هُمَزةٌ لمَزة, ومنه قول رؤبة:
قارَبْتُ بينَ عَنَقِي وَجمْزِيفِي ظِلّ عَصْرَيْ باطِلِي ولَمْزِي
ومنه قول الآخر:
()إذَا لَقِيتُكَ تُبْدِي لي مُكاشَرَةً
وأنْ أغِيبَ فأنْتَ العائِبُ اللّمَزَهْ()
فإنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا يقول: ليس بهم في عيبهم إياك فيها وطعنهم عليك بسببها الدين, ولكن الغضب لأنفسهم, فإن أنت أعطيتهم منها ما يرضيهم رضوا عنك, وإن أنت لم تعطهم منهم سخطوا عليك وعابوك.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13142ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصّدَقاتِ قال: يَرُوزُك.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصّدَقاتِ يروزك ويسألك.
13143ـ قال ابن جريج: وأخبرني داود بن أبي عاصم, قال: قال أُتي النبيّ صلى الله عليه وسلم بصدقة, فقسمها ههنا وههنا حتى ذهبت, قال: ورآه رجل من الأنصار, فقال: ما هذا بالعدل فنزلت هذه الآية.
13144ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصّدَقاتِ يقول: ومنهم من يطعن عليك في الصدقات. وذُكر لنا أن رجلاً من أهل البادية حديث عهد بأعرابية, أتى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة, فقال: يا محمد, والله لئن كان الله أمرك أن تعدل ما عدلت فقال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: «وَيْلَكَ فَمَنْ ذَا يَعْدِلُ عَلَيْكَ بَعْدِي؟» ثم قال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: «احْذَرُوا هَذَا وأشْباهَهُ, فإنّ فِي أُمّتِي أشْباهَ هَذَا يَقْرَءُونَ القُرآنَ لا يُجاوزُ تَرَاقِيَهُمْ, فإذَا خَرَجُوا فاقْتُلُوهُمْ, ثُمّ إذَا خَرَجُوا فاقْتُلُوهُمْ, ثُمّ إذَا خَرَجُوا فاقْتُلُوهُمْ». وذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما أُعْطِيكُمْ شَيْئا وَلا أمْنَعْكُمُوهُ إنّمَا أنا خازِنٌ».
13145ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصّدَقاتِ قال: يطعن.
13146ـ قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الزهريّ عن أبي سلمة بن عبد الرحمن, عن أبي سعيد, قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قسما, إذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي, فقال: اعدل يا رسول الله فقال: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إنْ لَمْ أعْدِلْ؟» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ائذن لي فأضرب عنقه قال: «دعه, فإنّ لَهُ أصحابا يَحْقِرُ أحَدُكُمْ صَلاتَهُ مَعَ صَلاتِهِمْ وَصِيامَهُ مَعَ صِيامِهِمْ, يَمْرُقُونَ مِنَ الدّينِ كما يَمْرُقُ السّهْمُ مِنَ الرّمِيّةِ, فَيَنْظُرُ فِي قُذَذِهِ فَلا يَنْظُرُ شَيْئا, ثُمّ يَنْظُرُ فِي نَصْلِهِ فَلا يَجِدُ شَيْئا, ثُمّ يَنْظُرُ فِي رَصَافِهِ فَلا يَجِدُ شَيْئا, قَد سَبَقَ الفَرْثَ وَالدّمَ, آيَتُهُمْ رَجُلٌ أسْوَدُ إحْدَى يَدَيْهِ أوْ قالَ: يَدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرأة أوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ, يَخْرُجُونَ على حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ النّاسِ». قال: فنزلت: وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصّدَقاتِ. قال أبو سعيد: أشهد أني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم, وأشهد أن عليّا رحمة الله عليه حين قتلهم جيء بالرجل على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم.
13147ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصّدَقاتِ فإنْ أُعْطُوا مِنْها رَضوا وَإنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إذَا هُمْ يَسْخَطُونَ قال: هؤلاء المنافقون, قالوا: والله ما يعطيها محمد إلا من أحبّ, ولا يؤثر بها إلا هواه فأخبر الله نبيه, وأخبرهم أنه إنما جاءت من الله, وأن هذا أمر من الله ليس من محمد: إنّمَا الصّدقاتُ للفُقَرَاءِ... الآية.

الآية : 59

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنّآ إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولو أن هؤلاء الذين يلمزونك يا محمد في الصدقات رضوا ما أعطاهم الله ورسوله من عطاء وقسم لهم من قسم, وَقالُوا حَسْبُنا اللّهُ يقول: وقالوا: كافينا الله, سَيُؤْتِينا اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ يقول: سيعطينا الله من فضل خزائنه ورسوله من الصدقة وغيرها, إنّا إلى اللّهِ رَاغِبُونَ يقول: وقالوا: إنا إلى الله نرغب في أن يوسع علينا من فضله, فيغنينا عن الصدقة وغيرها من صلات الناس والحاجة إليهم.

الآية : 60

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّمَا الصّدَقَاتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السّبِيلِ فَرِيضَةً مّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: لا تنال الصدقات إلا للفقراء والمساكين ومن سماهم الله جلّ ثناؤه.

ثم اختلف أهل التأويل في صفة الفقير والمسكين, فقال بعضهم: الفقير: المحتاج المتعفف عن المسألة, والمسكين: المحتاج السائل. ذكر من قال ذلك:

13148ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن أشعث, عن الحسن: إنّمَا الصّدَقاتُ للفُقَرَاءِ والمَساكِينِ قال: الفقير: الجالس في بيته, والمسكين: الذي يسعى.

13149ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: حدثنا معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إنّمَا الصّدَقاتُ للْفُقَرَاءِ والمَساكِينِ قال: المساكين: الطّوافون, والفقراء فقراء المسلمين.

13150ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن جرير بن حازم, قال: ثني رجل, عن جابر بن زيد, أنه سئل عن الفقراء, قال: الفقراء: المتعففون, والمساكين: الذين يسألون.

13151ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا معقل بن عبيد الله الحراني, قال: سألت الزهري عن قوله: إنّمَا الصّدَقاتُ للْفُقَرَاءِ قال: الذين في بيوتهم لا يسألون, والمساكين: الذين يخرجون فيسألون.

13152ـ حدثنا الحرث, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن عبد الوارث بن سعيد, عن ابن نجيح, عن مجاهد, قال: الفقير الذي لا يسأل, والمسكين: الذي يسأل.

13153ـ قال: حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّمَا الصّدَقاتُ للْفُقَرَاءِ والمَساكِينِ قال: الفقراء الذين لا يسألون الناس وهم أهل حاجة, والمساكين: الذين يسألون الناس.

حدثنا الحرث, قال: ثني عبد العزيز, قال: حدثنا عبد الوارث, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: الفقراء الذين لا يسألون, والمساكين: الذين يسألون.

وقال آخرون: الفقير هو ذو الزمانة من أهل الحاجة, والمسكين: هو الصحيح الجسم. ذكر من قال ذلك:

13154ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: إنّمَا الصّدَقاتُ للْفُقَرَاءِ والمَساكِينِ قال: الفقير من به زمانة, والمسكين: الصحيح المحتاج.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إِنّمَا الصّدَقاتُ لِلْفُقَرَاءِ والمَساكِينِ أما الفقير: فالزمن الذي به زمانة, وأما المسكين: فهو الذي ليست به زمانة.

وقال آخرون: الفقراء فقراء المهاجرين, والمساكين: من لم يهاجر من المسلمين وهو محتاج. ذكر من قال ذلك:

13155ـ حدثنا الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا جرير بن حازم, عن عليّ بن الحكم, عن الضحاك بن مزاحم: إِنّمَا الصّدَقاتُ لِلْفُقَرَاءِ قال: فقراء المهاجرين, والمساكين: الذين لم يهاجروا.

13083قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن إبراهيم: إِنّمَا الصّدَقاتُ لِلْفُقَرَاءِ المهاجرين, قال: سفيان: يعني: ولا يعطي الأعراب منها شيئا.

حدثنا ابن وكيع, قال: ثني أبي, عن سفيان, عن منصور, عن إبراهيم, قال: كان يقال: إنما الصدقة لفقراء المهاجرين.

قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن إبراهيم, قال: كانت تجعل الصدقة في فقراء المهاجرين, وفي سبيل الله تعالى.

13156ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد بن جبير وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزي, قالا: كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحجّ عليها ويغزو, فنسبهم الله إلى أنهم فقراء, وجعل لهم سهما في الزكاة.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن إبراهيم, قال: كان يقال: إنما الصدقات في فقراء المهاجرين, وفي سبيل الله.

وقال آخرون: المسكين: الضعيف الكَسْب. ذكر من قال ذلك:

13157ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا ابن عون, عن محمد, قال: قال عمر: ليس الفقير بالذي لا مال له, ولكن الفقير: الأخْلق الكَسْب. قال يعقوب, قال ابن علية: الأخلق: المُحَارَفُ عندنا.

13158ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن أيوب عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب رحمة الله تعالى قال ليس المسكين بالذي لا ماله له ولكن المسكين الإخلاق الكسب وقال بعضهم الفقير من المسلمين والمسكين أهل الكتاب. ذكر من قال ذلك:

13159ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا عمر بن نافع, قال: سمعت عكرمة في قوله: إِنّمَا الصّدَقاتُ لِلْفُقَرَاءِ والمَساكِينِ قال: لا تقولوا لفقراء المسلمين مساكين, إنما المساكين مساكين أهل الكتاب.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب, قول من قال: الفقير: هو ذو الفقر أو الحاجة ومع حاجته يتعفف عن مسألة الناس والتذلل لهم في هذا الموضع, والمسكين: هو المحتاج المتذلل للناس بمسألتهم. وإنما قلنا إن ذلك كذلك وإن كان الفريقان لم يعطيا إلا بالفقر والحاجة دون الذلة والمسكنة, لإجماع الجميع من أهل العلم أن المسكين إنما يعطى من الصدقة المفروضة بالفقر, وأن معنى المسكنة عند العرب: الذلة, كما قال الله جلّ ثناؤه: وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذّلّةُ وَالمَسْكَنَةُ يعني بذلك الهون, والذلة لا الفقر. فإذا كان الله جلّ ثناؤه قد صنف من قسم له من الصدقة المفروضة

قسما بالفقر فجعلهم صنفين, كان معلوما أن كل صنف منهم غير الآخر. وإذ كان ذلك كذلك كان لا شكّ أن المقسوم له باسم الفقير غير المقسوم له باسم الفقر والمسكنة, والفقير المعطى ذلك باسم الفقير المطلق هو الذي لا مسكنة فيه, والمعطى باسم المسكنة والفقر هو الجامع إلى فقره المسكنة, وهي الذلّ بالطلب والمسألة.

فتأويل الكلام إذ كان ذلك معناه: إنما الصدقات للفقراء المتعفف منهم الذي لا يسأل, والمتذلل منهم الذي يسأل, وقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذي قلنا في ذلك خبر.

13160ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر, عن شريك بن أبي نمر, عن عطاء بن يسار, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ المِسْكِينُ بالَّذِي تَرُدّهُ اللّقْمَةُ وَاللّقْمَتانِ والتّمْرَةُ والتّمْرَتانِ, إنّمَا المسْكِينُ المُتَعَفّفُ اقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ لا يَسْألونَ النّاسَ إلْحافا».

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: «إنّمَا المِسْكِينُ المُتَعَفّفُ» على نحو ما قد جرى به استعمال الناس من تسميتهم أهل الفقر مساكين, لا على تفصيل المسكين من الفقير. ومما ينبىء عن أن ذلك كذلك, انتزاعه صلى الله عليه وسلم لقول الله: «اقرءوا إن شِئتم لا يَسألُونَ النّاسَ إلْحافا» وذلك في صفة من ابتدأ الله ذكره ووصفه بالفقر, فقال لِلْفُقَرَاءِ الّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبا فِي الأرْضِ يَحْسَبُهُمُ الجاهِلُ أغْنِياءَ مِنَ التّعَفّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لا يَسألُونَ النّاسَ إلْحافا.

وقوله: وَالعامِلِينَ عَلَيْها وهم السعاة في قبضها من أهلها, ووضعها في مستحقيها يعطون ذلك بالسعاية, أغنياء كانوا أو فقراء.

وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13161ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا معقل بن عبيد الله, قال: سألت الزهري عن العاملين عليها, فقال: السعاة.

13162ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَالعامِلِينَ عَلَيْها قال: جباتها الذين يجمعونها, ويسعون فيها.

13163ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: وَالعامِلِينَ عَلَيْها: الذي يعمل عليها.

ثم اختلف أهل التأويل في قدر ما يُعْطَى العامل من ذلك, فقال بعضهم: يُعْطَى منه الثمن. ذكر من قال ذلك:

13164ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حميد بن عبد الرحمن, عن حسن بن صالح, عن جويبر, عن الضحاك, قال: للعاملين عليها الثمن من الصدقة.

13165ـ حُدثت عن مسلم بن خالد, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قوله: وَالعامِلِينَ عَلَيْها قال: يأكل العمال من السهم الثامن.

وقال آخرون: بل يعطى على قدر عمالته.

13166ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء, عن الأخضر بن عجلان, قال: حدثنا عطاء بن زهير العامريّ, عن أبيه, أنه لقي عبد الله بن عمرو بن العاص, فسأله عن الصدقة: أيّ مال هي؟ فقال: مال العرجان والعوران والعميان وكلّ منقطع به. فقال له: إن للعاملين حقّا والمجاهدين. قال: إن المجاهدين قوم أحلّ لهم وللعاملين عليها على قدر عمالتهم. ثم قال: لا تحلّ الصدقة لغنيّ, ولا لذي مِرّة سويّ.

13167ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: يكون للعامل عليها إن عمل بالحقّ. ولم يكن عمر رحمه الله تعالى ولا أولئك يعطون العامل الثمن, إنما يفرضون له بقدر عمالته.
13168ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن أشعث, عن الحسن: وَالعامِلِينَ عَلَيْها قال: كان يعطى العاملون.
قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يعطى العامل عليها على قدر عمالته أجر مثله.
وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب, لأن الله جلّ ثناؤه لم يقسم صدقة الأموال بين الأصناف الثمانية على ثمانية أسهم وإنما عرّف خلقه أنّ الصدقات لن تجاوز هؤلاء الأصناف الثمانية إلى غيرهم. وإذ كان كذلك بما سنوضح بعد وبما قد أوضحناه في موضع آخر, كان معلوما أن من أعطي منها حقا, فإنما يعطى على قدر اجتهاد المعطي فيه. وإذا كان ذلك كذلك, وكان العامل عليها إنما يعطى على عمله لا على الحاجة التي تزول بالعطية, كان معلوما أن الذي أعطاه من ذلك إنما هو عوض من سعيه وعمله, وأن ذلك إنما هو قدر يستحقه عوضا من عمله الذي لا يزول بالعطية وإنما يزول بالعزل.
وأما المؤلّفة قلوبهم, فإنهم قوم كانوا يُتألّفون على الإسلام ممن لم تصحّ نصرته استصلاحا به نفسه وعشيرته, كأبي سفيان بن حرب وعيينة بن بدر والأقرع بن حابس, ونظرائهم من رؤساء القبائل.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
13169ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمر, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ, وهم قوم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم, قد أسلموا, وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضخ لهم من الصدقات, فإذا أعطاهم من الصدقات فأصابوا منها خيرا قالوا: هذا دين صالح وإن كان غير ذلك, عابوه وتركوه.
13170ـ حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن يحيى بن أبي كثير: أن المؤلفة قلوبهم من بني أمية: أبو سفيان بن حرب, ومن بني مخزوم: الحرث بن هشام, وعبد الرحمن بن يربوع, ومن بني جمح: صفوان بن أمية, ومن بني عامر بن لؤيّ: سهيل بن عمرو, وحويطب بن عبد العُزّى, ومن بني أسد بن عبد العُزّى: حكيم بن حزام, ومن بني هاشم: سفيان بن الحرث بن عبد المطلب, ومن بني فزارة: عيينة بن حصن بن بدر, ومن بني تميم: الأقرع بن حابس, ومن بني نصر: مالك بن عوف, ومن بني سليم: العباس بن مرداس, ومن ثقيف: العلاء بن حارثة. أعطى النبيّ صلى الله عليه وسلم كلّ رجل منهم مئة ناقة, إلا عبد الرحمن بن يربوع وحويطب بن عبد العُزّى, فإنه أعطى كلّ رجل منهم خمسين.
13171ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الزهريّ, قال: قال صفوان بن أمية: لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه لأبغض الناس إليّ, فما برح يعطيني حتى إنه لأحبّ الناس إليّ.
13172ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: ناس كان يتألفهم بالعطية, عيينة بن بدر ومن كان معه.

13173ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث, عن حماد بن سلمة, عن يونس, عن الحسن: والمُؤَلّفَةُ قُلُوبُهُمْ: الذين يؤلفون على الإسلام.
13174ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وأما المؤلّفة قلوبهم, فأناس من الأعراب ومن غيرهم, كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم بالعطية كيما يؤمنوا.
13175ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا معقل بن عبيد الله, قال: سألت الزهريّ عن قوله: والمُؤَلّفَةُ قُلُوبُهُمْ فقال: من أسلم من يهودي أو نصراني. قلت: وإن كان غنيا؟ قال: وإن كان غنيا.
13176ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا معقل بن عبيد الله الحراني, عن الزهريّ: والمُؤَلّفَةُ قُلُوبُهُمْ قال: من هو يهودي أو نصراني.
ثم اختلف أهل العلم في وجود المؤلفة اليوم وعدمها, وهل يعطى اليوم أحد على التألف على الإسلام من الصدقة؟ فقال بعضهم: قد بطلت المؤلّفة قلوبهم اليوم, ولا سهم لأحد في الصدقة المفروضة إلا لذي حاجة إليها وفي سبيل الله أو لعامل عليها. ذكر من قال ذلك:
13177ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن أشعث, عن الحسن: والمُؤَلّفَةُ قُلُوبُهُمْ قال: أما المؤلفة قلوبهم فليس اليوم.
13178ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن جابر, عن عامر, قال: لم يبق في الناس اليوم من المؤلفة قلوبهم, إنما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا مبارك, عن الحسن, قال: ليس اليوم مؤلفة.
13179ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن جابر, عن عامر, قال: إنما كانت المؤلفة قلوبهم على عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم, فلما وُلي أبو بكر رحمة الله تعالى عليه انقطعت الرشا.
وقال آخرون: المؤلفة قلوبهم في كلّ زمان, وحقهم في الصدقات. ذكر من قال ذلك:
13180ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن جابر, عن أبي جعفر, قال: في الناس اليوم المؤلفة قلوبهم.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن جابر, عن أبي جعفر, مثله.
قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي: أن الله جعل الصدقة في معنيين: أحدهما سدّ خلة المسلمين, والآخر معونة الإسلام وتقويته فما كان في معونة الإسلام وتقوية أسبابه فإنه يعطاه الغنيّ والفقير, لأنه لا يعطاه من يعطاه بالحاجة منه إليه وإنما يعطاه معونة للدين, وذلك كما يعطي الذي يعطاه بالجهاد في سبيل الله, فإنه يعطي ذلك غنيا كان أو فقيرا للغزو لا لسدّ خلته. وكذلك المؤلفة قلوبهم يعطون ذلك وإن كانوا أغنياء, استصلاحا بإعطائهموه أمر الإسلام وطلب تقويته وتأييده. وقد أعطى النبيّ صلى الله عليه وسلم من أعطى من المؤلفة قلوبهم, بعد أن فتح الله عليه الفتوح وفشا الإسلام وعزّ أهله, فلا حجة لمحتجّ بأن يقول: لا يتألف اليوم على الإسلام أحد لامتناع أهله بكثرة العدد ممن أرادهم وقد أعطى النبيّ صلى الله عليه وسلم من أعطى منهم في الحال التي وصفت.

وأما قوله: وفِي الرّقابِ فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه, فقال بعضهم, وهم الجمهور الأعظم: هم المكاتبون, يعطون منها في فكّ رقابهم. ذكر من قال ذلك:

13181ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن الحسن بن دينار, عن الحسين: أن مكاتبا قام إلى أبي موسى الأشعري رحمه الله تعالى وهو يخطب الناس يوم الجمعة, فقال له: أيها الأمير حثّ الناس عليّ فحثّ عليه أبو موسى, فألقي الناس عليه عمامة وملاءة وخاتما, حتى ألقوا سوادا كثيرا. فلما رأى أبو موسى ما ألقى عليه, قال: اجمعوه فجمع ثم أمر به فبيع, فأعطى المكاتب مكاتبته, ثم أعطى الفضل في الرقاب ولم يردّه على الناس, وقال: إنما أعطيَ الناسُ في الرقاب.

13182ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا معقل بن عبيد الله, قال: سألت الزهري عن قوله: وفِي الرّقابِ قال: المكاتبون.

13183ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وفِي الرّقابِ قال: المكاتَبُ.

13184ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا سهل بن يوسف, عن عمرو, عن الحسن: وَفِي الرّقابِ قال: هم المكاتبون.

ورُوي عن ابن عباس أنه قال: لا بأس أن تعتق الرقبة من الزكاة.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال: عنى بالرقاب في هذا الموضع المكاتبون, لإجماع الحجة على ذلك فإن الله جعل الزكاة حقا واجبا على من أوجبها عليه في ماله يخرجها منه, لا يرجع إليه منها نفع من عرض الدنيا ولا عوض, والمعتق رقبة منها راجع إليه ولاء من أعتقه, وذلك نفع يعود إليه منها.

وأما الغارمون: فالذين استدانوا في غير معصية الله, ثم لم يجدوا قضاء في عين ولا عرض.

وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13185ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن عثمان بن الأسود, عن مجاهد, قال: الغارمون: من احترق بيته, أو يصيبه السيل فيذهب متاعه, ويدّان على عياله فهذا من الغارمين.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن عثمان بن الأسود, عن مجاهد, في قوله: وَالغارِمينَقال: من احترق بيته, وذهب السيل بماله, وادّان على عياله.

13186ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن جابر, عن أبي جعفر, قال: الغارمين: المستدين في غير سرف, ينبغي للإمام أن يقضي عنهم من بيت المال.

13187ـ قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا معقل بن عبيد الله, قال: سألنا الزهري, عن الغارمين, قال: أصحاب الدين.

13188ـ قال: حدثنا معقل, عن عبد الكريم, قال: ثني خادم لعمر بن عبد العزيز خدمه عشرين سنة, قال: كتب عمر بن عبد العزيز أن يعطى الغارمون. قال أحمد: أكثر ظني من الصدقات.

قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن جابر, عن أبي جعفر, قال: الغارمون: المستدين في غير سرف.

13189ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: أما الغارمون: فقوم غرّقتهم الديون, في غير إملاق ولا تبذير ولا فساد.
13190ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: الغارم: الذي يدخل عليه الغرم.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن عثمان بن الأسود, عن مجاهد: والغارِمِينَ قال: هو الذي يذهب السيل والحريق بماله, ويدّان على عياله.
قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن جابر, عن أبي جعفر, قال: المستدين في غير فساد.
قال: ثني أبي, عن إسرائيل, عن جابر, عن أبي جعفر, قال: الغارمون: الذين يستدينون في غير فساد, ينبغي للإمام أن يقضي عنهم.
13191ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن عثمان بن الأسود, عن مجاهد: هم قوم ركبتهم الديون في غير فساد ولا تبذير, فجعل الله لهم في هذه الآية سهما.
وأما قوله: وفِي سَبِيلِ اللَّهِ فإنه يعني: وفي النفقة في نصرة دين الله وطريقه وشريعته التي شرعها لعباده بقتال أعدائه, وذلك هو غزو الكفار.
وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
13192ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وفِي سَبِيلِ اللَّهِ قال: الغازي في سبيل الله.
13193ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن زيد بن أسلم, عن عطاء بن يسار, قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لا تَحِلّ الصّدَقَةُ لِغَنِيّ إلاّ لِخَمْسَةٍ: رَجُلٍ عَمِلَ عَلَيْها, أوْ رَجُلٍ اشْتَرَاها بِمالِهِ, أوِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ, أوِ ابْنِ السّبِيلِ, أوْ رَجُلٍ كانَ لَهُ جارٌ تُصُدّقَ عَلَيْهِ فَأهْدَاها لَهُ».
13194ـ قال: حدثنا أبي, عن ابن أبي ليلى, عن عطية, عن أبي سعيد الخدريّ, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «لا تَحِلّ الصّدَقَةُ لِغَنِيّ إلاّ لِثَلاثَةٍ: فِي سَبِيلِ اللَّهِ, أوِ ابْنِ السّبِيلِ, أوْ رَجُلٍ كانَ لَهُ جارٌ فَتُصُدّقَ عَلَيْهِ فَأهْدَاها لَهُ».
وأما قوله: وَابْنِ السّبِيلِ فالمسافر الذي يجتاز من بلد إلى بلد, والسبيل: الطريق, وقيل للضارب فيه ابن السبيل للزومه إياه, كما قال الشاعر:
أنا ابْنُ الحَرْبِ رَبّتْني وَليداإلى أنْ شِبْتُ وَاكْتَهَلَتْ لِداتِي
وكذلك تفعل العرب, تسمي اللازم للشيء يعرف بابنه.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
13195ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان, عن جابر, عن أبي جعفر, قال: ابن السبيل: المجتاز من أرض إلى أرض.
13196ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا مندل, عن ليث, عن مجاهد: وَابْنِ السّبيلِ قال: لابن السبيل حقّ من الزكاة وإن كان غنيا إذا كان منقطعا به.
13197ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا معقل بن عبيد الله, قال: سألت الزهري, عن ابن السبيل قال: يأتي عليّ ابن السبيل, وهو محتاج, قلت: فإن كان غنيا؟ قال: وإن كان غنيا.
13198ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَابْنِ السّبِيلِ الضيف جعل له فيها حقّ.

13199ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن السبيل: المسافر من كان غنيا أو فقيرا إذا أصيبت نفقته, أو فقدت, أو أصابها شيء, أو لم يكن معه شيء, فحقّه واجب.
13200ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا هشيم, عن جويبر, عن الضحاك, أنه قال في الغنيّ إذا سافر فاحتاج في سفره, قال: يأخذ من الزكاة.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن جابر, عن أبي جعفر, قال: ابن السبيل: المجتاز من الأرض إلى الأرض.
وقوله: فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ يقول جلّ ثناؤه: قسم قسمه الله لهم, فأوجبه في أموال أهل الأموال لهم, والله عليم بمصالح خلقه فيما فرض لهم وفي غير ذلك لا يخفى عليه شيء. فعلى علم منه فرض ما فرض من الصدقة وبما فيها من المصلحة, حكيم في تدبيره خلقه, لا يدخل في تدبيره خلل.
واختلف أهل العلم في كيفية قسم الصدقات التي ذكرها الله في هذه الآية, وهل يجب لكل صنف من الأصناف الثمانية فيها حقّ أو ذلك إلى ربّ المال, ومن يتولى قسمها في أن له أن يعطي جميع ذلك من شاء من الأصناف الثمانية؟ فقال عامة أهل العلم: للمتولي قسمها ووضعها في أيّ الأصناف الثمانية شاء, وإنما سمى الله الأصناف الثمانية في الآية إعلاما منه خلقه أن الصدقة لا تخرج من هذه الأصناف الثمانية إلى غيرها, لا إيجابا لقسمها بين الأصناف الثمانية الذين ذكرهم الله تعالى. ذكر من قال ذلك:
13201ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا هارون, عن الحجاج بن أرطاة, عن المنهال بن عمرو, عن زرّ بن حبيش, عن حذيفة, في قوله: إنّمَا الصّدَقاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَساكِينِ والعامِلِينَ عَلَيْها قال: إن شئت جعلته في صنف واحد, أو صنفين, أو لثلاثة.
13202ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الحجاج, عن المنهال, عن زرّ, عن حذيفة, قال: إذا وضعتها في صنف واحد أجزأ عنك.
13203ـ قال: حدثنا جرير, عن ليث, عن عطاء, عن عمر: إنّمَا الصّدَقاتُ لِلْفُقَرَاءِ قال: أيما صنف أعطيته من هذا أجزأك.
13204ـ قال: حدثنا ابن نمير, عن عبد المطلب, عن عطاء: إنّمَا الصّدَقاتُ لِلْفُقَرَاءِ... الآية, قال: لو وضعتها في صنف واحد من هذه الأصناف أجزأك, ولو نظرت إلى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحبّ إليّ.
13205ـ قال: أخبرنا جرير, عن عطاء, عن سعيد بن جبير: إنّمَا الصّدَقاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَساكِينِ... وَابْنِ السّبِيلِ فأيّ صنف أعطيته من هذه الأصناف أجزأك.
13206ـ قال: حدثنا عمران بن عيينة, عن عطاء, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, مثله.
13207ـ قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن إبراهيم: إنّمَا الصّدَقاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَساكِينِ والعامِلِينَ عَلَيْها قال: إنما هذا شيء أعلمه, فأيّ صنف من هذه الأصناف أعطيته أجزأ عنك.
قال: حدثنا أبي عن شعبة, عن الحكم, عن إبراهيم: إنّمَا الصّدَقاتُ لِلْفُقَرَاءِ قال: في أيّ هذه الأصناف وضعتها أجزأك.

قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبير, قال: إذا وضعتها في صنف واحد مما سمى الله أجزأك.
13208ـ قال: حدثنا أبي, عن أبي جعفر الرازي, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, قال: إذا وضعتها في صنف واحد مما سمى الله أجزأك.
13209ـ قال: حدثنا خالد بن حيان أبو يزيد, عن جعفر بن برقان, عن ميمون بن مهران: إنّمَا الصّدَقاتُ للْفُقَرَاءِ قال: إذا جعلتها في صنف واحد من هؤلاء أجزأ عنك.
13210ـ قال: حدثنا محمد بن بشر, عن مسعود, عن عطاء, عن سعيد بن جبير: إنّمَا الصّدَقاتُ للْفُقَرَاءِ وَالمَساكِينِ.... الآية, قال: أعلم أهلها من هم.
13211ـ قال: حدثنا حفص, عن ليث, عن عطاء, عن عمر: أنه كان يأخذ الفرض في الصدقة, ويجعلها في صنف واحد.
وكان بعض المتأخرين يقول: إذا تولى ربّ المال قسمها كان عليه وضعها في ستة أصناف وذلك أن المؤلفة قلوبهم عنده قد ذهبوا, وأن سهم العاملين يبطل بقسمه إياها, ويزعم أنه لا يجزيه أن يعطى من كلّ صنف أقلّ من ثلاثة أنفس. وكان يقول: إن تولى قسمها الإمام كان عليه أن يقسمها على سبعة أصناف, لا يجزي عنده غير ذلك.

الآية : 61

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنْهُمُ الّذِينَ يُؤْذُونَ النّبِيّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لّلّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء المنافقين جماعة يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه, ويقولون: هو أذن سامعة, يسمع من كلّ أحد ما يقول فيقبله ويصدّقه. وهو من قولهم: رجل أذنة مثل فعلة: إذا كان يسرع الاستماع والقبول, كما يقال: هو يَقَنٌ ويَقِنٌ: إذا كان ذا يقين بكلّ ما حدّث. وأصله من أذِنَ له يأذَنُ: إذا استمع له, ومنه الخبر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ما أَذِنَ اللّهُ لِشَيْءٍ كأَذَنِهِ لِنَبيّ يَتَغَنّى بالقُرآنِ» ومنه قول عديّ بن زيد:
أيّها القَلْبُ تَعَلّلْ بِدَدَنْإنّ هَمّي فِي سَماعٍ وأَذَنْ
وذكر أن هذه الآية نزلت في نبتل بن الحرث.
13212ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ذكر الله عيبهم, يعني المنافقين, وأذاهم للنبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: وَمِنْهُمُ الّذِينَ يُؤذُونَ النّبِيّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ... الآية, وكان الذي يقول تلك المقالة فيما بلغني نبتل بن الحرث أخو بني عمرو بن عوف, وفيه نزلت هذه الآية, وذلك أنه قال: إنما محمد أذُن, من حدّثه شيئا صدّقه يقول الله: قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ: أي يستمع الخير ويصدّق به.
واختلف القرّاء في قراءة قوله: قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار: قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ بإضافة الأذن إلى الخير, يعني: قل لهم يا محمد: هو أذن خير لا أذن شرّ. وذُكر عن الحسن البصري أنه قرأ ذلك: «قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ» بتنوين «أذن», ويصير «خير» خبرا له, بمعنى: قل من يسمع منكم أيها المنافقون ما تقولون ويصدّقكم إن كان محمد كما وصفتموه من أنكر إذا آذيتموه فأنكرتم ما ذكر له عنكم من أذاكم إياه وعيبكم له سمع

منكم وصدّقكم, خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل منكم ما تقولون. ثم كذّبهم فقال: بل لا يقبل إلا من المؤمنين, يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلمُؤْمِنِينَ.
قال أبو جعفر: والصواب من القراءة عندي في ذلك, قراءة من قرأ: قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ بإضافة «الأذن» إلى «الخير», وخفض «الخير», يعني: قل هو أذن خير لكم, لا أذن شرّ.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
13213ـ حدثني المثنى, قال: ثني عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَمِنْهُمُ الّذِينَ يُؤذُونَ النّبِيّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ يسمع من كل أحد.
13214ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَمِنْهُمُ الّذِينَ يُؤذُونَ النّبِيّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قال: كانوا يقولون: إنما محمد أذن لا يحدّث عنا شيئا إلا هو أذن يسمع ما يقال له.
13215ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن ورقاء, عن ابن نجيح, عن مجاهد: وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ نقول ما شئنا, ونحلف فيصدّقنا.
حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: هُوَ أُذُنٌ قال: يقولون: نقول ما شئنا, ثم نحلف له فيصدّقنا.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, نحوه.
وأما قوله: يُؤْمِنُ باللّهِ فإنه يقول: يصدّق بالله وحده لا شريك له. وقوله: وَيُؤْمِنُ لِلمُؤْمِنِينَ يقول: ويصدّق المؤمنين لا الكافرين ولا المنافقين. وهذا تكذيب من الله للمنافقين الذين قالوا: محمد أذن, يقول جلّ ثناؤه: إنما محمد صلى الله عليه وسلم مستمع خير, يصدّق بالله وبما جاءه من عنده, ويصدّق المؤمنين لا أهل النفاق والكفر بالله. وقيل: وَيُؤْمِنُ للمُؤْمِنِينَ معناه: ويؤمن المؤمنين, لأن العرب تقول فيما ذكر لنا عنها: آمنت له وآمنته, بمعنى: صدّقته, كما قيل: رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ومعناه: ردفكم, وكما قال: للّذِينَ هُمْ لِرَبّهِمْ يَرْهَبُونَ ومعناه: للذين هم ربهم يرهبون.
وبنحو الذي قلنا في ذلكَ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
13216ـ حدثني المثنى, قال: ثني عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلمُؤْمِنِينَ يعني: يؤمن بالله ويصدّق المؤمنين.
وأما قوله: وَرَحْمَةٌ للّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ فإنّ القرّاء اختلفت في قراءته, فقرأ ذلك عامة الأمصار: وَرَحْمَةٌ للّذِينَ آمَنُوا بمعنى: قل هو أذن خير لكم, وهو رحمة للذين آمنوا منكم. فرفع «الرحمة» عطفا بها على «الأذن». وقرأه بعض الكوفيين: «وَرَحْمَةٍ» عطفا بها على «الخير», بتأويل: قل أذن خير لكم, وأذن رحمة.
قال أبو جعفر: وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأ وَرَحْمَةٌ بالرفع عطفا بها على «الأذن», بمعنى: وهو رحمة للذين آمنوا منكم, وجعله الله رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه وصدّق بما جاء به من عند ربه, لأن الله استنقذهم به من الضلالة وأورثهم باتباعه جناته.
القول في تأويل قوله تعالى: والّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم.

يقول تعالى ذكره: لهؤلاء المنافقين الذين يعيبون رسول الله صلى الله عليه وسلم, ويقولون: هو أذن وأمثالهم من مكذّبيه, والقائلين فيه الهجر والباطل, عذاب من الله موجع لهم في نار جهنم.

الآية : 62

القول في تأويل قوله تعالى: {يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم: يحلف لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون بالله ليرضوكم فيما بلغكم عنهم من أذاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم, وذكرهم إياه, بالطعن عليه والعيب له, ومطابقتهم سرّا أهل الكفر عليكم بالله, والأيمان الفاجرة أنهم ما فعلوا ذلك وإنهم لعلى دينكم ومعكم على من خالفكم, يبتغون بذلك رضاكم. يقول الله جلّ ثناؤه: وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقّ أنْ يُرْضُوهُ بالتوبة والإنابة مما قالوا ونطقوا, إنْ كانُوا مُؤْمِنينَ يقول: إن كانوا مصدّقين بتوحيد الله, مقرّين بوعده ووعيده.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13217ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يَحْلِفُونَ بالله لكم لِيُرْضُوكُمْ... الآية, ذكر لنا أن رجلاً من المنافقين قال: والله إن هؤلاء لخيارنَا وأشرافنا, وإن كان ما يقول محمد حقا, لهم شرّ من الحمير قال: فسمعها رجل من المسلمين, فقال: والله إن ما يقول محمد حقّ, ولأنت شرّ من الحمار فسعى بها الرجل إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, فأرسل إلى الرجل فدعاه, فقال له: «ما حَمَلَكَ على الذي قُلْتَ؟» فجعل يلتعن ويحلف بالله ما قال ذلك, قال: وجعل الرجل المسلم يقول: اللهم صَدّق الصادق وكذّب الكاذب فأنزل الله في ذلك: يَحْلِفُونَ باللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ واللّهُ وَرَسُولُهُ أحَقّ أنْ يُرْضُوهُ إنْ كانُوا مُؤْمِنِينَ.

الآية : 63

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنّ لَهُ نَارَ جَهَنّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يحلفون بالله كذبا للمؤمنين ليرضوهم وهم مقيمون على النفاق, أنه من يحارب الله ورسوله ويخالفهما فيناوئهما بالخلاف عليهما, فأنّ لَهُ نارَ جَهَنّمَ في الآخرة, خالِدا فِيها يقول: لابثا فيها, مقيما إلى غير نهاية. ذلكَ الخِزْيُ العَظِيمُ يقول: فلبثه في نار جهنم وخلوده فيها هو الهوان والذلّ العظيم. وقرأت القرّاء: فَأنّ بفتح الألف من «أن» بمعنى: ألم يعلموا أن لمن حادّ الله ورسوله نار جهنم, وإعمال «يعلموا» فيها, كأنهم جعلوا «أن» الثانية مكرّرة على الأولى, واعتمدوا عليها, إذ كان الخبر معها دون الأولى. وقد كانت بعض نحويي البصرة يختار الكسر في ذلك على الابتداء بسبب دخول الفاء فيها, وأن دخولها فيها عنده دليل على أنها جواب الجزاء, وأنها إذا كانت جواب الجزاء كان الاختيار فيها الابتداء. والقراءة التي لا أستجيز غيرها فتح الألف في كلام الحرفين, أعني «أن» الأولى والثانية, لأن ذلك قراءة الأمصار, وللعلة التي ذكرت من جهة العربية.

الآية : 64

القول في تأويل قوله تعالى: {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِءُواْ إِنّ اللّهَ مُخْرِجٌ مّا تَحْذَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: يخشى المنافقون أن تنزل فيهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم, يقول: تظهر المؤمنين على ما في قلوبهم. وقيل: إن الله أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم, لأن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا شيئا من أمره وأمر المسلمين, قالوا: لعلّ الله لا يفشي سرّنا فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل لهم: استهزءوا, متهدّدا لهم متوعدا, إنّ اللّهُ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13218ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, عن عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد يَحْذَرُ المُنافِقُونَ أنْ تُنَزّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ قال: يقولون القول بينهم, ثم يقولون: عسى الله أن لا يفشي سرّنا علينا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد مثله, إلا أنه قال: سرنا هذا.

وأما قوله: إنّ اللّهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذرُونَ فإنه يعني: إن الله مظهر عليكم أيها المنافقون ما كنتم تحذرون أن تظهروه, فأظهر الله ذلك عليهم وفضحهم, فكانت هذه السورة تدعى الفاضحة.

13219ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كانت تسمى هذه السورة الفاضحة فاضحة المنافقين.

الآية : 65

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنّ إِنّمَا كُنّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ }.

يقول تعالى جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما قالوا من الباطل والكذب, ليقولنّ لك: إنما قلنا ذلك لعبا, وكنا نخوض في حديث لعبا وهزوا. يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزءون.

وكان ابن إسحاق يقول: الذي قال هذه المقالة كما:

13220ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: كان الذي قال هذه المقالة فيما بلغني وديعة بن ثابت, أخو بني أمية بن زيد من بني عمرو بن عوف.

13221ـ حدثنا عليّ بن داود, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: حدثنا الليث, قال: ثني هشام بن سعد, عن زيد بن أسلم: أن رجلاً من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك: ما لقرّائنا هؤلاء أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنةً وأجبننا عند اللقاء فقال له عوف: كذبت, ولكنك منافق, لأخبرنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره, فوجد القرآن قد سبقه, فقال زيد: قال عبد الله بن عمر: فنظرت إليه متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم, تنكبه الحجارة, يقول: إنّمَا كُنّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ فيقول له النبيّ صلى الله عليه وسلم: أبا للّهِ وآياتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ما يزيده.

13222ـ قال: ثني هشام بن سعد, عن زيد بن أسلم, عن عبد الله بن عمر, قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس, ما رأينا مثل قرّائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء فقال رجل في المجلس:

كذبت, ولكنك منافق, لأخبرنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم, ونزل القرآن, قال عبد الله بن عمر: فأنا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم, تنكبه الحجارة, وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب, ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أباللّهِ وآياتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمَانِكُمْ.

13223ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا أيوب, عن عكرمة, في قوله: وَلَئِنْ سألْتَهُمْ لَيَقُولُنّ إنّمَا كُنّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ.... إلى قوله: بأنّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ قال: فكان رجل ممن إن شاء الله عفا عنه يقول: اللهمّ إني أسمع آية أنا أُعْنَى بها, تقشعرّ منها الجلود, وتَجِلُ منها القلوب, اللهمّ فاجعل وفاتي قتلاً في سبيلك, لا يقول أحد: أنا غسلت, أنا كفنت, أنا دفنت قال: فأصيب يوم اليمامة, فما من أحد من المسلمين إلا وجد غيره.

13224ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَئِنْ سألْتَهُمْ لَيَقُولُنّ إنّمَا كُنّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ.... الآية, قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوته إلى تبوك, وبين يديه ناس من المنافقين, فقال: أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها؟ هيهات هيهات فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك, فقال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: «احْبِسُوا عَليّ هَؤلاءِ الرّكْبَ» فأتاهم فقال: «قُلْتُمْ كَذَا؟ قُلْتُمْ كَذَا؟» قالوا: يا نبيّ الله إنما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله تبارك وتعالى فيها ما تسمعون.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَلَئِنْ سألْتَهُمْ لَيَقُولُنّ إنّمَا كُنّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قال: بينما النبيّ صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ورَكْبٌ من المنافقين يسيرون بين يديه, فقالوا: يظنّ هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا, فقال: «عليّ بِهَؤلاءِ النّفَرِ» فدعاهم فقال: «قُلْتُمْ كَذَا وكَذَا؟» فحلفوا: ما كنا إلا نخوض ونلعب.

13225ـ حدثنا الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو معشر, عن محمد بن كعب وغيره, قالوا: قال رجل من المنافقين: ما أرى قرّاءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا, وأكذبنا ألسنة, وأجبننا عند اللقاء فرفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته, فقال: يا رسول الله, إنما كنا نخوض ونلعب فقال: أبا للّهِ وآياتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ.... إلى قوله: مُجْرِمِينَ وإن رجليه لتسفعان بالحجارة, وما يلتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم, وهو متعلق بنسعة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

13226ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إنّمَا كُنّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قال: قال رجل من المنافقين: يحدّثنا محمد أن ناقة فلان بوادي كذا وكذا في يوم كذا وكذا, وما يدريه ما الغيب

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, بنحوه.

الآية : 66

القول في تأويل قوله تعالى: {لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مّنْكُمْ نُعَذّبْ طَآئِفَةً بِأَنّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء الذين وصفت لك صفتهم: لا تَعْتَذِرُوا بالباطل, فتقولوا كنا نخوض ونلعب. قَدْ كَفَرْتُمْ يقول: قد جحدتم الحقّ بقولكم ما قلتم في رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به بَعْدَ إيمَانِكُمْ يقول: بعد تصديقكم به وإقراركم به. إنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذّبْ طائِفَةً وذُكر أنه عنى بالطائفة في هذا الموضع رجل واحد.

وكان ابن إسحاق يقول فيما:

13227ـ حدثنا به ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: كان الذي عفي عنه فيما بلغني مخشي بن حمير الأشجعي حليف بني سلمة, وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع.

13228ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا زيد بن حبان, عن موسى بن عبيدة, عن محمد بن كعب: إنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ قال: طائفة: رجل.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه: إن نَعْفُ عن طائفة منكم بإنكاره ما أنكر عليكم من قبل الكفر, نعذّب طائفة بكفره واستهزائه بآيات الله ورسوله. ذكر من قال ذلك:

13229ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, قال: قال بعضهم: كان رجل منهم لم يمالئهم في الحديث, فيسير مجانبا لهم, فنزلت: إنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذّبْ طائِفَةً فسمي طائفة وهو واحد.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إن تتب طائفة منكم فيعفو الله عنه, يعذّب الله طائفة منكم بترك التوبة.

وأما قوله: إنّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ فإن معناه: نعذّب طائفة منهم باكتسابهم الجرم, وهو الكفر بالله, وطعنهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الآية : 67

القول في تأويل قوله تعالى: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: المُنافِقُونَ وَالمُنافِقاتُ وهم الذين يظهرون للمؤمنين الإيمان بألسنتهم ويسرّون الكفر بالله ورسوله بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يقول: هم صنف واحد, وأمرهم واحد, في إعلانهم الإيمان واستبطانهم الكفر, يأمرون من قبل منهم بالمنكر, وهو الكفر بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم, وبما جاء به وتكذيبه. ويَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ يقول: وينهونهم عن الإيمان بالله ورسوله وبما جاءهم به من عند الله.

وقوله: وَيَقْبِضُونَ أيْدِيهُمْ يقول: ويمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله ويكّفونها عن الصدقة, فيمنعون الذين فرض الله لهم في أموالهم ما فرض من الزكاة حقوقهم. كما:

13230ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قوله: وَيَقْبِضُونَ أيْدِيَهُمْ قال: لا يبسطونها بنفقة في حقّ.

حدثنا المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد مثله.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, نحوه.
13231ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَيَقْبِضُونَ أيْدِيَهُمْ: لا يبسطونها بخير.
حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَيَقْبِضُونَ أيْدِيَهُمْ قال: يقبضون أيديهم عن كلّ خير.
وأما قوله: نَسُوا اللّهَ فَنَسِيَهُمْ فإن معناه: تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره, فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته.
وقد دللنا فيما مضى على أن معنى النسيان الترك بشواهده, فأغنى ذلك عن إعادته ههنا.
وكان قتادة يقول في ذلك ما:
13232ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: نَسُوا اللّهَ فَنَسِيَهُمْ نُسُوا من الخير, ولم ينسوا من الشرّ.
قوله: إنّ المُنافِقِينَ هُمُ الفاسِقُونَ يقول: إن الذين يخادعون المؤمنين بإظهارهم لهم بألسنتهم الإيمان بالله, وهم للكفر مستبطنون, هم المفارقون طاعة الله الخارجون عن الإيمان به وبرسوله.

الآية : 68

القول في تأويل قوله تعالى: {وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفّارَ نَارَ جَهَنّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مّقِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره: وَعَدَ اللّهُ المُنافِقِينَ والمُنافِقاتِ والكُفّارَ بالله نارَ جَهنمَ أن يصليهموها جميعا. خالِدِينَ فِيها يقول: ماكثين فيها أبدا, لا يحيون فيها ولا يموتون. هِي حَسْبُهُمْ يقول: هي كافيتهم عقابا وثوابا على كفرهم بالله. ولَعَنَهُمُ اللّهُ يقول: وأبعدهم الله وأسحقهم من رحمته. ولهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ يقول: وللفريقين جميعا, يعني من أهل النفاق والكفر عند الله, عذاب مقيم دائم, لا يزول ولا يبيد.

الآية : 69

القول في تأويل قوله تعالى: {كَالّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدّ مِنكُمْ قُوّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالّذِي خَاضُوَاْ أُوْلَـَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدنْيَا وَالاَخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين قالوا إنما كنا نخوض ونلعب: أبا لله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزءون, كالذين من قبلكم من الأمم الذين فعلوا فعلكم فأهلكهم الله, وعجّل لهم في الدنيا الخزي مع ما أعدّ لهم من العقوبة والنكال في الاَخرة؟ يقول لهم جل ثناؤه: واحذروا أن يحلّ بكم من عقوبة الله مثل الذي حلّ بهم, فإنهم كانوا أشدّ منكم قوّة وبطشا, وأكثر منكم أموالاً وأولادا. فاسْتَمْتَعُوا بخَلاقِهِمْ يقول: فتمتعوا بنصيبهم وحظهم من دنياهم ودينهم, ورضوا بذلك من نصيبهم في الدنيا عوضا من نصيبهم في الاَخرة. وقد

سلكتم أيها المنافقون سبيلهم في الاستمتاع بخلاقكم, يقول: فعلتم بدينكم ودنياكم كما استمتع الأمم الذين كانوا من قبلكم الذين أهلكتهم بخلافهم أمري, بخلاقهم, يقول: كما فعل الذين من قبلكم بنصيبهم من دنياهم ودينهم, وخضتم في الكذب والباطل على الله كالذي خاضوا, يقول: وخضتم أنتم أيها المنافقون كخوض تلك الأمم قبلكم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13233ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني أبو معشر, عن سعيد بن أبي سعيد المقبري, عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, قال: «لَتَأْخُذُنّ كمَا أَخَذَ الأُمَمُ مِنْ قَبْلِكُمْ, ذِرَاعا بِذِرَاعٍ, وَشِبْرا بِشِبْرٍ, وَباعا بِباعٍ حتى لَوْ أنّ أحَدا مِنْ أُولَئِكَ دَخَلَ جَحْرَ ضَبّ لَدَخَلْتُمُوهُ». قال أبو هريرة: اقْرءوا إن شئتم القرآن: كالّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كانُوا أشَدّ مِنْكُمْ قَوّةً وأكْثَرَ أمْوَالاً وأوَلادا فاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كمَا اسْتَمْتَعَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كالّذِي خاضُوا قالوا: يا رسول الله, كما صنعت فارس والروم؟ قال: «فَهَلِ النّاسُ إلاّ هُمْ».

13234ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج عن عمر بن عطاء, عن عكرمة عن ابن عباس, قوله: كالّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ.... الآية. قال: قال ابن عباس: ما أشبه الليلة بالبارحة كالّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم, لا أعلم إلا أنه قال: والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم حُجْرَ ضبّ لدخلتموه

قال ابن جريج: وأخبرنا زياد بن سعد, عن محمد بن زيد بن مهاجر, عن سعيد بن أبي سعيد المقبري, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَالّذِي نَفْسِي بيَدِهِ لَتَتّبِعُنّ سُنَنَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرا بِشِبْرٍ, وَذِرَاعا بذِرَاعٍ, وَباعا بباعٍ حتى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبّ لَدَخَلْتُمُوهُ» قالوا: وَمن هم يا رسول الله, أهل الكتاب؟ قال: «فَمَهُ؟».

13235ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال أبو سعيد الخدريّ إنه قال: فمن.

13236ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الحسن: فاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ قال: بدينهم.

13237ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا ابن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حِذْرَكُمْ أنْ تُحْدِثُوا في الإسْلام حَدَثا» وقد علم أنه سيفعل ذلك أقوام من هذه الأمة, فقال الله في ذلك: فاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كمَا اسْتَمْتَعَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كالّذِي خاضُوا وإنما حسبوا أن لا يقع بهم من الفتنة ما وقع ببني إسرائيل قبلهم, وإن الفتنة عائدة كما بدت.

وأما قوله: أُولَئِكَ حَبِطَتْ أعمالُهُمْ فإن معناه: هؤلاء الذين قالوا إنما كنا نخوض ونلعب, وفعلوا في ذلك فعل الهالكين من الأمم قبلهم, حبطت أعمالهم يقول: ذهبت أعمالهم باطلاً, فلا ثواب لها إلا النار, لأنها كانت فيما يسخط الله ويكرهه. وأُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ يقول: وأولئك هم المغبونون صفقتهم ببيعهم نعيم الآخرة, بخلاقهم من الدنيا اليسير الزهيد.

الآية : 70

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيّنَاتِ فَمَا كَانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـكِن كَانُوَاْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ألم يأت هؤلاء المنافقين الذين يسرّون الكفر بالله, وينهون عن الإيمان به وبرسوله نَبأُ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يقول: خبر الأمم الذين كانوا من قبلهم حين عصوا رسلنا, وخالفوا أمرنا ماذا حلّ بهم من عقوبتنا؟ ثم بين جلّ ثناؤه من أولئك الأمم التي قال لهؤلاء المنافقين ألم يأتهم نبؤهم, فقال: قَوْمُ نُوحٍ ولذلك خفض «القوم» لأنه ترجم بهن عن «الذين», و«الذين» في موضع خفض.

ومعنى الكلام: ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر قوم نوح وصنيعي بهم, إذ كذّبوا رسولي نوحا وخالفوا أمري, ألم أغرقهم بالطوفان؟ وعادٍ يقول: وخبر عاد إذ عصوا رسولي هودا, ألم أهلكهم بريح صرصر عاتية؟ وخبر ثمود إذ عصوا رسولي صالحا, ألم أهلكهم بالرجفة, فأتركهم بأفنيتهم خمودا؟ وخبر قوم إبراهيم إذ عصوه, وردّوا عليه ما جاءهم به من عند الله من الحقّ, ألم أسلبهم النعمة وأهلك ملكهم نمروذ؟ وخبر أصحاب مدين بن إبراهيم, ألم أهلكهم بعذاب يوم الظلة, إذ كذّبوا رسولي شعيبا؟ وخبر المنقلبة بهم أرضهم, فصار أعلاها أسفلها, إذ عصوا رسولي لوطا وكذّبوا ما جاءهم به من عندي من الحقّ. يقول تعالى ذكره: أفأمن هؤلاء المنافقون الذين يستهزءون بالله وبآياته ورسوله, أن يسلك بهم في الانتقام منهم وتعجيل الخزي والنكال لهم في الدنيا سبيل أسلافهم من الأمم, ويحلّ بهم بتكذيبهم رسولي محمدا صلى الله عليه وسلم ما حلّ بهم في تكذيبهم رسلنا, إذ أتتهم بالبينات.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13238ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَالمُؤْتَفِكاتِ قال: قوم لوط انقلبت بهم أرضهم, فجعل عاليها سافلها.

13239ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَالمُؤْتَفِكاتِ قال: هم قوم لوط.

فإن قال قائل: فإن كان عني بالمؤتفكات قوم لوط, فكيف قيل: المؤتفكات, فجمعت ولم توحد؟ قيل: إنها كانت قريات ثلاثا, فجمعت لذلك, ولذلك جمعت بالتاء على قول الله: والمؤتفِكةَ أهْوَى.

فإن قال: وكيف قيل: أتتهم رسلهم بالبينات, وإنما كان المرسل إليهم واحدا؟ قيل: معنى ذلك: أتى كل قرية من المؤتفكات رسول يدعوهم إلى الله, فتكون رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بعثهم إليهم للدعاء إلى الله عن رسالته رسلاً إليهم, كما قالت العرب لقوم نسبوا إلى أبي فديك الخارجي الفديكات وأبو فديك واحد, ولكن أصحابه لما نسبوا إليه وهو رئيسهم دعوا بذلك ونسبوا إلى رئيسهم فكذلك قوله: أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبَيّناتِ. وقد يحتمل أن يقال: معنى ذلك: أتت قوم نوح وعاد وثمود وسائر الأمم الذين ذكرهم الله في هذه الآية رسلهم من الله بالبينات.

وقوله: فَمَا كانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ يقول جلّ ثناؤه: فما أهلك الله هذه الأمم التي ذكر أنه أهلكها إلا بإجرامها وظلمها أنفسها واستحقاقها من الله عظيم العقاب, لا ظلما من الله لهم ولا وضعا منه جلّ ثناؤه عقوبة في غير من هو

لها أهل لأن الله حكيم, لا خلل في تدبيره ولا خطأ في تقديره, ولكن القوم الذين أهلكهم ظلموا أنفسهم بمعصية الله وتكذيبهم رسله حتى أسخطوا عليهم ربهم فحق عليهم كلمة العذاب فعذّبوا.

الآية : 71

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: وأما المؤمنون والمؤمنات, وهم المصدّقون بالله ورسوله وآيات كتابه, فإن صفتهم أن بعضهم أنصار بعض وأعوانهم. يَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ يقول: يأمرون الناس بالإيمان بالله ورسوله, وبما جاء به من عند الله. وَيُقِيمُونَ الصّلاةَ يقول: ويؤدّون الصلاةَ المفروضة. وَيُؤْتُونَ الزّكاةَ يقول: ويعطون الزكاة المفروضة أهلها. وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ فيأتمرون لأمر الله ورسوله وينتهون عما نهيناهم عنه. أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ يقول: هؤلاء الذين هذه صفتهم الذين سيرحمهم الله, فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنته, لا أهل النفاق والتكذيب بالله ورسوله, الناهون عن المعروف, الآمرون بالمنكر, القابضون أيديهم عن أداء حقّ الله من أموالهم. إنّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ يقول: إن الله ذو عزّة في انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيته وكفره به, لا يمنعه من الانتقام منه مانع ولا ينصره منه ناصر, حكيم في انتقامه منهم في جميع أفعاله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13240ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا ابن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, قال: كلّ ما ذكره الله في القرآن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, فالأمر بالمعروف: دعاء من الشرك إلى الإسلام, والنهي عن المنكر: النهي عن عبادة الأوثان والشياطين.

13241ـ قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: يُقِيمُونَ الصّلاةَ قال: الصلوات الخمس.

الآية : 72

القول في تأويل قوله تعالى: {وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيّبَةً فِي جَنّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله وأقرّوا به وبما جاء به من عند الله من الرجال والنساء جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنْهَارُ يقول: بساتين تجري تحت أشجارها الأنهار, خالِدِينَ فِيها يقول: لابثين فيها أبدا مقيمين لا يزول عنهم نعيمها. ولا يبيد. وَمَساكِنَ طَيّبَةً يقول: ومنازل يسكنونها طيبة.

و«طيبها», أنها فيما ذُكر لنا كما:

13242ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا إسحاق بن سليمان, عن الحسن, قال: سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن آية في كتاب الله تبارك وتعالى: وَمَساكِنَ طَيّبَةٍ في جَنّاتٍ عَدْنٍ فقالا: على الخبير سقطت, سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: «قَصْرٌ فِي الجَنّةِ مِنْ لُؤْلُؤٍ, فِيهِ

سَبْعُونَ دَارا مِنْ ياقُوتَةٍ حَمْرَاءَ, في كُلّ دارٍ سَبْعُونَ بَيْنا مِنْ زُمُرّدَةٍ خَضْرَاءَ, في كُلّ بَيْتٍ سَبْعُونَ سَرِيرا».

13243ـ حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري, قال: حدثنا قرة بن حبيب, عن حسن بن فرقد, عن الحسن, عن عمران بن حصين وأبي هريرة, قالا: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: وَمَساكِنَ طَيّبَةً فِي جَنّاتِ عَدْنٍ قال: «قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ, فِي ذلكَ القَصْرِ سَبْعُونَ دَارا مِنْ ياقُوتَةٍ حَمْرَاءَ, فِي كُلّ دَارٍ سَبْعُونَ بَيْتا مِنْ زَبَرْجَدَة خَضْرَاءَ, في كُلّ بَيْتٍ سَبْعُونَ سَرِيرا, على كُلّ سَرِيرٍ فِرَاشا مِنْ كُلّ لَوْنٍ, على كُلّ فِرَاشٍ زَوْجَةٌ مِنَ الحُورِ العِينِ, في كُلّ بَيْتٍ سَبْعُونَ مائِدَةً, على كُلّ مائِدَةٍ سَبْعُونَ لَوْنا مِنْ طَعامٍ, فِي كُلّ بَيْتٍ سَبْعُونَ وَصِيفَةً وَيُعْطَى المُؤْمِنُ مِنَ القُوّةِ في غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ مَا يَأتي على ذلكَ كُلّه أجْمَعُ».

وأما قوله: فِي جَنّاتِ عَدْنٍ فإنه يعني: وهذه المساكن الطيبة التي وصفها جلّ ثناؤه في جنات عدن وفي من صلة مساكن. وقيل: جنات عدن, لأنها بساتين خلد وإقامة لا يظعن منها أحد. وقيل: إنما قيل لها جنات عدن, لأنها دار الله التي استخلصها لنفسه ولمن شاء من خلقه, من قول العرب: عدن فلان بأرض كذا, إذا أقام بها وخلد بها, ومنه المعدن, ويقال: هو في معدن صدق, يعني به أنه في أصل ثابت وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعشى:

وَإنْ تَسْتَضِيفُوا إلى حُكْمِهِنُضَافُوا إلى رَاجِحٍ قَدْ عَدَنْ

وينشد: «قد وزن».

وكالذي قلنا في ذلك, كان ابن عباس وجماعة معه فيما ذكر يتأوّلونه.

13244ـ حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد, قال: حدثنا عتاب بن بشير, عن خصيف, عن عكرمة, عن ابن عباس: جَنّاتِ عَدْنٍ قال: معدن الرجل الذي يكون فيه.

13245ـ حدثنا محمد بن سهل بن عسكر, قال: حدثنا ابن أبي مريم, قال: حدثنا الكندي, سعد عن زيادة بن محمد, عن محمد بن كعب القرظي, عن فضالة بن عبيد, عن أبي الدرداء, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ اللّهَ يَفْتَحُ الذّكْرَ ثَلاثِ ساعاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللّيْلِ: في السّاعَةِ الأُولى مِنْهُنّ يَنْظُرُ فِي الكِتَابِ الّذِي لا يَنْظُرُ فِيهِ أحَدٌ غيرُهُ فَيَمْحُو ما يَشاءُ ويُثْبِتُ, ثُمّ يَنْزِلُ في السّاعَةِ الثّانِيَةِ إلى جَنّةِ عَدْنٍ, وَهيَ دَارُهُ التي لَمْ تَرَها عَيْنٌ ولَمْ تَخْطُرْ على قَلْبِ بَشَرٍ, وَهِيَ مَسْكَنُهُ, وَلا يَسْكُنُ مَعُهُ مِنْ بَنِي آدَمَ غيرَ ثلاثَة: النّبِيّينَ وَالصّدّيقينَ وَالشّهَدَاءِ, ثُمّ يَقُولُ: طُوبَى لِمَنْ دَخَلَكِ» وَذَكَرَ فِي السّاعَةِ الثّالِثَةِ.

حدثني موسى بن سهل, قال: حدثنا آدم, قال: حدثنا الليث بن سعد, قال: حدثنا زيادة بن محمد, عن محمد بن كعب القرظي, عن فضالة بن عبيد, عن أبي الدرداء, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَدْنٌ دارُهُ» يعني دار الله «التي لم ترها عَيْنٌ ولم تَخْطُرْ على قَلْبِ بَشَرٍ, وهي مَسْكَنُهُ, ولا يسكنها معه من بني آدم غَيْرُ ثلاثٍ: النبيين, والصدَّيقين, والشهداء, يقول الله تبارك وتعالى: طُوبَى لمن دَخَلَكَ».

وقال آخرون: معنى جَنّاتِ عَدْنٍ: جنات أعناب كروم. ذكر من قال ذلك:

13246ـ حدثني أحمد بن أبي سريج الرازي, قال: حدثنا زكريا بن عديّ, قال: حدثنا عبيد الله بن عمرو, عن زيد ابن أبي أنيسة, عن يزيد بن أبي

زياد, عن عبد الله بن الحرث, أن ابن عباس سأل كَعَبا عن جنات عدن, فقال: هي الكروم والأعناب بالسريانية.
وقال آخرون: هي اسم لُبْطَنان الجنة ووسطها. ذكر من قال ذلك:
13247ـ حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا بشر بن المفضل, قال: حدثنا شعبة, عن سليمان الأعمش, عن عبد الله بن مرّة, عن مسروق, عن عبد الله, قال: عدن: بُطْنان الجنة.
13248ـ حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى, قالا: حدثنا يحيى بن سعيد, عن سفيان وشعبة, عن الأعمش, عن عبد الله بن مرة, عن مسروق, عن عبد الله, في قوله: جَنّاتِ عَدْنٍ قال: بُطْنان الجنة. قال ابن بشار في حديثه: فقلت: ما بطنانها؟ وقال ابن المثنى, في حديثه: فقلت للأعمش: ما بطنان الجنة؟ قال: وسطها.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن عبد الله بن مرة وأبي الضحى, عن مسروق, عن عبد الله: جَنّاتِ عَدْنٍ قال: بُطْنان الجنة.
قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا شعبة, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق, عن عبد الله, بمثله.
حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عدّي, عن شعبة, عن سليمان, عن عبد الله بن مرة, عن مسروق, عن عبد الله, مثله.
حدثنا أحمد بن أبي سريج, قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن أبي الضحى وعبد الله بن مرّة عنهما جميعا, أو عن أحدهما, عن مسروق, عن عبد الله: جَنّاتِ عَدْنٍ قال: بُطْنان الجنة.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن أبي الضحى, عن مسروق, عن عبد الله بن مسعود في قول الله: جَنّاتِ عَدْنٍ قال: بُطْنان الجنة.
وقال آخرون: عدن: اسم لقصر. ذكر من قال ذلك:
13249ـ حدثني عليّ بن سعيد الكندي, قال: حدثنا عبدة أبو غسان, عن عون بن موسى الكناني, عن الحسن, قال: جنات عدن, وما أدراك ما جنات عدن قصر من ذهب لا يدخله إلا نبيّ أو صدّيق أو شهيد أو حكم عدل. ورفع به صوته.
حدثنا أحمد بن أبي سريج, قال: حدثنا عبد الله بن عاصم, قال: حدثنا عون بن موسى, قال: سمعت الحسن بن أبي الحسن, يقول: جنات عدن, وما أدراك ما جنات عدن قصر من ذهب, لا يدخله إلا نبيّ أو صدّيق, أو شهيد, أو حكم عدل ورفع الحسن به صوته.
13250ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا يزيد, قال: أخبرنا حماد بن سلمة, عن يعلى بن عطاء, عن نافع بن عاصم, عن عبد الله بن عمرو, قال: إن في الجنة قصرا يقال له: عدن, حوله البروج والروح, له خمسون ألف باب على كل باب حِبَرَة, لا يدخله إلا نبيّ أو صدّيق.
حدثنا الحسن بن ناجح, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن يعلى بن عطاء, قال: سمعت يعقوب بن عاصم يحدّث, عن عبد الله بن عمرو: أن في الجنة قصرا يقال له عدن, له خمسة آلاف باب, على كل باب خمسة آلاف حِبَرَة, لا يدخله إلا نبيّ أو صدّيق أو شهيد.
وقيل: هي مدينة الجنة. ذكر من قال ذلك:

13251ـ حُدثت عن عبد الرحمن المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك: في جَنّاتِ عَدْنٍ قال: هي مدينة الجنة, فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى, والنّاس حولهم بعد, والجنات حولها.
وقيل: إنه اسم نهر. ذكر من قال ذلك:
13252ـ حُدثت عن المحاربي, عن واصل بن السائب الرقاشي, عن عطاء, قال: عدن: نهر في الجنة, جناته على حافتيه.
وأما قوله: وَرِضْوانٌ مِنَ اللّهِ أكْبَرُ فإن معناه ورضا الله عنهم أكبر من ذلك كله, وبذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
13253ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن مالك بن أنس, عن زيد بن أسلم, عن عطاء بن يسار, عن أبي سعيد الخدريّ, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ اللّهَ يَقُولُ لأَهْلِ الجَنّةِ: يا أهْلَ الجَنّةِ فَيَقُولُونَ: لَبّيْكَ رَبّنا وَسَعْدَيْكَ فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولونَ: ومَا لَنا لا نَرْضَى وَقَدْ أعْطَيْتَنَا ما لَمْ تُعْطِ أحَدا مِنْ خَلْقِكَ فَيَقول أنا أعْطِيكُمْ أفْضَلَ مِنْ ذلكَ قالُوا: يا رَبّ وأيّ شَيْ أفْضَلُ مِنْ ذلكَ؟ قال: أُحِلّ عَلَيْكُمْ رِضْوَاني فَلا أسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أبَدا».
13254ـ حدثنا ابن حميد, قال: ثني يعقوب, عن حفص, عن شمر, قال: يجيء القرآن يوم القيامة في صورة الرجل الشاحب إلى الرجل, حين ينشقّ عنه قبره, فيقول: أبشر بكرامة الله, أبشر برضوان الله فيقول مثلك من يبشر بالخير ومن أنت؟ فيقول: أنا القرآن الذي كنت أسْهِر ليلك, وأظمىء نهارك. فيحمله على رقبته, حتى يوافى به ربه, فيمثل بين يديه, فيقول: يا ربّ عبدك هذا اجزه عني خيرا, فقد كنت أسهر ليله, وأظمىء نهاره, وآمره فيطيعني, وأنهاه فيطيعني فيقول الربّ تبارك وتعالى: فله حلة الكرامة فيقول: أي ربّ زده, فإنه أهل ذلك فيقول: فله رضواني قال: ورضوان من الله أكبر.
وابتدىء الخبر عن رضوان الله للمؤمنين والمؤمنات أنه أكبر من كلّ ما ذكر جلّ ثناؤه, فرفع, وإن كان الرضوان فيما قد وعدهم, ولم يعطف به في الإعراب على الجنات والمساكن الطيبة, ليعلم بذلك تفضيل الله رضوانه عن المؤمنين على سائر ما قسم لهم من فضله وأعطاهم من كرامته, نظير قول القائل في الكلام الآخر أعطيتك ووصلتك بكذا, وأكرمتك, ورضاي بعد عنك أفضل ذلك.
ذلكَ هُوَ الفَوُزُ العَظِيمُ هذه الأشياء التي وعدت المؤمنين والمؤمنات, هو الفوز العظيم, يقول: هو الظفر العظيم والنجاء الجسيم, لأنهم ظفروا بكرامة الأبد, ونجوا من الهوان في السفر, فهو الفوز العظيم الذي لا شيء أعظم منه.

الآية : 73

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا النّبِيّ جَاهِدِ الْكُفّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }.
يقول تعالى ذكره: يا أيها النبيّ جاهد الكفار بالسيف والسلاح والمنافقين.
واختلف أهل التأويل في صفة الجهاد الذي أمر الله نبيه به في المنافقين, فقال بعضهم: أمره بجاهدهم باليد واللسان, وبكل ما أطاق جهادهم به. ذكر من قال ذلك:

13255ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حميد بن عبد الرحمن ويحيى بن آدم, عن حسن بن صالح, عن عليّ بن الأقمر, عن عمرو بن جندب, عن ابن مسعود, في قوله تعالى: جاهِدِ الكُفّارَ وَالمُنَافِقِينَ قال: بيده, فإن لم يستطع فبلسانه, فإن لم يستطع فبقلبه, فإن لم يستطع فليكفهرّ في وجهه.

وقال آخرون: بل أمره بجهادهم باللسان. ذكر من قال ذلك:

13256ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله تعالى: يا أيّها النّبي جاهِدِ الكُفّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان, وأذهب الرفق عنهم.

13257ـ حدثنا القاسم, قال: ثني الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: جاهِدِ الكُفّارَ وَالمُنَافِقِينَ قال: الكفار بالقتال, والمنافقين: أن تغلظ عليهم بالكلام.

13258ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: جاهِدِ الكُفّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ يقول: جاهد الكفار بالسيف, وأغلظ على المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم.

وقال آخرون: بل أمره بإقامة الحدود عليهم. ذكر من قال ذلك:

13259ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الحسن: جاهِدِ الكُفّارَ وَالمُنَافِقِينَ قال: جاهد الكفار بالسيف, والمنافقين بالحدود, أقم عليهم حدود الله.

13260ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها النّبِي جاهِدِ الكُفّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ قال: أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجاهد الكفار بالسيف, ويغلظ على المنافقين في الحدود.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب ما قال ابن مسعود, من أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم من جهاد المنافقين, بنحو الذي أمره به من جهاد المشركين.

فإن قال قائل: فكيف تركهم صلى الله عليه وسلم مقيمين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم؟ قيل: إن الله تعالى ذكره إنما أمر بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر, ثم أقام على إظهاره ما أظهر من ذلك. وأما من إذا اطلع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر وأخذ بها, أنكرها ورجع عنها وقال: إني مسلم, فإن حكم الله في كل من أظهر الإسلام بلسانه, أن يحقن بذلك له دمه وماله وإن كان معتقدا غير ذلك, وتوكل هو جلّ ثناؤه بسرائرهم, ولم يجعل للخلق البحث عن السرائر فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم مع علمه بهم وإطلاع الله إياه على ضمائرهم واعتقاد صدورهم, كان يقرّهم بين أظهر الصحابة, ولا يسلك بجهادهم مسلك جهاد من قد ناصبه الحرب على الشرك بالله لأن أحدهم كان إذا اطلع عليه أنه قد قال قولاً كفر فيه بالله ثم أخذ به أنكره, وأظهر الإسلام بلسانه, فلم يكن صلى الله عليه وسلم يأخذه إلا بما أظهر له من قوله عند حضوره إياه وعزمه على إمضاء الحكم فيه, دون ما سلف من قول كان نطق به قبل ذلك, ودون اعتقاد ضميره الذي لم يبح الله لأحد الأخذ به في الحكم وتولّى الأخذ به هو دون خلقه.

وقوله: وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ يقول تعالى ذكره: واشدد عليهم بالجهاد والقتال والإرهاب. وقوله: ومَأْواهُمْ جَهَنّمُ يقول: ومساكنهم جهنم وهي مثواهم ومأواهم. وَبِئْسَ المَصِيرُ يقول: وبئس المكان الذي يصار إليه جهنم.

الآية : 74

القول في تأويل قوله تعالى: {يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْراً لّهُمْ وَإِن يَتَوَلّوْا يُعَذّبْهُمُ اللّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأرْضِ مِن وَلِيّ وَلاَ نَصِيرٍ }.

اختلف أهل التأويل في الذي نزلت فيه هذه الآية, والقول الذي كان قاله, الذي أخبر الله عنه أنه يخلف بالله ما قاله. فقال بعضهم: الذي نزلت فيه هذه الآية: الجُلاس بن سويد بن الصامت.

وكان القول الذي قاله ما:

13261ـ حدثنا به ابن وكيع, قال: حدثنا معاوية, عن هشام بن عروة, عن أبيه: يَحْلِفُونَ باللّهِ ما قَالُوا وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ قال: نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت, قال: إن كان ما جاء به محمد حقّا, لنحن أشرّ من الحمير فقال له ابن امرأته: والله يا عدوّ الله, لأخبرنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت, فإني إن لا أفعل أخاف أن تصيبني قارعة وأؤاخذ بخطيئتك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الجلاس, فقال: «يا جلاس أقلت كذا وكذا؟» فحلف ما قال, فأنزل الله تبارك وتعالى: يَحْلِفُونَ باللّهِ ما قَالُوا وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بَعْدَ إسْلاَمِهِمْ وهَمّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ومَا نَقَمُوا إلا أنْ أغْناهُمُ اللّهُ ورَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا أبو معاوية الضرير, عن هشام بن عروة, عن أبيه, قال: نزلت هذه الآية: يَحْلِفُونَ باللّهِ ما قَالُوا وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بَعْدَ إسْلاَمِهِمْ في الجلاس بن سويد بن الصامت, أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء, فقال الجلاس: إن كان ما جاء به محمد حقّا, لنحن أشرّ من حميرنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب: أما والله يا عدوّ الله لأخبرنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم, وخشيت أن ينزل في القرآن أو تصيبني قارعة أو أن أخلط, قلت: يا رسول الله أقبلت أنا والجلاس من قباء, فقال كذا وكذا, ولولا مخافة أن أؤاخذ بخطيئة أو تصيبني قارعة ما أخبرتك قال: فدعا الجلاس, فقال له: «يا جلاسُ أقُلْت الّذِي قالَ مُصْعَبُ؟» قال: فحلف, فأنزل الله تبارك وتعالى: يَحْلِفُونَ باللّهِ ما قَالُوا وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بَعْدَ إسْلاَمِهِمْ... الآية.

13262ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: كان الذي قال تلك المقالة فيما بلغني الجلاس بن سويد بن الصامت, فرفعها عنه رجل كان في حجره يقال له عمير بن سعيد, فأنكر, فحلف بالله ما قالها فلما نزل فيه القرآن تاب ونزع وحسنت توبته فيما بلغني.

13263ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد كَلِمَةَ الكُفْرِ قال أحدهم: لئن كان ما يقول محمد حقّا لنحن شرّ من الحمير فقال له رجل من المؤمنين: إن ما قال لحقّ ولأنت شرّ من حمار قال: فهمّ المنافقون بقتله, فذلك قوله: وهَمّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, بنحوه.
قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
13264ـ حدثني أيوب بن إسحاق بن إبراهيم, قال: حدثنا عبد الله بن رجاء, قال: حدثنا إسرائيل, عن سماك, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظلّ شجرة, فقال: «إنّهُ سَيَأْتِيكُمْ إنْسانٌ فَيَنْظُرُ إلَيْكُمْ بِعَيْنَي شَيْطَانٍ, فإذا جاءَ فَلا تُكَلِّمُوهُ فلم يلبث أن طلع رجل أزرق, فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: «عَلاَمَ تَشْتُمُني أنْتَ وأصْحَابُكَ؟» فانطلق الرجل فجاء بأصحابه, فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم, فأنزل الله: يَحْلِفُونَ باللّهِ ما قَالُوا ثم نعتهم جميعا, إلى آخر الآية.
وقال آخرون: بل نزلت في عبد الله بن أُبيّ ابن سلولَ, قالوا: والكلمة التي قالها ما:
13265ـ حدثنا به بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يَحْلِفُونَ باللّهِ ما قَالُوا... إلى قوله: مِنْ وَلِيّ وَلا نَصِيرٍ قال: ذكر لنا أن رجلين اقتتلا, أحدهما من جهينة والآخر من غفار, وكانت جهينة حلفاء الأنصار. وظهر الغفاريّ على الجهني, فقال عبد الله بن أبيّ للأوس: انصروا أخاكم, فوالله ما مَثَلُنا ومَثَلُ محمد إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك وقال: لَئِنْ رَجعْنَا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الأعَزّ مِنْها الأذَلّ, فسعى بها رجل من المسلمين إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم. فأرسل إليه فسأله, فجعل يحلف بالله ما قاله, فأنزل الله تبارك وتعالى: يَحْلِفُونَ باللّهِ ما قَالُوا وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ.
13266ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: يَحْلِفُونَ باللّهِ ما قَالُوا وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ قال: نزلت في عبد الله بن أبيّ ابن سلولَ.
قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى أخبر عن المنافقين أنهم يحلفون بالله كذبا على كلمة كفر تكلموا بها أنهم لم يقولوها. وجائز أن يكون ذلك القول ما رُوي عن عروة أن الجلاس قاله, وجائز أن يكون قائله عبد الله بن أبي ابن سلول. والقول ما ذكره قتادة عنه أنه قال ولا علم لنا بأن ذلك من أيّ, إذ كان لا خبر بأحدهما يوجب الحجة ويتوصل به إلى يقين العلم به, وليس مما يُدرك علمه بفطرة العقل, فالصواب أن يقال فيه كما قال الله جلّ ثناؤه: يَحْلِفُونَ باللّهِ ما قَالُوا وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بَعْدَ إسْلاَمِهِمْ.
وأما قوله: وَهَمّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا فإن أهل التأويل اختلفوا في الذي كان همّ بذلك وما الشيء الذي كان همّ به. فقال بعضهم: هو رجل من المنافقين, وكان الذي همّ به قَتْلَ ابن امرأته الذي سمع منه ما قال وخشي أن يفشيه عليه. ذكر من قال ذلك:
13267ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: همّ المنافق بقتله, يعني قتل المؤمن الذي قال له أنت شرّ من الحمار. فذلك قوله: وهَمّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, عن عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد به
وقال آخرون: كان الذي همّ رجلاً من قريش, والذي همّ به قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:
13268ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا شبل, عن جابر, عن مجاهد, في قوله: وَهَمّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا قال: رجل من قريش همّ بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له الأسود.
وقال آخرون: الذي همّ عبد الله بن أبيّ ابن سلولَ, وكان همه الذي لم ينله قوله: لَئِنْ رَجعْنَا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الأعَزّ مِنْها الأذَلّ.
وقوله: ومَا نَقَمُوا إلاّ أنْ أغْناهُمُ اللّهُ ورَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ذكر لنا أن المنافق الذي ذكر الله عنه أنه قال كلمة الكفر كان فقيرا, فأغناه الله بأن قتل له مولى, فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ديته. فلما قال ما قال, قال الله تعالى: ومَا نَقَمُوا يقول: ما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا, إلاّ أنْ أغْناهُمُ اللّهُ ورَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ. ذكر من قال ذلك:
13269ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو معاوية, عن هشام بن عروة, عن أبيه: ومَا نَقَمُوا إلا أنْ أغْناهُمُ اللّهُ ورَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ وكان الجلاس قتل له مولى له, فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته, فاستغنى, فذلك قوله: ومَا نَقَمُوا إلا أنْ أغْناهُمُ اللّهُ ورَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ.
13270ـ قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو, عن عكرمة, قال: قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر ألفا في لبني عيينة, عن عمرو, عن عكرمة, قال: قضى النبيّ صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر مولى لبني عديّ بن كعب, وفيه أنزلت هذه الآية: ومَا نَقَمُوا إلاّ أنْ أغْناهُمُ اللّهُ ورَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ.
13271ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: ومَا نَقَمُوا إلاّ أنْ أغْناهُمُ اللّهُ ورَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ قال: كانت لعبد الله بن أبي دية, فأخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له.
13272ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبير, عن سفيان, قال: حدثنا عمرو, قال: سمعت عكرمة: أن مولى لبني عديّ بن كعب قتل رجلاً من الأنصار, فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر ألفا, وفيه أنزلت: ومَا نَقَمُوا إلا أنْ أغْناهُمُ اللّهُ ورَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ قال عمرو: لم أسمع هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من عكرمة, يعني الدية اثني عشر ألفا.
13273ـ حدثنا صالح بن مسمار, قال: حدثنا محمد بن سنان العوفي, قال: حدثنا محمد بن مسلم الطائفي, عن عمرو بن دينار, عن عكرمة, مولى ابن عباس, عن ابن عباس: أن النبيّ صلى الله عليه وسلم جعل الدية اثني عشر ألفا, فذلك قوله: ومَا نَقَمُوا إلا أنْ أغْناهُمُ اللّهُ ورَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ قال: بأخذ الدية.
وأما قوله: فإنْ يَتُوبُوا يَكَ خَيْرا لَهُمْ يقول تعالى ذكره: فإن يتب هؤلاء القائلون كلمة الكفر من قيلهم الذي قالوه فرجعوا عنه, يك رجوعهم وتوبتهم من ذلك خيرا لهم من النفاق. وإنْ يَتَوَلّوْا يقول: وإن يدبروا عن التوبة فيأبوها, ويصرّوا على كفرهم يُعَذّبْهُمُ اللّهُ عَذَابا أليما يقول: يعذّبهم

عذابا موجعا في الدنيا, إما بالقتل, وإما بعاجل خزي لهم فيها, ويعذّبهم في الآخرة بالنار.
وقوله: ومَا لَهُمْ فِي الأرْضِ من وَلِيّ وَلا نَصِيرٍ يقول: وما لهؤلاء المنافقين إن عذّبهم الله في عاجل الدنيا, من وليّ يواليه على منعه من عقاب الله, ولا نصير ينصره من الله, فينقذه من عقابه وقد كانوا أهل عزّ ومنعة بعشائرهم وقومهم يمتنعون بهم ممن أرادهم بسوء, فأخبر جلّ ثناؤه أن الذين كانوا يمنعونهم ممن أرادهم بسوء من عشائرهم وحلفائهم, لا يمنعونهم من الله ولا ينصرونهم منه إذ احتاجوا إلى نصرهم. وذُكر أن الذي نزلت فيه هذه الآية تاب مما كان عليه من النفاق. ذكر من قال ذلك:
13274ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو معاوية, عن هشام بن عروة, عن أبيه: فإنْ يَتُوبُوا يكُ خَيْرا لَهُمْ قال: قال الجلاس: قد استثنى الله لي التوبة, فأنا أتوب فقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم.
حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا أبو معاوية, عن هشام بن عروة, عن أبيه: فإنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرا لَهُمْ... الآية, فقال الجلاس: يا رسول الله إني أرى الله قد استثنى لي التوبة, فأنا أتوب فتاب, فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منه.
الآية : 75-77
القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصّدّقَنّ وَلَنَكُونَنّ مِنَ الصّالِحِينَ * فَلَمّآ آتَاهُمْ مّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلّواْ وّهُمْ مّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىَ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَآ أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ }.
يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم مَنْ عَاهَدَ اللّهَ يقوله: أعطى الله عهدا, لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ يقول: لئن أعطانا الله من فضله, ورزقنا مالاً, ووسع علينا من عنده لَنَصّدّقَنّ يقول: لنخرجنّ الصدقة من ذلك المال الذي رزقنا ربنا, وَلَنَكُونَنّ مِنَ الصّالِحِينَ يقول: ولنعملنّ فيها بعمل أهل الصلاح بأموالهم من صلة الرحم به وإنفاقه في سبيل الله. يقول الله تبارك حق الله. وَتَوَلّوْا يقول: وأدبروا عن عهدهم الذي عاهدوه الله, وهُمْ مُعْرِضُونَ عنه. فَأعْقَبَهُمُ الله نِفاقا فِي قُلُوبِهِمْ ببخلهم بحقّ الله الذي فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله, وإخلافهم الوعد الذي وعدوا الله, ونقضهم عهده في قلوبهم إلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أخْلَفُوا الله ما وَعَدُوهُ من الصدقة والنفقة في سبيله, وبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ في قيلهم, وحرّمهم التوبة منه لأنه جلّ ثناؤه اشترط في نفاقهم أنه أعقبهموه إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ وذلك يوم مماتهم وخروجهم من الدنيا.
واختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الآية, فقال بعضهم: عني بها رجل يقال له ثعلبة بن حاطب من الأنصار. ذكر من قال ذلك:
13275ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ... الآية, وذلك أن رجلاً يقال له ثعلبة بن حاطب من الأنصار, أتى مجلسا فأشهدهم, فقال: لئن آتاني الله من فضله, آتيت منه كلّ ذي حقّ حقه, وتصدّقت منه, ووصلت منه القرابة فابتلاه الله فآتاه من فضله, فأخلف الله ما وعده, وأغب الله بما أخلف ما وعده, فقصّ الله شأنه في القرآن: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللّهَ... الآية, إلى قوله: يَكْذِبُونَ.

13276ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا هشام بن عمار, قال: حدثنا محمد بن شعيب, قال: حدثنا معاذ بن رفاعة السّلَمي, عن أبي عبد الملك عليّ بن يزيد الإلهاني, أنه أخبره عن القاسم بن عبد الرحمن, أنه أخبره عن أبي أمامة الباهلي, عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري, أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ادع الله أن يرزقني مالاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَيحَكَ يا ثَعْلَبَة, قَلِيلٌ تُؤَدّى شُكْرَهُ, خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لا تُطِيقُه» قال: ثم قال مرّة أخرى, فقال: «أما تَرْضَى أنْ تَكُونَ مِثْلَ نَبِيّ اللّهِ؟ فَوَالّذِي نَفُسِي بِيَدِهِ لَوْ شِئْتُ أنْ تَسِيرَ مَعي الجِبَالُ ذَهَبا وَفِضّةً لَسارَتْ» قال: والذي بعثك بالحقّ, لئن دعوت الله فرزقني مالاً لأعطينّ كل ذي حقّ حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللّهُمّ ارْزُقْ ثَعْلَبَةَ مَالاً». قال: فاتخذ غنما, فنمت كما ينمو الدود, فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها, فنزل واديا من أدويتها, حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة, ويترك ما سواهما. ثم نمت وكثرت, فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة, وهي تنمو كما ينمو الدود, حتى ترك الجمعة. فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة يسألهم عن الأخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما فَعَلَ ثَعْلَبَةُ؟» فقالوا: يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة, فأخبروه بأمره فقال: «يا وَيْحَ ثَعْلَبَةُ يا وَيْحَ ثَعْلَبَةُ يا وَيْحَ ثَعْلَبَةُ» قال: وأنزل الله: خُذْ مِنْ أمْوَالِهِمْ صَدَقَةً... الآية. ونزلت عليه فرائض الصدقة, فبعث رسول الله صلى اللَه عليه وسلم رجلين على الصدقة, رجلاً من جهينة, ورجلاً من سليم, وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين, وقال لهما: «مُرّا بثعلبة, وبفلان رجل من بني سليم فخُذَا صَدَقَاتِهمَا» فخرجا حتى أتيا ثعلبة, فسألاه الصدقة, وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: ما هذه إلا جزية, ما هذه إلا أخت الجزية, ما أدري ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم عودوا إليّ فانطلقا, وسمع بهما السلميّ, فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها, فلما رأوها, قالوا: ما يجب عليك هذا, وما تريد أن نأخذ هذا منك. قال: بلى ول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: ما هذه إلا جزية, ما هذه إلا أخت الجزية, ما أدري ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم عودوا إليّ فانطلقا, وسمع بهما السلميّ, فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها, فلما رأوها, قالوا: ما يجب عليك هذا, وما تريد أن نأخذ هذا منك. قال: بلى أن يكلمهما, ودعا للسلميّ بالبركة, فأخبراه بالذي صنع ثعلبة, والذي صنع السلميّ, فأنزل الله تبارك وتعالى فيه: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لنصّدّقَنّ وَلَنَكُونَنّ مِنَ الصّالِحِينَ... إلى قوله: وبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة, فسمع ذلك, فخرج حتى أتاه, فقال: ويحك يا ثعلبة, قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم, فسأله أن يقبل منه صدقته. فقال: «إنّ اللّهَ مَنَعَنِي أنْ أقْبَلَ مِنْكَ صَدَقَتَكَ» فجعل يحثي على رأسه التراب, فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَذَا عَمَلُكَ, قَدْ أمَرْتُكَ فَلَمْ تُطِعْنِي». فلما أبى أن يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم, رجع إلى منزله, وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئا. ثم أتى أبا بكر حين استخلف, فقال: قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الأنصار, فاقبل صدقتي فقال أبو بكر: لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقبلها؟ فقُبض أبو بكر ولم

يقبضها. فلما ولي عمر أتاه فقال: يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فقال: لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم, ولا أبو بكر, وأنا لا أقبلها منك فقُبض ولم يقبلها. ثم ولي عثمان رحمة الله عليه, فأتاه فسأله أن يقبل صدقته, فقال: لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم, ولا أبو بكر ولا عمر رضوان الله عليهما وأنا لا أقبلها منك فلم يقبلها منه, وهَلك ثعلبة في خلافة عثمان رحمة الله عليه.

13277ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ... الآية: ذُكر لنا أن رجلاً من الأنصار أتى على مجلس من الأنصار, فقال لئن آتاه مالاً, ليؤدّينّ إلى كلّ ذي حقّ حقه فآتاه الله مالاً, فصنع فيه ما تسمعون. قال: فَمَا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ... إلى قوله: وبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ذُكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم حدّث أن موسى عليه الصلاة والسلام لمّا جاء بالتوراة إلى بني إسرائيل قالت بنو إسرائيل: إن التوراة كثيرة, وإنا لا نفرغ لها, فسل لنا ربك جماعا من الأمر نحافظ عليه ونتفرّغ فيه لمعايشنا قال: يا قوم مهلاً مهلاً, هذا كتاب الله, ونور الله, وعصمة الله. قال: فأعادوا عليه, فأعاد عليهم, قالها ثلاثا. قال: فأوحى الله إلى موسى: ما يقول عبادي؟ قال: يا ربّ يقولون: كيت وكيت. قال: فإني آمرهم بثلاث إن حافظوا عليهنّ دخلوا بهنّ الجنة: أن ينتهوا إلى قسمة الميراث فلا يظلموا فيها, ولا يدخلوا أبصارهم البيوت حتى يؤذن لهم, وأن لا يطعموا طعاما حتى يتوضؤوا وضوء الصلاة. قال: فرجع بهنّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه, ففرحوا ورأوا أنهم سيقومون بهنّ, قال: فوالله ما لبث القوم إلا قليلاً حتى جنحوا, وانقطع بهم فلما حدّث نبيّ الله بهذا الحديث عن بني إسرائيل, قال: «تكَفّلُوا لي بستّ أتكفل لكم بالجنة» قالوا: ما هنّ يا رسول الله؟ قال: «إذا حدثتم فلا تكذبوا, وإذا وعدتم فلا تخلفوا, وإذا اؤتمنتم فلا تخونوا, وكفوا أبصاركم وأيديكم وفروجكم وأبصاركم عن الخيانة وأيديكم عن السرقة وفروجكم عن الزنا».

13278ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الحسن: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «ثَلاثٌ مَنْ كُنّ فِيهِ صَارَ مُنافِقا وإنْ صَامَ وصَلّى وَزَعَمَ أنّهُ مُسْلِمٌ: إذَا حَدّثَ كَذَبَ, وإذَا اؤتُمِنَ خانَ, وَإذَا وَعَدَ أخْلَفَ».

وقال آخرون: بل المعنيّ بذلك: رجلان: أحدهما ثعلبة, والآخر معتب بن قشير. ذكر من قال ذلك:

13279ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن عمرو بن عبيد, عن الحسن: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ... إلى الآخر, وكان الذي عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب, ومعتب بن قشير, هما من بني عمرو بن عوف.

13280ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ قال: رجلان خرجا على ملإ قعود, فقالا: والله لئن رزقنا الله لنصدّقَنّ فلما رزقهم الله بخلوا به.

13281ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ رجلان خرجا على ملإ قعود, فقالا: والله لئن رزقنا الله لنصدّقنّ فلما رزقهم بخلوا به,

فأعقبهم نفاقا في قلوبهم بما أخلفوا الله ما وعدوه حين قالوا: لنصدّقنّ فلم يفعلوا.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن نجيح, عن مجاهد نحوه.

13282ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ... الآية, قال: هؤلاء صنف من المنافقين, فلما آتاهم ذلك بخلوا به فلما بخلوا بذلك أعقبهم بذلك نفاقا إلى يوم يلقونه, ليس لهم منه توبة ولا مغفرة ولا عفو, كما أصاب إبليس حين منعه التوبة.

وقال أبو جعفر: في هذه الآية الإبانة من الله جلّ ثناؤه عن علامة أهل النفاق, أعني في قوله: فأعْقَبَهُم نِفَاقا في قُلُوبِهِمْ إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أخْلَفُوا الله ما وَعَدُوهُ وبِما كانُوا يَكْذِبُونَ.

وبنحو هذا القول كان يقول جماعة من الصحابة والتابعين, ووردت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

13283ـ حدثنا أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن عمارة, عن عبد الرحمن بن يزيد, قال: قال عبد الله: اعتبروا المنافق بثلاث: إذ حدّث كذب, وإذا وعد أخلف, وإذا عاهد غدر. وأنزل الله تصديق ذلك في كتابه: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ... إلى قوله: يَكْذِبُونَ.

13284ـ حدثني محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن السماك, عن صبيح بن عبد الله بن عميرة, عن عبد الله بن عمرو, قال: ثلاث من كنّ فيه كان منافقا: إذا حدّث كذب, وإذا وعد أخلف, وإذا اؤتمن خان. قال: وتلا هذه الآية: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصدّقَنّ وَلَنَكُونَنّ مِنَ الصّالِحِينَ... إلى آخر الآية.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن سماك, قال: سمعت صبيح بن عبد الله القيسي يقول: سألت عبد الله بن عمرو, عن المنافق, فذكر نحوه.

13285ـ حدثني محمد بن معمر, قال: حدثنا أبو هشام المخزومي, قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد, قال: حدثنا عثمان بن حكيم, قال: سمعت محمد بن كعب القُرظَيّ, يقول: كنت أسمع أن المنافق يعرف بثلاث: بالكذب, والإخلاف, والخيانة. فالتمستها في كتاب الله زمانا لا أجدها. ثم وجدتها في آيتين من كتاب الله, قوله: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللّهَ... حتى بلغ: وبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ, وقوله: إنّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السّمَوَاتِ والأرْضِ هذه الآية.

13286ـ حدثني القاسم بن بشر بن معروف, قال: حدثنا أسامة, قال: حدثنا محمد المخرمي, قال: سمعت الحسن يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثَلاثٌ مَنْ كُنّ فِيهِ فَهُوَ مُنافِقٌ وَإنْ صَلّى وَصَامَ وَزَعَمَ أنّهُ مُسْلِمٌ: إذَا حَدّثَ كَذَبَ, وإذَا وَعَدَ أخْلَفَ, وإذَا اؤتُمِنَ خانَ» فقلت للحسن: يا أبا سعيد لئن كان لرجل عليّ دين فلقيني, فتقاضاني وليس عندي, وخفت أن يحبسني ويهلكني, فوعدته أن أقضيه رأس الهلال فلم أفعل, أمنافق أنا؟ قال: هكذا جاء الحديث. ثم حدّث عن عبد الله بن عمرو أن أباه لما حضره الموت, قال: زوّجوا فلانا فإني وعدته أن أزوجه, لا ألقى الله بثلث النفاق قال: قلت: يا أبا سعيد ويكون ثلث الرجل منافقا وثلثاه مؤمن؟ قال: هكذا

جاء الحديث. قال: فحججت فلقيت عطاء بن أبي رباح, فأخبرته الحديث الذي سمعته من الحسن, وبالذي قلت له وقال لي. فقال: أعجزت أن تقول له: أخبرني عن إخوة يوسف عليه السلام, ألم يَعِدوا أباهم فأخلفوه وحدّثوه فكذَبوه وأتمنهم فخانوه, أفمنافقين كانوا؟ ألم يكونوا أنبياء أبوهم نبيّ وجدّهم نبيّ؟ قال: فقلت لعطاء: يا أبا محمد حدثني بأصل النفاق, وبأصل هذا الحديث فقال: حدثني جابر بن عبد الله: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قال هذا الحديث في المنافقين خاصة الذين حدّثوا النبيّ فكذبوه, وأتمنهم على سرّه فخانوه, ووعدوه أن يخرجوه معه في الغزو فأخلفوه.
قال: وخرج أبو سفيان من مكة, فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم, فقال: إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا, فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «إنّ أبا سُفْيانَ فِي مَكانِ كَذَا وكَذَا, فاخْرُجُوا إلَيْهِ وَاكْتُمُوا» قال: فكتب رجل من المنافقين إليه أن محمدا يريديكم, فخذوا حذركم, فأنزل الله: لاَ تَخُونُوا اللّهَ والرّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ وأنزل في المنافقين: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَ وَاكْتُمُوا» قال: فكتب رجل من المنافقين إليه أن محمدا يريديكم, فخذوا حذركم, فأنزل الله: لاَ تَخُونُوا اللّهَ والرّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ وأنزل في المنافقين: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَسعيد, إن أخاك عطاء يقرئك السلام فأخبرته بالحديث الذي حدّث وما قال لي. فأخذ الحسن بيدي فأمالها وقال: يا أهل العراق أعجزتم أن تكونوا مثل هذا؟ سمع مني حديثا فلم يقبله حتى استنبط أصله, صدق عطاء هكذا الحديث, وهذا في المنافقين خلصة.
13287ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا يعقوب, عن الحسن, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثَلاثٌ مَنْ كُنّ فِيهِ وَإنْ صَلّى وَصَامَ وَزَعَمَ أنّهُ مُسْلِمٌ فَهُوَ مُنافِقٌ». فقيل له: ما هي يا رسول الله؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «إذَا حَدّثَ كَذَبَ, وَإذَا وَعَدَ أخْلَفَ, وَإذَا اؤتُمِنَ خَانَ».
13288ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: حدثنا ميسرة, عن الأوزاعي عن هارون بن رباب, عن عبد الله بن عمرو بن وائل, أنه لما حضرته الوفاة, قال: إن فلانا خطب إليّ ابنتي, وإني كنت قلت له فيها قولاً شبيها بالعِدة, والله لا ألقى الله بثلث النفاق, وأشهدكم أني قد زوّجته
وقال قوم: كان العهد الذي عاهد الله هؤلاء المنافقون شيئا نووه في أنفسهم ولم يتكلموا به. ذكر من قال ذلك:
13289ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: سمعت معتمر بن سليمان التيمي يقول: ركبت البحر فأصابنا ريح شديدة, فنذر قوم منا نذورا, ونويت أنا لم أتكلم به. فلما قدمت البصرة, سألت أبي سليمان, فقال لي يا بنيّ: فُهْ به.
13290ـ قال معتمر, وثنا كهمس عن سعيد بن ثابت, قال: قوله: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللّهَ... الآية, قال: إنما هو شيء نووه في أنفسهم ولم يتكلموا به, ألم تسمع إلى قوله: أَلَمْ يَعْلَمُوا أنّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرّهُمْ وَنجْواهُمْ وأنّ اللّهَ عَلاّمُ الغُيُوبِ؟.
الآية : 78، 79

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنّ اللّهَ عَلاّمُ الْغُيُوبِ * الّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطّوّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصّدَقَاتِ وَالّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يكفرون بالله ورسوله سرّا, ويظهرون الإيمان بهما لأهل الإيمان بهما جهرا, أن الله يعلم سرّهم الذي يسرونه في أنفسهم من الكفر به وبرسوله, وَنَجْوَاهُمْ يقول: ونجواهم إذا تناجوا بينهم بالطعن في الإسلام وأهله وذكرهم بغير ما ينبغي أن يذكروا به, فيحذروا من الله عقوبته أن يحلها بهم وسطوته أن يوقعها بهم على كفرهم بالله وبرسوله وعيبهم للإسلام وأهله, فنزعوا عن ذلك ويتوبوا منه. وأنّ اللّهَ عَلاّمُ الغُيُوبِ يقول: ألم يعلموا أن الله علام ما غانهم بالطعن في الإسلام وأهله وذكرهم بغير ما ينبغي أن يذكروا به, فيحذروا من الله عقوبته أن يحلها بهم وسطوته أن يوقعها بهم على كفرهم بالله وبرسوله وعيبهم للإسلام وأهله, فنزعوا عن ذلك ويتوبوا منه. وأنّ اللّهَ عَلاّمُ الغُيُوبِ يقول: ألم يعلموا أن الله علام ما غاب يقول تعالى ذكره: الذين يلمزون المطوّعين في الصدقة على أهل المسكنة والحاجة, بما لم يوجبه الله عليهم في أموالهم, ويطعنون فيها عليهم بقولهم: إنما تصدّقوا به رياء وسمعة, ولم يريدوا وجه الله, ويلمزون الذين لا يجدون ما يتصدّقون به إلا جهدهم, وذلك طاقتهم, فينتقصونهم ويقولون: لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيّا سخرية منهم ربهم. فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وقد بينا صفة سخرية الله بمن يسخر به من خلقه في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته ههنا. وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يقول: ولهم من عند الله يوم القيامة عذاب موجع مؤلم.

وذُكر أن المعنيّ بقوله: المُطّوّعِينَ مِنَ المُؤْمِنينَ عبد الرحمن بن عوف, وعاصم بن عديّ الأنصاري, وأن المعنيّ بقوله: والّذِينَ لا يَجِدُونَ إلاّ جُهْدَهُمْ أبو عقيل الأراشي أخو بني أنيف. ذكر من قال ذلك:

13291ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: والّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطّوّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصّدَقَاتِ قال: جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, وجاءه رجل من الأنصار بصاع من طعام, فقال بعض المنافقين: والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلا رياء وقالوا: إن كان الله ورسوله لغنيين عن هذا الصاع.

13292ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: الّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطّوّعينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصّدَقاتِ وَالّذِينَ لا يجدُونَ إلاّ جُهْدَهُمْ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الناس يوما فنادى فيهم: أن اجْمَعُوا صَدَقَاتِكُمْ فجمع الناس صدقاتهم. ثم جاء رجل من أحوجهم بمنّ من تمر, فقال: يا رسول الله هذا صاع من تمر, بتّ ليلتي أجرّ بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر, فأمسكت أحدهما وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات. فسخر منه رجال وقالوا: والله إن الله ورسوله لغنيان عن هذا, وما يصنعان بصاعك من شيء ثم إن عبد الرحمن بن عوف رجل من قريش من بني زهرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هل بقي من أحد من أهل هذه الصدقات؟ فقال: «لا» فقال عبد

الرحمن بن عوف: إن عندي مائة أوقية من ذهب في الصدقات. فقال له عمر بن الخطاب: أمجنون أنت؟ فقال: ليس بي جنون. فقال: أتعلم ما قلت؟ قال: نعم, مالي ثمانية آلاف: أما أربعة فأقرضها ربي, وأما أربعة آلاف فلي. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَارَكَ اللّهُ لَكَ فِيما أمْسَكْتَ وَفِيما أعْطَيْتَ» وكره المنافقون فقالوا: والله ما أعطي عبد الرحمن عطيته إلا رياء وهم كاذبون, إنما كان به متطوعا. فأنزل الله عذره, وعذر صاحبه المسكين الذي جاء بالصاع من التمر, فقال الله في كتابه: والّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَوّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ في الصّدَقاتِ... الآية.

13293ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: الّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطّوّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ قال: جاء عبد الرحمن بن عوف بصدقة ماله أربعة آلاف, فلمزه المنافقون, وقالوا: راءى. والّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إلاّ جُهْدَهُمْ قال: رجل من الأنصار, آجر نفسه بصاع من تمر لم يكن له غيره, فجاء به فلمزوه, وقالوا: كان الله غنيّا عن صاع هذا.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, نحوه.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, نحوه.

13294ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: الّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطّوّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ... الآية, قال: أقبل عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله, فتقرّب به إلى الله, فلمزه المنافقون, فقالوا: ما أعطى ذلك إلا رياءً وسمعة فأقبل رجل من فقراء المسلمين يقال له: حبحاب أبو عقيل, فقال: يا نبي الله, بتّ أجر الجرير على صاعين من تمر: أما صاع فأمسكته لأهلي, وأما صاع فها هو ذا. فقال المنافقون: والله إن الله ورسوله لغنيان عن هذا فأنزل الله في ذلك القرآن: الّذِينَ يَلْمِزُونَ.. الآية.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: الّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطّوّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصّدَقاتِ قال: تصدّق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله, وكان ماله ثمانية آلاف دينار, فتصدّق بأربعة آلاف دينار, فقال ناس من المنافقين: إن عبد الرحمن بن عوف لعظيم الرياء فقال الله: الّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطّوّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ في الصّدَقاتِ وكان لرجل صاعان من تمر, فجاء بأحدهما, فقال ناس من المنافقين: إن كان الله عن صاع هذا لغنيّا فكان المنافقون يطعنون عليهم ويسخرون بهم, فقال الله: وَالّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إلاّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ ولَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ.

13295ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج بن المنهال الأنماطي, قال: حدثنا أبو عوانة, عن عمر بن أبي سلمة, عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تَصَدّقُوا فإنّي أُرِيدُ أنْ أبْعَثَ بَعْثا» قال: فقال عبد الرحمن بن عوف: يا رسول الله, إن عندي أربعة آلاف: ألقين أقرضهما الله, وألفين لعيالي. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بارَكَ اللّهُ لَكَ فِيما أعْطَيْتُ, وبَارَكَ لَكَ فِيما أمْسَكْتَ» فقال رجل من الأنصار: وإن عندي صاعين من تمر, صاعا لربي, وصاعا لعيالي قال: فلمز المنافقون, وقالوا: ما أعطى ابن عوف هذا إلا رياءً وقالوا: أو لم يكن الله غنيّا عن صاع هذا فأنزل الله: الّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطّوّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ... إلى آخر الآية.

13296ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن سعد. قال: أخبرنا أبو جعفر, عن الربيع بن أنس, في قوله: الّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطّوّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصّدَقاتِ قال: أصاب الناس جهد شديد, فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدّقوا, فجاء عبد الرحمن بأربعمائة أوقية, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللّهُم بارِكْ لَهُ فيما أمْسَكَ» فقال المنافقون: ما فعل عبد الرحمن هذا إلا رياءً وسمعه وقال: وجاء رجل بصاع من تمر, فقال: يا رسول الله آجرت نفسي بصاعين, فانطلقت بصاع منهما إلى أهلي وجئت بصاع من تمر. فقال المنافقون: إن الله غنيّ عن صاع هذا فأنزل الله هذه الآية: والّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إلاّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

13297ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: الّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطّوّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصّدَقاتِ... الآية, وكان من المطّوّعين من المؤمنين في الصدقات: عبد الرحمن بن عوف, تصدّق بأربعة آلاف دينار وعاصم بن عدّي أخو بني عجلان. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغّب في الصدقة وحضّ عليها, فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدّق بأربعة آلاف درهم, وقام عاصم بن عدّي فتصدّق بمائة وسق من تمر. فلمزوهما وقالوا: ما هذا إلا رياء وكان الذي تصدّق بجهده أبو عقيل, أخو بني أنيف الأراشي حليف بني عمرو بن عوف, أتى بصاع من تمر, فأفرغه في الصدقة, فتضاحكوا به, وقالوا: إن الله لغنيّ عن صاع أبي عقيل.

13298ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله, قال: حدثنا شعبة, عن سليمان, عن أبي وائل, عن أبي مسعود, قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل قال أبو النعمان: كنا نعمل قال: فجاء رجل فتصدّق بشيء كثير, قال: وجاء رجل فتصدق بصاع تمر, فقالوا: إن الله لغنيّ عن صاع هذا فنزلت: الّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطّوّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصّدَقاتِ وَالّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إلاّ جُهْدَهُمْ.

13299ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا زيد بن حباب, عن موسى بن عبيدة, قال: ثني خالد بن يسار, عن ابن أبي عقيل, عن أظبيه, قال: بتّ أجر الحرير على ظهري على صاعين من تمر, فانقلبت بأحدهما إلى أهلي يتبلّغون به, وجئت بالآخر أتقرّب به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأخبرته, فقال: «انْثُرْهُ في الصّدَقَةِ» فسخر المنافقون منه وقالوا: لقد كان غنيّا عن الصدقة هذا المسكين فأنزل الله: الّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطّوّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ في الصّدَقاتِ... الآيتين.

13300ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا الجريري عن أبي السليل, قال: وقف على الحيّ رجل, فقال: ثني أبي أو عمي, فقال: شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «مَنْ يَتَصَدّق اليَوْمَ بصَدَقَةٍ أشْهَدْ لَهُ بِها عِنْدَ الله يَوْمَ القِيامَةِ». قال: وعليّ عمامة لي, قال: فنزعت لَوْثا أو ابن علية, قال: أخبرنا الجريري عن أبي السليل, قال: وقف على الحيّ رجل, فقال: ثني أبي أو عمي, فقال: شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «مَنْ يَتَصَدّق اليَوْمَ بصَدَقَةٍ أشْهَدْ لَهُ بِها عِنْدَ الله يَوْمَ القِيامَةِ». قال: وعليّ عمامة لي, قال: فنزعت لَوْثا أو ألقي بخطامها أو

بزمامها. قال: فلمزه رجل جالس, فقال: والله إنه ليتصدّق بها ولهي خير منه فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: «بَلْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ ومِنْها». يقول ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم.

13301ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني يونس, عن ابن شهاب, قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك, يقول: الذي تصدّق بصاع التمر فلمزه المنافقون, أبو خيثمة الأنصاريّ.

13302ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا محمد بن رجاء أبو سهل العباداني قال: حدثنا عامر بن يِساف اليمامي, عن يحيى بن أبي كثير اليمامي, قال: جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله مالي ثمانية آلاف, جئتك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله, وأمسكت أربعة آلاف لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بارَكَ اللّهُ فِيما أَعْطَيْتَ وَفِيما أَمْسَكْتَ» وجاء رجل آخر فقال: يا رسول الله, بتّ الليلة أجر الماء على صاعين, فأما أحدهما فتركت لعيالي, وأما الآخر فجئتك به, اجعله في سبيل الله فقال: «بارَكَ اللّهُ فِيما أَعْطَيْتَ وَفِيما أَمْسَكْتَ» فقال ناس من المنافقين: والله ما أعطى عبد الرحمن إلا رياء وسمعة, ولقد كان الله ورسوله غنيين عن صاع فلان فأنزل الله: الّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطّوّعِينَ مِنَ المُؤمِنِينَ فِي الصّدَقاتِ يعني عبد الرحمن بن عوف, والّذِينَ لاَ يَجِدُون إلاّ جُهْدَهُمْ يعني صاحب الصاع, فَيَسْخَرُونَ منْهُمْ سَخَرَ اللّهُ منْهُمْ ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

13303ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قال ابن عباس: أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يجمعوا صدقاتهم, وإذا عبد الرحمن بن عوف قد جاء بأربعة آلاف, فقال: هذا مالي أقرضه الله وقد بقي لي مثله فقال له: «بُورِكَ اللّهُ فِيما أَعْطَيْتَ وَفِيما أَمْسَكْتَ» فقال المنافقون: ما أعطي إلا رياء, وما أعطى صاحب الصاع إلا رياء, إن كان الله ورسوله لغنيين عن هذا وما يصنع الله بصاع من شيء؟

13304ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: الّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطّوّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصّدَقاتِ... إلى قوله: ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قال: أمر النبي عليه الصلاة والسلام المسلمين أن يتصدقوا, فقام عمر بن الخطاب فألقى مالاً وافرا, فأخذ نصفه قال: فجئت أحمل مالاً كثيرا, فقال له رجل من المنافقين: ترائي يا عمر؟ فقال عمر: أرائي الله ورسوله, وأما غيرهما فلا. قال: ورجل من الأنصار لم يكن عنده شيء, فآجر نفسه ليجر الجرير على رقبته بصاعين ليلته, فترك صاعا لعياله وجاء بصاع يحمله, فقال له بعض المنافقين: إن الله ورسوله عن صاعك لغنيان فذلك قول الله تبارك وتعالى: الّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطّوّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصّدَقاتِ وَالّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إلاّ جُهْدَهُمْ هذا الأنصاري, فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

وقد بينا معنى اللمز في كلام العرب بشواهده وما فيه من اللغة والقراءة فيما مضى وأما قوله: المُطّوّعِينَ فإن معناه: المتطوّعين, أدغمت التاء في الطاء, فصارت طاء مشددة, كما قيل: وَمَنْ يَطّوّعْ خَيْرا يعني يتطوّع. وأما الجهد فإن للعرب فيه لغتين, يقال: أعطاني من جُهده بضم الجيم, وذلك فيما ذكر لغة أهل الحجاز, ومن جَهْدٍ بفتح الجيم, وذلك لغة نجد. وعلى الضم

قراءة الأمصار, وذلك هو الاختيار عندنا لإجماع الحجة من القرّاء عليه. وأما أهل العلم بكلام العرب من رواة الشعر وأهل العربية, فإنهم يزعمون أنها مفتوحة ومضمومة بمعنى واحد. وإنما اختلاف ذلك لاختلاف اللغة فيه كما اختلفت لغاتهم في الوُجد والوَجْد بالضم والفتح من «وجدت».

ورُوي عن الشعبي في ذلك ما:

13305ـ حدثنا أبو كريب. قال: حدثنا جابر بن نوح, عن عيسى بن المغيرة, عن الشعبيّ, قال: الجُهْد في العمل, والْجَهْد في القوت.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حفص, عن عيسى بن المغيرة, عن الشعبي, مثله.

قال: حدثنا ابن إدريس, عن عيسى بن المغيرة, عن الشعبيّ, قال: الجُهْد في العمل, والجَهْد في المعيشة.

الآية : 80

القول في تأويل قوله تعالى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ادع الله لهؤلاء المنافقين الذين وصف صفاتهم في هذه الآيات بالمغفرة, أو لا تدع لهم بها. وهذا كلام خرج مخرج الأمر, وتأويله الخبر, ومعناه: إن استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر لهم, فلن يغفر الله لهم. وقوله: إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ يقول: إن تسأل لهم أن تستر عليهم ذنوبهم بالعفو منه لهم عنها وترك فضيحتهم بها, فلن يستر الله عليهم, ولن يعفو لهم عنها ولكنه يفضحهم بها على رءوس الأشهاد يوم القيامة. ذلكَ بأنّهُمْ كَفَرُوا باللّهِ وَرَسُولِهِ يقول جلّ ثناؤه. هذا الفعل من الله بهم, وهو ترك عفوه لهم عن ذنوبهم, من أجل أنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله. وَاللّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ يقول: والله لا يوفق للإيمان به وبرسوله من آثر الكفر به والخروج عن طاعته على الإيمان به وبرسوله.

ويُروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حين نزلت هذه الآية, قال: «لأَزِيدَنّ فِي الاِسْتِغْفار لَهُمْ على سَبْعِينَ مَرّةٍ» رجاء منه أن يغفر الله لهم, فنزلَت سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ.

13306ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبدة بن سليمان, عن هشام بن عروة, عن أبيه, أن عبد الله بن أبيّ ابن سلول, قال لأصحابه: لولا أنكم تنفقون على محمد وأصحابه لانفضوا من حوله. وهو القائل: لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الأعَزّ مِنْها الأذَلّ, فأنزل الله: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لأَزِيدَنّ على السّبْعِينَ» فأنزل الله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ فأبى الله تبارك وتعالى أن يغفر لهم.

13307ـ حدثنا ابن حميد وابن وكيع, قالا: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن شباك, عن الشعبي, قال: دعا عبد الله بن عبد الله بن أبيّ ابن سلولَ النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى جنازة أبيه, فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أنْتَ؟» قال: حباب بن عبد الله بن أبيّ. فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم: «بَلْ أنْتَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أُبَيّ ابْنَ سَلُولَ, إنّ الحُبابَ هُوَ الشّيْطانُ». ثم قال النبيّ عليه الصلاة والسلام: «إنّهُ قَدْ قِيلَ لي اسْتَغْفِرْ

لَهُمْ أوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ, إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ, فأنا أسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِينَ» وألبسه النبيّ صلى الله عليه وسلم قميصه وهو عَرِقٌ.

13308ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرّةً, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «سأزِيدُ على سَبْعِينَ اسْتِغْفارَةً» فأنزل الله في السورة التي يذكر فيها المنافقون: لَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ عزما.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, بنحوه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, نحوه.

قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا مغيرة, عن الشعبيّ, قال: لما ثقل عبد الله بن أبيّ, انطلق ابنه إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال له: إن أبي قد احتضر, فأحبّ أن تشهده وتصلي عليه فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ما اسْمُكَ؟» قال: الحباب بن عبد الله, قال: «بَلْ أنْتَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أبيّ, إنّ الحبُابَ اسْمُ شَيْطانٍ». قال: فانطلق معه حتى شهده وألبسه قميصه وهو عَرِقٌ, وصلى عليه, فَقيل له: أتصلي عليه وهو منافق؟ فقال: «إنّ اللّهَ قالَ إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ وَلأسْتَغْفِرَنّ لَهُ سَبْعِينَ وسَبْعِين». قال هشيم: وأشكّ في الثالثة.

13309ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ... إلى قوله: القَوْمَ الفاسِقِينَ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآية: «أسْمَعُ رَبّي قَدْ رَخّصَ لِي فِيهِمْ, فَوَاللّهِ لأسْتَغْفِرَنّ أكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرّةً, فَلَعَلّ اللّهُ أنْ يَغْفِرَ لَهُمْ» فقال الله من شدّة غضبه عليهم: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ اسْتَغْفِرْتَ لَهُمْ أمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ الله لَهُمْ إنّ اللّهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ.

13310ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ فقال نبيّ الله: «قَدْ خَيّرَنِي رَبّي فَلأزِيدَنّهُمْ على سَبْعِينَ» فأنزل الله سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ... الآية,

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: لما نزلت: إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لأزِيدَنّ على سَبْعِينَ» فقال الله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ.

الآية : 81

القول في تأويل قوله تعالى: {فَرِحَ الْمُخَلّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُوَاْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرّ قُلْ نَارُ جَهَنّمَ أَشَدّ حَرّاً لّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فرح الذين خلفهم الله عن الغزو مع رسوله والمؤمنين به وجهاد أعدائه بمقعدهم خِلافَ رَسُولِ اللّهِ يقول: بجلوسهم في منازلهم

خلاف رسول الله, يقول: على الخلاف لرسول الله في جلوسه ومقعده. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالنفر إلى جهاد أعداء الله, فخالفوا أمره وجلسوا في منازلهم. وقوله: خِلاف مصدر من قول القائل: خالف فلان فلانا فهو يخالفه خلافا فلذلك جاء مصدره على تقدير فعال, كما يقال: قاتله فهو يقاتله قتالاً, ولو كان مصدرا من خلَفه, لكانت القراءة: «بمقعدهم خلف رسول الله», لأن مصدر خلفه خلفٌ, لا خِلاف, ولكنه على ما بينت من أنه مصدر خالف, فقرىء: خِلافَ رَسُولِ الله وهي القراءة التي عليها قراءة الأمصار, وهي الصواب عندنا. وقد تأوّل بعضهم ذلك, بمعنى: بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم, واستشهد على ذلك بقول الشاعر:

عَقَبَ الرّبِيعُ خِلافَهُمْ فَكأنمَابَسَطَ الشّوَاطِبُ بَيْنَهُنّ حَصِيرَا

وذلك قريب لمعنى ما قلنا, لأنهم قعدوا بعده على الخلاف له.

وقوله: وكَرِهُوا أنْ يُجاهِدُوا بأمْوَالِهِمْ وأنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يقول تعالى ذكره: وكره هؤلاء المخلفون أن يغزوا الكفار بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله يعني: في دين الله الذي شرعه لعباده لينصروه, ميلاً إلى الدّعَة والخَفْض, وإيثارا للراحة على التعب والمشقة, وشُحّا بالمال أن ينفقوه في طاعة الله. وَقالُوا لا تَنْفِرُوا في الحَرّ وذلك أن النبيّ صلى الله عليه وسلم استنفرهم إلى هذه الغزوة, وهي غزوة تبوك في حرّ شديد, فقال المنافقون بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحرّ فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهم يا محمد نار جهنم التي أعدّها الله لمن خالف أمره وعصى رسوله, أشدّ حرّا من هذا الحرّ الذي تتواصون بينكم أن لا تنفروا فيه. يقول: الذي هو أشدّ حرّا أحرى أن يحذر ويتقي من الذي هو أقلهما أذى. لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ يقول: لو كان هؤلاء المنافقون يفقهون عن الله وعظه ويتدبرون آي كتابه, ولكنهم لا يفقهون عن الله, فهم يحذرون من الحرّ أقله مكروها وأخفه أذى, ويوافقون أشدّه مكروها وأعظمه على من يصلاه بلاء.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13311ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فَرِحَ المُخَلّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خلافَ رَسُولِ اللّهِ... إلى قوله: يَفْقَهُونَ, وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا معه, وذلك في الصيف, فقال رجال: يا رسول الله, الحرّ شديد ولا نستطيع الخروج, فلا تنفر في الحرّ فقال الله: قلْ نارُ جَهَنّمَ أشَدّ حَرّاالحرث, قال: حدثنا عبد اقال: حدثنا أبو معشر, عن محمد بن كعب القرظي وغيره, قالوا: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرّ شديد إلى تبوك, فقال رجل من بني سلمة: لا تنفروا في الحرّ فأنزل الله: قُلْ نارُ جَهَنّمَ... الآية.

13312ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ذكر قول بعضهم لبعض, حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد, وأجمع السير إلى تبوك على شدّة الحرّ وجدب البلاد, يقول الله جلّ ثناؤه: وَقَالُوا لاَ تَنْفِرُوا فِي الحرّ قُلْ نارُ جَهَنّمَ أشَدّ حَرّا.

الآية : 82

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فرح هؤلاء المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله, فليضحكوا فرحين قليلاً في هذه الدنيا الفانية بمقعدهم خلاف رسول الله ولهوهم عن طاعة ربهم, فإنهم سيبكون طويلاً في جهنم مكان ضحكهم القليل في الدنيا جَزَاءً يقول: ثوابا منالهم على معصيتهم بتركهم النفر إذ استنفروا إلى عدوّهم وقعودهم في منازلهم خلاف رسول الله. بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ يقول: بما كانوا يجترحون من الذنوب.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13313ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن إسماعيل, عن أبي رزين: فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرا قال: يقول الله تبارك وتعالى: الدنيا قليل, فليضحكوا فيها ما شاءوا, فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاءً لا ينقطع, فذلك الكثير.

13314ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن منصور, عن أبي رزين, عن الربيع بن خثيم: فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً قال: في الدنيا, وَلْيَبْكُوا كَثِيرا قال: في الآخرة.

13315ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن ويحيى, قالا: حدثنا سفيان, عن إسماعيل بن سميع, عن أبي رزين, في قوله: فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرا قال: في الآخرة.

13316ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصو, عن أبي رزين, أنه قال في هذه الآية: فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرا قال: ليضحكوا في الدنيا قليلاً, وليبكوا في النار كثيرا, وقال في هذه الآية: وَإذا لا تُمَتّعُونَ إلاّ قَلِيلاً قال: أجلهم أحد هذين الحديثين رفعه إلى ربيع بن خثيم.

13317ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الحسن: فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً قال: ليضحكوا قليلاً في الدنيا, وَلْيَبْكُوا كَثِيرا في الآخرة في نار جهنم, جَزَاءً بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ.

13318ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً: أي في الدنيا, وَلْيَبْكُوا كَثِيرا: أي في النار. ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, قال: «وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَعْلَمُونَ ما أعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرا» ذُكر لنا أنه نودي عند ذلك, أو قيل له: لا تُقْنِط عبادي

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن منصور, عن أبي رزين, عن الربيع بن خثيم فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً قال: في الدنيا, وَلْيَبْكُوا كَثِيرا قال: في الآخرة.

قال: حدثنا أبو معاوية, عن إسماعيل بن سميع, عن أبي رزين: فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً قال: في الدنيا فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاءً لا ينقطع, فذلك الكثير.

13319ـ حدثنا عليّ بن داود, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرا قال: هم المنافقون والكفار الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا يقول الله تبارك وتعالى: فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً في الدنيا, وَلْيَبْكُوا كَثِيرا في النار.

13320ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَلْيَضْحَكُوا في الدنيا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا يوم القيامة كَثِيرا. وقال: إنّ الّذِينَ

أجْرَمُوا كانُوا مِنَ الّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ حتى بلغ: هَلْ ثُوّبَ الكُفّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ.

الآية : 83

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِن رّجَعَكَ اللّهُ إِلَىَ طَآئِفَةٍ مّنْهُمْ فَاسْتَأذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوّاً إِنّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوّلَ مَرّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ }.

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فإن ردّك الله يا محمد إلى طائفة من هؤلاء المنافقين من غزوتك هذه, فاستأذنوك للخروج معك في أخرى غيرها, فقل لهم: لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أبَدا وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعيَ عَدُوّا إنّكُمْ رَضِيُتمْ بالقُعُودِ أوّلَ مَرّةٍ وذلك عند خروج النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى تبوك فاقْعُدُوا مَعَ الخالِفِينَ يقول: فاقعدوا مع الذين قعدوا من المنافقين خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم, لأنكم منهم, فاقتدوا بهديهم واعملوا مثل الذي عملوا من معصية الله, فإن الله قد سخط عليكم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13321ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: قال رجل: يا رسول الله, الحرّ شديد ولا نستطيع الخروج, فلا تنفر في الحرّ وذلك في غزوة تبوك, فقال الله: قُلْ نارُ جَهَنّمَ أشَدّ حَرّا لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ فأمره الله بالخروج, فتخلف عنه رجال, فأدركتهم نفوسهم, فقالوا: والله ما صنعنا شيئا فانطلق منهم ثلاثة, فلحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما أتوه تابوا ثم رجعوا إلى المدينة, فأنزل الله: فَإنْ رَجَعَكَ اللّهُ إلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ... إلى قوله: وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَلَكَ الّذِينَ تَخَلّفُوا» فأنْزَلَ اللّهُ عُذْرَهُمْ لَما تابُوا, فقال: لَقَدْ تابَ اللّهُ على النّبِيّ والمُهاجِرِينَ والأنْصَارِ... إلى قوله: إنّ اللّهَ هُوَ التّوّابُ الرّحِيمُ. وقال: إنّه بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ.

13322ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فإنْ رَجَعَكَ اللّهُ إلى طائِفَةٍ منْهُمْ... إلى قوله: فاقْعُدُوا مَعَ الخالفينَ: أي مع النساء. ذُكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلاً من المنافقين, فقيل فيهم ما قيل.

13323ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: فاقْعُدُوا مَعَ الخالِفِينَ والخالفون: الرجال.

قال أبو جعفر: والصواب من التأويل في قوله الخالِفِينَ ما قال ابن عباس. فأما ما قال قتادة من أن ذلك النساء, فقول لا معنى له لأن العرب لا تجمع النساء إذا لم يكن معهنّ رجال بالياء والنون, ولا بالواو والنون. ولو كان معنيا بذلك النساء, لقيل: «فاقعدوا مع الخوالف», أو «مع الخالفات», ولكن معناه ما قلنا من أنه أريد به: فاقعدوا مع مرضى الرجال وأهل زمانتهم والضعفاء منهم والنساء. وإذا اجتمع الرجال والنساء في الخبر, فإن العرب تغلّب الذكور على الإناث, ولذلك قيل: فاقْعُدُوا مَعَ الخالِفِينَ والمعنى ما ذكرنا. ولو وجّه معنى ذلك إلى: فاقعدوا مع أهل الفساد, من قولهم: خلف الرجال عن أهله يخلف خلوفا, إذا فسد, ومن قولهم: هو خلف سوء كان مذهبا. وأصله إذا أريد به هذا المعنى من قولهم خَلَف اللبن يخْلُف خلوفا إذا خَبُث من طول وضعه في السقاء حتى يفسد, ومن قولهم: خَلَف فَمُ الصائم: إذا تغيرت ريحه.

الآية : 84
القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ تُصَلّ عَلَىَ أَحَدٍ مّنْهُم مّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ }.
يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولا تصلّ يا محمد على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبدا. وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ يقول: ولا تتولّ دفنه وتقبره من قول القائل: قام فلان بأمر فلان: إذا كفاه أمره. إنّهُمْ كَفَرُوا باللّهِ يقول إنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله, وماتوا وهم خارجون من الإسلام مفارقون أمر الله ونهيه. وقد ذكر أن هذه الآية نزلت حين صلى النبيّ صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبيّ. ذكر من قال ذلك:
13324ـ حدثنا محمد بن المثنى وسفيان بن وكيع, وسوّار بن عبد الله, قالوا: حدثنا يحيى بن سعيد, عن عبيد الله قال: أخبرني نافع, عن ابن عمر, قال: جاء ابن عبد الله بن أبيّ ابن سلولَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات أبوه, فقال: أعطني قميصك حتى أكفنه فيه, وصلّ عليه واستغفر له فأعطاه قميصه, وقال: «إذَا فَرَغْتُمْ فَآذِنُونِي» فلما أراد أن يصلي عليه, جذبه عمر وقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال: «بَلْ خَيّرَنِي وقالَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أوْ لا تَسْتَغْفرْ لَهُمْ» قال: فصلي عليه. قال: فأنزل الله تبارك وتعالى: وَلا تُصَلّ على أحَدٍ منْهُمْ ماتَ أبَدا وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ قال: فترك الصلاة عليهم.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن عبيد الله, عن ابن عمر, قال: لما توفي عبد الله بن أبيّ ابن سلول, جاء ابنه عبد الله إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه. ثم سأله أن يصلي عليه. فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه, فأخذ بثوب النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال ابنَ سلول أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنّمَا خَيّرَنِي رَبّي, فقالَ: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ وسأزِيدُ على سَبْعِينَ». فقال: إنه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأنزل الله: وَلا تُصَلّ على أحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبَدا وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ.
13325ـ حدثنا سوار بن عبد الله العنبريّ, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن مجالد, قال: ثني عامر, عن جابر بن عبد الله, أن رأس المنافقين مات بالمدينة, فأوصى أن يصلّى عليه النبيّ صلى الله عليه وسلم وأن يكفن في قميصه. فكفنه في قميصه, وصلى عليه, وقام على قبره, فأنزل الله تبارك وتعالى: وَلا تُصَلّ على أحَدٍ منْهُمْ ماتَ أبَدا وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ.
13326ـ حدثني أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سلمة, عن يزيد الرّقاشيّ, عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يصلي علي عبد الله بن أبيّ ابن سلول, فأخذ جبريل عليه السلام بثوبه فقال: وَلا تُصَلّ على أحَدٍ منْهُمْ ماتَ أبَدا وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ.
13327ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو, عن جابر, قال: جاء النبيّ صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبيّ وقد أدخل حفرته, فأخرجه, فوضعه على ركبتيه وألبسه قميصه وتفل عليه من ريقه, والله أعلم.

13328ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, عن الزهريّ, عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود, عن عبد الله بن عباس, قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لما توفي عبد الله بن أبيّ ابن سلول, دُعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه, فقام إليه فلما وقف عليه يريد الصلاة, تحوّلت حتى قمت في صدره, فقلت: يا رسول الله, أتصلي على عدوّ الله عبد الله بن أبيّ القائل يوم كذا كذا وكذا, أعدّد أيامه, ورسول الله عليه الصلاة والسلام يتبسمّ. حتى إذا أكثرت عليه, قال: «اخّرْ عَنّي يا عُمَرُ إنّي خُيّرْتُ فاخْتَرْتُ, وَقَدْ قِيلَ لي اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لهم فلو أني أعلم أنين إن زدت على السبعين غفر له لزدت» قال ثم صلى عليه ومشى معه فقام على حتى نزلت هانان الآيتان أحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبَدا فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق, ولا قام على قبره حتى قبضه الله.

13329ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, عن عاصم بن عمر بن قتادة, قال: لما مات عبد الله بن أبيّ, أتي ابنه عبد الله بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم, فسأله قميصه, فأعطاه, فكفّن فيه أباه.

حدثنا المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني الليث, قال: ثني عقيل, عن ابن شهاب, قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة, عن عبد الله بن عباس, عن عمر بن الخطاب, قال: لما مات عبد الله بن أبيّ, فذكر مثل حديث ابن حميد, عن سلمة.

13330ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلا تُصَلّ على أحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبَدا, وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ... الآية, قال: بعث عبد الله بن أبيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه, فنهاه عن ذلك عمر, فأتاه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: «أهْلَكَكَ حُبّ اليَهُودِ». قال: فقال: يا نبيّ الله إني لم أبعث إليك لتؤنبني, ولكن بعثت إليك لتستغفر لي وسأله قميصه أن يكفن فيه, فأعطاه إياه, فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات, فكفن في قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم, ونفث في جلده ودلاّه في قبره. فأنزل الله تبارك وتعالى: وَلا تُصَلّ على أحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبَدا... الآية. قال: ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كلم في ذلك, فقال: «وَما يُغْنِي عَنْهُ قَمِيصِي مِنَ اللّهِ أوْ رَبّي وَصَلاتي عَلَيْهِ؟ وإنّي لاَرْجُو أنْ يُسْلِمَ بِهِ ألْفٌ مِنْ قَوْمِهِ».

13331ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: أرسل عبد الله بن أبيّ ابن سلول وهو مريض إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه, قال له النبيّ صلى الله عليه وسلم: «أهْلَكَكَ حُبّ يَهُودَ». قال: يا رسول الله, إنما أرسلت إليك لتستغفر لي ولم أرسل إليك لتؤنبني. ثم سأله عبد الله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه, فأعطاه إياه وصلى عليه, وقام على قبره, فأنزل الله تعالى ذكره: وَلا تُصَلّ على أحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبَدا, وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ.

الآية : 85

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُعَذّبَهُمْ بِهَا فِي الدّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم فتصلي على أحدهم إذا مات وتقوم على قبره من أجل كثرة ماله وولده, فإني إنما أعطيته ما أعطيته من ذلك لأعذّبه بها في الدنيا بالغموم والهموم, بما ألزمه فيها من المؤن والنفقات والزكوات وبما ينوبه فيها من الرزايا والمصيبات. وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ يقول: وليموت فتخرج نفسه من جسده, فيفارق ما أعطيته من المال والولد, فيكون ذَلك حسرة عليه عند موته ووبالاً عليه حينئذ ووبالاً عليه في الآخرة بموته, جاحدا توحيد الله ونبوّة نبينه محمد صلى الله عليه وسلم.

13332ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد بن نصر, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن سفيان, عن السديّ: وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ في الحياة الدنيا.

الآية : 86

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُنْ مّعَ الْقَاعِدِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وإذا أنزل عليك يا محمد سورة من القرآن, بأن يقال لهؤلاء المنافقين: آمِنُوا باللّهِ يقول: صدّقوا بالله وَجاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ يقول: اغزوا المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم, اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطّوْلِ مِنْهُمْ يقول: استأذنك ذوو الغنى والمال منهم في التخلف عنك والقعود في أهله وَقالُوا ذَرْنا يقول: وقالوا لك: دعنا نكن ممن يقعد في منزله مع ضعفاء الناس ومرضاهم ومن لا يقدر على الخروج معك في السفر.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13333ـ حدثنا عليّ بن داود, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطّوْلِ قال: يعني أهل الغنى.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: أُولُوا الطّوْلِ مِنْهُمْ يعني: الأغنياء.

13334ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أنْ آمِنُوا باللّهِ وَجاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطّوْلِ مِنْهُمْ كان منهم عبد الله بن أبيّ والجد بن قيس, فنعى الله ذلك عليهم.

الآية : 87

القول في تأويل قوله تعالى: {رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىَ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ }.

يقول تعالى ذكره: رضي هؤلاء المنافقون الذين إذا قيل لهم: آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله, استأذنك أهل الغنى منهم في التخلف عن الغزو والخروج معك لقتال أعداء الله من المشركين, أن يكونوا في منازلهم كالنساء اللواتي ليس عليهنّ فرض الجهاد, فهن قعود في منازلهنّ وبيوتهنّ. وَطُبِعَ على قُلُوبِهِمْ يقول: وختم الله على قلوب هؤلاء المنافقين, فهم لا يفقهون عن الله مواعظه فيتعظون بها. وقد بيّنا معنى الطبع وكيف الختم على القلوب فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13335ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: رَضُوا بأنْ يَكُونُوا مَعَ الخوَالِفِ قال: والخوالف: هنّ النساء.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: رَضُوا بأنْ يَكُونُوا مَعَ الخوَالِفِ يعني: النساء.
13336ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حبوبة أبو يزيد, عن يعقوب القمي, عن حفص بن حميد, عن شمر بن عطية: رَضُوا بأنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ قال: النساء.
13337ـ قال: حدثنا المحاربيّ, عن جويبر, عن الضحاك: مع الخوالف قال: مع النساء.
13338ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: رَضُوا بأنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ أي مع النساء.
13339ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة والحسن: رَضُوا بأنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ قالا: النساء.
13340ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.
13341ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: رَضُوا بأنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ قال: مع النساء.

الآية : 88

القول في تأويل قوله تعالى: {لَـكِنِ الرّسُولُ وَالّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُوْلَـَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَـَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }.
يقول تعالى ذكره: لم يجاهد هؤلاء المنافقون الذين اقتصصت قصصهم المشركين, لكن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والذين صدّقوا الله ورسوله معه هم الذين جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم, فأنفقوا في جهادهم أموالهم وأتعبوا في قتالهم أنفسهم وبذلوها. وأولَئِكَ يقول: وللرسول وللذين آمنوا معه الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم الخيرات, وهي خيرات الآخرة, وذلك نساؤها وجناتها ونعيمها, واحدتها: خَيْرة, كما قال الشاعر:
وَلَقَدْ طَعَنْتُ مَجَامعَ الرّبلاَتِرَبلاتِ هِنْدٍ خَيْرَةِ الملَكاتِ
والخيرة من كلّ شيء: الفاضلة. وأُولَئِكَ هُمُ المُفْلَحُونَ يقول: وأولئك هم المخلدون في الجنات الباقون فيها الفائزون بها.

الآية : 89

القول في تأويل قوله تعالى: {أَعَدّ اللّهُ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }.
يقول تعالى ذكره: أعدّ الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وللذين آمنوا معه جنات, وهي البساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار. خالدينَ فيهَا يقول: لابثين فيها, لا يموتون فيها, ولا يظعنون عنها. ذلكَ الفَوْزُ العَظِيمُ يقول: ذلك النجاء العظيم والحظّ الجزيل.

الآية : 90

القول في تأويل قوله تعالى: {وَجَآءَ الْمُعَذّرُونَ مِنَ الأعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الّذِينَ كَذَبُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره: وَجاءَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المُعَذّرُونَ مِنَ الأعْرَابِ ليُؤْذَنَ لَهُمْ في التخلف. وَقَعَدَ عن المجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه الّذِينَ كَذّبُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ وقالوا الكذب, واعتذروا بالباطل منهم. يقول تعالى ذكره: سيصيب الذين جحدوا توحيد الله ونبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم منهم عذاب أليم.
فإن قال قائل: فكيف قيل: وَجَاءَ المُعَذّرُونَ وقد علمت أن المعذّر في كلام العرب إنما هو الذي يُعَذّر في الأمر, فلا يبالغ فيه ولا يُحكمه, وليست هذه صفة هؤلاء, وإنما صفتهم أنهم كانوا قد اجتهدوا في طلب ما ينهضون به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدوّهم, وحرصوا على ذلك, فلم يجدوا إليه سبيل, فهم بأن يوصفوا بأنهم قد أعذروا أولى وأحقّ منهم بأن يوصفوا بأنهم عذروا. إذا وصفوا بذلك.
فالصواب في ذلك من القراءة ما قرأه ابن عباس, وذلك ما:
13342ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا ابن أبي حماد, قال: حدثنا بشر بن عمار, عن أبي روق عن الضحاك, قال: كان ابن عباس يقرأ: وّجاء المُعْذِرُونَ مخففة, ويقول: هم أهل العذر.
مع موافقة مجاهد إياه وغيره عليه؟ قيل: إن معنى ذلك على غير ما ذهبت إليه, وإن معناه: وجاء المعتذرون من الأعراب ولكن التاء لما جاورت الذال أدغمت فيها, فصُيرتا ذالاً مشددة لتقارب مخرج إحداهما من الأخرى, كما قيل: يَذّكّرون في يتذكرون, ويذّكر في يتذكر. وخرجت العين من المعذرين إلى الفتح, لأن حركة التاء من المعتذرين وهي الفتحة نقلت إليها فحركت بما كانت به محركة, والعرب قد توجه في معنى الاعتذار إلى الإعذار, فتقول: قد اعتذر فلان في كذا, يعني: أعذر, ومن ذلك قول لبيد:
إلى الحَوْلِ ثُمّ اسْمُ السّلامِ عَلَيْكُماوَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً فقدِ اعْتَذَرْ
فقال: فقد اعتذر, بمعنى: فقد أعذر.
على أن أهل التأويل, قد اختلفوا في صفة هؤلاء القوم الذين وصفهم الله بأنهم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم معذّرين, فقال بعضهم: كانوا كابين في اعتذارهم, فلم يعذرهم الله. ذكر من قال ذلك:
13343ـ حدثني أبو عبيدة عبد الوارث بن عبد الصمد, قال: ثني أبي, عن الحسين, قال: كان قتادة يقرأ: وجَاءَ المُعَذّرُونَ مِنَ الأعْرَابِ قال: اعتذروا بالكتب.
13344ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا يحيى بن زكريا, عن ابن جريج, عن مجاهد: وجَاءَ المُعَذّرُونَ مِنَ الأعْرَابِ قال نفر من بني غفار جاءوا فاعتذروا, فلم يعذرهم الله.
فقد أخبر من ذكرنا من هؤلاء أن هؤلاء القوم إنما كانوا أهل اعتذار بالباطل لا بالحقّ. فغير جائز أن يوصفوا بالإعذار إلا أن يوصفوا بأنهم أعذروا في الاعتذار بالباطل. فأما بالحقّ على ما قاله من حكينا قوله من هؤلاء, فغير جائز أن يوصفوا به. وقد كان بعضهم يقول: إنما جاءوا معذرين غير جادّين, يعرضون ما لا يريدون فعله. فمن وجهه إلى هذا التأويل فلا كلفة في ذلك, غير أني لا أعلم أحدا من أهل العلم بتأويل القرآن وجّه تأويله إلى ذلك, فأستحبّ القول به.

وبعد, فإن الذي عليه من القراءة قرّاء الأمصار التشديد في الذال, أعني من قوله: المُعَذّرُونَ ففي ذلك دليل على صحة تأويل من تأوّله بمعنى الاعتذار لأن القوم الذين وصفوا بذلك لم يكلفوا أمرا عذروا فيه, وإنما كانوا فرقتين إما مجتهد طائع وإما منافق فاسق لأمر الله مخالف, فليس في الفريقين موصوف بالتعذير في الشخوص مع رسول الله صلى الله عليه وسلم, وإنما هو معذر مبالغ, أو معتذر. فإذا كان ذلك كذلك, وكانت الحجة من القرّاء مجمعة على تشديد الذال من «المذرين», علم أن معناه ما وصفناه من التأويل. وقد ذكر عن مجاهد في ذلك موافقة ابن عباس.

13345ـ حدثني المثنى, قال: أخبرنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبير, عن ابن عيينة, عن حميد, قال: قرأ مجاهد: «وَجاءَ المُعْذِرُونَ» مخففة, وقال: هم أهل العلم العذر.

13346ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: كان المعذرون.

الآية : 91، 92

القول في تأويل قوله تعالى:

{لَّيْسَ عَلَى الضّعَفَآءِ وَلاَ عَلَىَ الْمَرْضَىَ وَلاَ عَلَى الّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ للّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ليس على أهل الزمانة وأهل العجز عن السفر والغزو, ولا على المرضى, ولا على من لا يجد نفقة يتبلغ بها إلى مغزاه حرج, وهو الإثم يقول: ليس عليهم إثم إذا نصحوا الله ولرسوله في مغيبهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ما عَلى المُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ يقول: ليس على من أحسن فنصح الله ورسوله في تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جهاد معه لعذر يعذر به طريق يتطرّق عليه فيعاقب من قبله. وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقول: والله ساتر على ذنوب المحسنين, يتغمدها بعوفه لهم عنها, رحيم بهم أن يعاقبهم عليها.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في عائذ بن عمرو المزني. وقال بعضهم: في عبد الله بن مغفل. ذكر من قال نزلت في عائذ بن عمرو:

13347ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: لَيْسَ على الضّعَفَاءِ ولاَ على المَرْضى وَلا على الّذِينَ لاَ يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إذَا نَصَحُوا لِلّهِ ورَسُولِهِ نزلت في عائذ بن عمرو.

ذكر من قال نزلت في ابن مغفل:

13348ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: لَيْسَ على الضّعَفاءِ وَلا على المَرْضَى... إلى قوله: حَزَنا أنْ لا يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه, فجاءته عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن مغفل المزني, فقالوا: يا رسول الله احملنا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَاللّهُ ما أجِدُ ما أحْمِلكُمْ عَلَيْهِ» فتولوا ولهم بكاء, وعزّ عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا مَحملاً. فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله, أنزل عذرهم في كتابه, فقال: لَيْسَ على الضّعَفاءِ وَلا على المَرْض ولا على الذين لا يجدون ما ينقفون حرج.

القول تعالى ذكره ولا سبيل أيضا على النفر الذين إذا ما جاءوك لتحملهم يسألونك الحُمْلان ليبلغوا إلى مغزاهم لجهاد أعداء الله معك يا محمد, قلت لهم: لا أجد حمولة أحملكم عليها تَوَلّوْا يقول: أدبروا عنك, وأعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدّمْعِ حَزَنا وهم يبكون من حزن على أنهم لا يجدون ما ينفقون ويتحملون به للجهاد في سبيل الله.

وذكر بعضهم أن هذه الآية نزلت في نفر من مُزينة. ذكر من قال ذلك:

13349ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلا على الّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أجِدُ ما أحْمِلكُمْ عَلَيْهِ قال: هم من مُزَينة.

حدثني المثنى, قال: أخبرنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قوله: وَلا على الّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قال: هم بنو مقرّن من مزينة.

حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن ابن جريج, قراءة عن مجاهد في قوله: وَلا على الّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ... إلى قوله: حزَنَا أن لا يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ قال: هم بنو مقرن من مزينة.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلا على الّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قال: هم بنو مُقَرّن من مزينة.

13350ـ قال: حدثنا أبي, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, عن عروة, عن ابن مغفل المزني, وكان أحد النفر الذين أنزلت فيهم: وَلا على الّذِينَ إذَا أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ... الآية.

13351ـ حدثني المثنى, قال: أخبرنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبير, عن ابن عيينة, عن ابن جريج عن مجاهد, في قوله: تَوَلّوْا وأعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدّمْعِ حَزَنا قال: منهم ابن مُقَرّن. وقال سفيان: قال الناس: منهم عِرْباض بن سارية.

وقال آخرون: بل نزلت في عِرْباض بن سارية. ذكر من قال ذلك:

13352ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا أبو عاصم, عن ثور بن يزيد, عن خالد بن مَعْدان, عن عبد الرحمن بن عمرو والسّلَمِي, وحُجْر بن حُجْر الكَلاعي, قالا: دخلنا على عِرْباض بن سارية, وهو الذي أنزل فيه: وَلا على الّذِينَ إذَا أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ... الآية.

حدثني المثنى, قال: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن, قال: حدثنا الوليد, قال: حدثنا ثور, عن خالد, عن عبد الرحمن بن عمرو, وحجر بن حجر بنحوه.

وقال آخرون: بل نزلت في نفر سبعة من قبائل شتى. ذكر من قال ذلك:

13353ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو معشر, عن محمد بن كعب وغيره, قال جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه, فقال: «لا أجِدُ ما أحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ» فأنزل الله: وَلا على الّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ... الآية, قال: هم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير, ومن بنى واقف: حِرْميّ بن عمرو, ومن بني مازن بن النجار: عبد الرحمن بن كعب, يكنى أبا ليلى, ومن بني المُعلّى: سَلْمان بن صخر, ومن بني حارثة: عبد الرحمن بن يزيد أبو عبلة, وهو الذي تصدّق بعرضه فقبله الله منه, ومن بني سَلِمة: عمرو بن غنمة, وعبد الله بن عمرو المزني.

13354ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قوله: وَلا عَلى الّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ إلى قوله: حَزَنا وهم البكاءون كانوا سبعة, والله أعلم.